

سلسلة الرسائل الجامعية ٧

القاسمي

محمد جمال الدين القاسمي

ت: (١٣٣٢)هـ

وآراؤه الاعتقادية

إعداد الباحث

علي محمود دبدوب







-٤-



رقم الإيداع

٢٥٢٩٨/ ٢٠٠٧



٧٦ أ ش جسر السويس ـ ميدان الألف مسكن القاهرة
تليفون وفاكس : ٠٢/٢٤٩٣١٠٧٤ (٠٠٢)
رئيس مجلس الإدارة: ٠١٢/٧٧٥٥٩٥١ (٠٠٢)
الإدارة والمبيعات : ٠١٢/٥٠٢٧٢١٢ (٠٠٢)
البريد الإلكتروني: MUHADDETHIN@YAHOO.COM



القاسمي وآراؤه الاعتقادية

إعداد الباحث
علي محمود علي دبدوب
المعيد بقسم أصول الدين



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

سورة طه الآية رقم (١١٤)

يقول القاسمي

زعـــم النــــاس بـــأن مـــذهبي يـــدعى الجـــمالي

وإليـــه حيـــنما أفتـــى الـــورى أعـــزو مقـــالي

لا، وعمـــــر الحـــــق إني ســـلفي الانتحـــال

مـــــذهبي مـــــا في كتـــاب الله ربي المتعـــالي

ثـــم مـــا صـــح مـــن الأخبـــار، لا قيـــل وقـــال

أقتفـــــي الحـــــق ولا أرضى بـــآراء الرجـــال

وأرى التقليـــــد جهـــــلاً وعمـــــى في كـــل حـــال

إهداء

إلى من قال الله في حقهما:

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ
وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[الإسراء: ٢٤]

شكر وتقدير

انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وعملاً بقول الرسول ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(١).

بعد شكر الله تعالى أرى أنه من الواجب عليَّ أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى كل من وقف بجانبي، وذلل لي الصعاب لإنجاز هذا البحث.

على أستاذي ومعلمي صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/ نشأت عبد الجواد ضيف الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث رُغم كثرة مشاغله وضيق وقته، فقد فتح لي صدره وقلبه وعمني بره وخيره ومنحني الوقت حتى استنفدت من فيض علمه، فقد كان لتوجيهاته القيمة ومساعداته الدائمة الفضل الأكبر في إخراج هذا البحث بهذه الصورة.

فجزاه الله عني خيرًا، وأعطاه الله الصحة والعافية، وأطال الله بقاءه وبارك في ذريته.

إلى أساتذتي الأجلاء الذين تعملت على أيديهم في مراحل دراستي المتعددة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، فلهم جميعًا مني كل شكر وتقدير.

إلى أساتذتي بقسم أصول الدين بالكلية الذين أفدت كثيرًا من إرشاداتهم ونصائحهم، فكانوا لي خير ناصح وخير موجه.

إلى زوجتي الوفية التي وقفت بجاني وكانت تشد من أزري، جزاها الله عني خير الجزاء.

إلى كل من ساعدني وأرشدني ومن أسدى لي جميلاً أو صنع لي معروفًا، جزى الله الجميع عني خير الجزاء.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده مسند النعمان بن بشير جـ٤ صـ٢٧٨ طبع المكتب الإسلامي.

مقدمة

الحمد لله العلي القدير، الذي أجرى الأمور بمقادير، وهدانا إلى الطريق المنير، وحبانا بمزيد من الإنعام والتيسير، فنشكرُ نعمته ونحمدُه وتكون غاية شكرنا التقصير، ورفعنا أيدينا نطلب المزيد، فكان منه العطاء الوفير، فحمدًا لله على أن جعلنا من المنزهين له عن الضد والند والشبيه والنظير.

والصلاة والسلام على البشير النذير، الذي أرسله ربه هاديًا للناس بعد أن ضلوا المسير، فكان حقه على كل من آمن به عظيم التقدير، ومعالي الاعتراف بالفضل وإن قصر عن ذلك التعبير، فصلِّ اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى كل من اهتدى بهديه إلى يوم يُعرف فيه المصير.

وبعد:

فلما كان كل علم يناله شرفه مما يتعلق به، كان لعلم العقيدة أن يكون أشرف العلوم، وأجلَّها، وأعلاها منزلة؛ ذلك أنه يبحث في ذات الله تعالى، وصفاته... وكذا أنبيائه ورسله، وغير ذلك من المباحث الشريفة المقاصد وفي أولاها ومقدمتها إثبات وحدانية الله تعالى، التي هي دعوة الأنبياء والرسل من لدن آدم -عليه السلام- وانتهاء بخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ فها هو أول نداء للأنبياء والرسل لأقوامهم قولهم: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وقال أيضًا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وأنبياء الله تعالى ما جاءوا إلا لهداية البشر وترسيخ هذه العقيدة في نفوسهم.

ولِمَ لا يكون لعلم العقيدة هذه المكانة وهو الضابط الذي يتحكم في تصرفات الإنسان ويوجه سلوكه ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات.

لذلك نجد القرآن الكريم لا تكاد تخلو سورة من سوره إلا ويوجه

الإنسان بكليته إلى ربه ويربط كل تصرفاته بهذه العقيدة؛ إذ هي من الدين الأساس والأصل الذي تستقي فروع الدين منه.

فإذا عرفها الإنسان أدرك الغاية من وجوده وعرف حقيقة نفسه، وراح يلتمس دوره في الكون؛ ليقوم به على أكمل وجه.

ولقد قيض الله -سبحانه وتعالى- من بعد النبيين على مر العصور والدهور، وفي مختلف الأزمان علماء كثيرين نابهين وقفوا حارسًا ساهرًا يقظًا لحراسة هذه العقيدة -وما يتصل بها- من نزغات الشياطين، وزيغ الملحدين، ومَنْ على شاكلتهم من الضالين المضللين أعداء الدين، وعملوا جاهدين على تنقية هذه العقيدة مما علق بها من الشوائب والأكدار، وبذلوا المهج والأرواح حتى يردوها إلى منبعها القرآني، ومرجعها من الهَدي النبوي؛ كي تصل العقيدة إلى المسلمين صحيحة صافية خالصة من العلل والأسقام، مبرأة من الخرافات والأباطيل.

فقد كان هذا دأبهم على مر الأحقاب والأعصار، كلما خلا منهم سلف حميد، قام منهم خلف رشيد، يقيمون حجة الله على عباده وينيرون الطريق لرواده في مواكب متلاحقة يقتدي أواخرها بأوائلها.

وممن لفت نظري واسترعى انتباهي من أولئك الأعلام الذين اقتفوا آثار سابقيهم، وساروا قدمًا على دربهم، وتدثروا بدثارهم، علاَّمة الشام، ونادرة الأيام، والمجدد لعلوم الإسلام، محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف، أحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن، شيخنا القاسمي؛ فهو مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فنفع الله الناس بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم(١)، ومن

(١) ينظر مكانة القاسمي بين علماء عصره صـ٥٤-٥٦.

ثم كان تعلقي بهذا العالم الذي سخر ما استحدث من وسائل في تدريس العقيدة الإسلامية وتوضيحها والعمل على نشرها.

فرأيت أن آراء هذا العالم جديرة بالدراسة لما فيها من النفع الكثير، كما قامت عدة أسباب ودوافع لاختياري لهذا الموضوع يأتي في مقدمتها:

أسباب اختيار الموضوع:

١- كثرة إسهامات الإمام القاسمي في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، وظهر لي ذلك جليًّا من خلال دراستي لمؤلَّف عنه أثناء الدراسات العليا، مما جعلني أهتم بباقي مؤلفاته.

٢- إظهار ملامح هذه الشخصية من خلال دراستي لعصره.

٣- ما يتميز به نهجه العقدي من اتباع للسلف الصالح.

٤- ثناء الكثير من علماء العصر الحديث على القاسمي واعترافهم بفضله ومنزلته.

هذا وقد جاءت الرسالة -بعون الله وتوفيقه- مرتبة على مقدمة وبابين وخاتمة؛ أما المقدمة فذكرت فيها دوافع اختياري لهذا الموضوع.

وأما الباب الأول: فمقدمته للتعريف بالقاسمي.

واشتمل على فصلين:

الفصل الأول: **تناولت فيه العصر الذي عاش فيه القاسمي.**

واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وموقف القاسمي منهما.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: جعلته في السيرة الذاتية للقاسمي.

واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه.

المبحث الثاني: مولده، نشأته، ثقافته.

المبحث الثالث: صفاته وأخلاقه، مذهبه، عقيدته.

المبحث الرابع: شيوخه، ومكانته العلمية.

المبحث الخامس: آثاره العلمية وتلاميذه، وفاته.

وأما الباب الثاني، فكان عن آرائه الاعتقادية.

واشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الإلهيات عند القاسمي.

واشتمل على تمهيد وخمسة مباحث.

المبحث الأول: منهج علماء الكلام في الاستدلال على وجود الله، والتعقيب عليه.

المبحث الثاني: منهج القاسمي في الاستدلال على وجود الله.

المبحث الثالث: في إثبات الصفات إجمالاً، واشتمل على:

١- التمهيد.

٢- آراء أشهر الفرق الكلامية في الصفات.

٣- رأي القاسمي في الصفات.

المبحث الرابع: في الصفات الخبرية، واشتمل على:

١- تمهيد.

٢- آراء أشهر الفرق في الصفات الخبرية.

٣- رأي القاسمي في الصفات الخبرية.

٤- تعقيب.

المبحث الخامس: في صفة الكلام، واشتمل على:

١- تمهيد.

٢- رؤية القاسمي للميزان.

٣- آراء أشهر الفرق في الميزان.

٤- أعمال الكفار، ووزنها.

٥- الحكمة من الوزن.

٦- تعقيب.

المبحث الثالث: في رؤ ية الله تعالى في الآخرة، واشتمل على:

١- رأي القاسمي في رؤية الله تعالى.

٢- آراء أشهر الفرق والمذاهب فيها.

٣- تعقيب.

الباب الأول

التعريف بالقاسمي

واشتمل على فصلين:

الفصل الأول: تناولت فيه العصر الذي عاش فيه القاسمي.

واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وموقف القاسمي منهما.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: جعلته في السيرة الذاتية للقاسمي.

واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه.

المبحث الثاني: مولده، نشأته، ثقافته.

المبحث الثالث: صفاته، وأخلاقه، مذهبه، عقيدته.

المبحث الرابع: شيوخه، مكانته العلمية.

المبحث الخامس: آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته.

الفصل الأول

العصر الذي عاش فيه القاسمي

واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية، وعلاقة القاسمي بولاة عصره.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وموقف القاسمي منهما.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.



المبحث الأول

الحالة السياسية وعلاقة القاسمي بولاة عصره

الحالة السياسية:

عاش القاسمي -رحمه الله- جلَّ حياته في أشد أيام الظلام والظلم، وُلد ونظام الحكم المطلق قائم في الدولة العثمانية... وكانت البلاد الشامية جزءًا منها، فالحريات مفقودة، والعقول مقيدة، والأقلام مغلولة، والصحافة على ضعفها وقلتها مكبلة، والأحرار مطاردون، والدستور معلق، والمجالس النيابية معطلة، والناس يحاسبون على الهمسة والنبسة، والجاسوسية تفتك بالأبرياء، أما العدالة فمفقودة لفساد النظام القضائي وشراء مراكز القضاء، وانتشار الرشوة علنًا بين موظفي السلطة العامة والمواطنين[1].

وُلد القاسمي والدولة العثمانية تتكالب عليها المكائد من كل اتجاه من العالم الغربي، وحتى من ولاتهم أنفسهم حتى أنهكت قوتها، وأصبح يطلق عليها -كما يقولون- الرجل المريض، وكان نظام الحكم في هذه البلاد يتكون من سلطات ثلاث بيدها مقاليد الحكم وهي:

[١] الوالي:

وهو نائب السلطان وتقوم وظيفته بإبلاغ أوامر السلطان إلى عمال الحكومة والإشراف على تنفيذها وعليه جمع الضرائب وإرسال المقررات المفروضة إلى الخزانة العامة بالقسطنطينية وإرسال المؤن والكسوة إلى الحرمين الشريفين، وكذلك الإشراف على سك النقود وحفظ الأمن العام.

---

(١) مقدمة ظافر القاسمي لقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ت جمال الدين القاسمي، تحقيق وتعليق: محمد بهجة البيطار صـ٢١، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي مصر، ط٢/ ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.

[٢] الديوان:

ومهمته النظر في الشئون الاقتصادية والإدارية، ولا يجوز للوالي أن يتخذ قرارًا في أمر من الأمور إلا بعد الحصول على موافقة الديوان.

[٣] السناجق:

وهم حكام الأقاليم وكل واحد منهم يباشر رياسة جميع الشئون الإدارية **والاقتصادية**، وهم من المماليك ورئيسهم في مصر سنجق القاهرة، وفي الشام سنجق دمشق، وهو يلي الوالي في الأهمية ويشغل مكانه عند عدم وجوده.

وتبعًا لهذا التقسيم قسمت سورية إلى ثلاث ولايات: هي ولاية حلب، وولاية دمشق، وولاية طرابلس، وتضم كل منها عدة سناجق، وقد جعل لولاية دمشق الإشراف على الولايتين الأخريين[١]، وقد ظلت دمشق يتناقل إلى ولايتها والٍ بعد آخر من قبل السلطان عبد العزيز[٢] الذي عين محمد راشد باشا واليًا عليها، وذلك قبل مولد القاسمي بعام واحد سنة ١٢٨٢هـ، وكان هذا الرجل لينًا سهلاً قامعًا للظالمين محبًّا للعم وناشرًا له، ولم يكتف بذلك، بل اهتم بإصلاح

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، تأليف أ.د/ أحمد شلبي، جـ٥، صـ٢٨٦، طبع مكتبة النهضة المصرية طـ٨ سنة ١٩٩٠م.

(٢) السلطان عبد العزيز هو السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني بن عبد الحميد، تولى بعد أخيه السلطان عبد الحميد من (سنة ١٢٧٧- سنة ١٢٩٣هـ)، وقد كان في أيامه أحداث منها: الحرب في الجبل الأسود (الصرب) التي انتهت بقتل الأمير دانيال، وتقليد ابنه -نقولا- مكانه، وأيضًا ثورة أهل كريت وإخماد عالي باشا لها، ومما يمتاز به السلطان عبد العزيز أنه زار القطر المصري خلافًا لعادة أسلافه، وأقام لجنة لتأليف مجلة الأحكام العدلية، ولكنه تحالف مع روسيا، فدست أعين الدول الأوروبية المكائد والوساوس في عقول أهل الأستانة حتى حملوا شيخ الإسلام خير الله أفندي بالفتوى على خلعه، فأفتى فخلعوه سنة ١٢٩٣، ينظر تاريخ دول الإسلام، تأليف/ رزق الله منقريوس الصرفي جـ٣ صـ١٦٥، طبع مطبعة الهلال بالفجالة سنة ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م.

أحوال بلاده الداخلية فأثمرت النهضة الأدبية في أيامه، وكثرت المدارس والمجلات والجرائد والمطابع وباعة الكتب.

كما راجت في عهده الحركات التجارية لتأمين الطرق والموارد، وفي أيامه حضر ملك النمسا لزيارة القدس وحضر للشام أيضًا البرنس فريد ريك ملك ألمانيا.

وكانت ولاية محمد راشد باشا خمس سنوات وُفق فيها لمحبة العموم، وفي زمنه شكل ديوان التمييز في دمشق وطبعت سالنامة الولاية وهي بمثابة تواريخ وقائع هذه البلاد، كما بنيت أكتاف نهر بردي.

هذا وقد تعاقب كثير من الولاة على ولاية دمشق في الحقبة التي عاش القاسمي -رحمه الله- وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الضعف الذي لحق بالدولة العثمانية في هذه الحقبة، ففي سنة ١٢٩٢ تولى صبحي باشا ولم تظل أيام ولايته، ثم خلفه حالت باشا وبقي في الولاية سنة ونصف وخلفه أحمد حمدي باشا، وراشد ناشد باشا، وفي سنة ١٢٩٤ تولى عمر فوزي باشا، وفي سنة ١٢٩٥ تولى أحمد جودت باشا، وفي سنة ١٢٩٦تولى مدحت باشا، وفي سنة ١٢٩٧ تولى أحمد حمدي باشا مرة ثانية، وفي سنة ١٣٠١ تولى راشد باشا أيضا مرة ثانية، وفي سنة ١٣٠٤تولى نظيف باشا، وفي سنة ١٣٠٦عُين مصطفى عاصم باشا، وفي سنة١٣٠٨عين عثمان باشا المشير ولم تظل أيام ولايته، ثم خلفه إسماعيل كمال باشا في نفس العام، وفي سنة ١٣٠٩عين رءوف باشا الوزير، وفي سنة ١٣١١ عين عثمان فوزي باشا للمرة الثانية، وفي سنة ١٣١٢ عين حسن رفيق باشا، وفي سنة ١٣١٣ عين حسين ناظم باشا، وفي سنة ١٣٢٥ تولى شكري باشا، وفي سنة ١٣٢٧ تولى حسين ناظم باشا للمرة الثانية وظل في هذا المنصب إلى عام١٣٣٨.

وهكذا ظل الولاة يتعاقبون على ولاية دمشق واليا بعد آخر من قبل

الدولة العثمانية وكان هَمُّ معظم هؤلاء الولاة جمع الأموال، والجري وراء الشهوات[١].

علاقة القاسمي بالولاة العثمانيين في دمشق:

إذا نظرنا في علاقة القاسمي -رحمه الله- بولاة دمشق في عصره لوجدنا أن جُلَّ هؤلاء الولاة كان همهم الجري وراء الشهوات والطرب والملذات؛ حيث إنهم كانوا مُولَعين بالتقليد الأعمى للمفاسد الغربية فكانوا ما بين خمر ودخان وتشبه بالعالم الغربي، فهاج علماء الإسلام لذلك وعادوا هذا التقليد أكبر معاداة مما أغار صدورَ الولاة عليهم فقبضوا عليهم، وكان من بينهم شيخنا القاسمي الذي كان داعية للعلم والحرية ونبذِ التقليد الأعمى وإرجاع مجد الإسلام ورفع شأنه حتى اتهم بتأسيس مذهب جديد في الدين يسمى «المذهبَ الجمالي» فقبضت عليه الحكومة سنة ١٣١٣هـ وحققت معه.وكان من قصة ذلك أن فريقًا من العلماء اجتمعوا للمدارسة في العلم وبلغ عددهم العشرة تقريبا فوصل نبأُ اجتماعهم للوالي وذُكِر ذلك للمفتي، فعقد مجلسًا خاصًا في المحكمة الشرعية لمحاكمتهم، ودعوا للمحاكمة فوجهت للشيخ بدر الدين الحسني عدةُ تهم منها: جهره بتحريم الدخان، وذم ترك العمائم، وتشنيعه على الحيل في الربا، وقوله عن الخلافة أنها أصبحت ملكًا عضوضًا. ووجهت للشيخ توفيق الأيوبي تهمة القول بنجاسة أعيان المشركين فاستجوب وأطلق سراحُه، وأمّا المحاكمة الجادة فكانت للبقية وعلى رأسهم شيخنا القاسمي الذي بدأت المحاكمة باستجوابه وسؤاله عن آرائه في المذاهب وأصحابها، وقد أفرج عنه في اليوم التالي[٢] ولم يكتفوا من

(١) «منتجات التواريخ لدمشق» تأليف/ محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ج١ ص ٢٨١-٢٩٦، نشر دار بيروت ط١ سنة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) بتصرف.

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري تأليف محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة

القاسمي بهذا الاتهام بل اتهموه أيضا بالجمود.

وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على أنّ الشيخ القاسمي كان من العلماء العاملين الذين لا يقفون موقف المتفرج على المذاهب الأخلاقية لآداب الإسلام، وإنما وقف موقف المدافع المخلص عن دينه لا يخاف في الله لومة لائم.

=

تقديم د/ شكري فيصل ط ٣٠٠-٣٠١ طبع ونشر دار الفكر العربي بدمشق ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م.

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية والاقتصادية وموقف القاسمي منها

الحالة الاجتماعية:

ظلت دمشق بعد تقلص سلطة المماليك عنها، ودخولها في حوزة العثمانيين في خمود وضعف شديدين، فلم تصبغ بصبغة مباينة للصبغة الأولى التي كانت عليها في ظل حكم المماليك لها، فقد استلمها آل عثمان وهي كغيرها من البلاد العربية كالمريض نظرًا لما تعاقب من تداول الدول، وانتياب الفتن الداخلية بين الأمراء والزعماء، وطرق الحروب والغارات الأجنبية، ثم الحروب التيمورية، كل هذه الحوادث لم تمهل دمشق أن تستوفي حظها من العمران وتُكونَ لنفسها هيئاتٍ اجتماعيةً تقوم بها فلم تكد تنشل من كبوة حتى يضربها الزمان، ولا تخلص من مرض إلا إلى أشد وأنكى. ومن العجب أن تلك المصائبَ - وإن عمت البلاد - إلا أن لدمشق النصيب والحظ الأوفر منها في الغالب ما عدا الحروب الصليبية.

يضاف إلى ذلك أيضا المصائبُ السماوية التي أثرت تأثيرًا بينًا في مدينة دمشق[(١)] فقد حدثت الطواعين بشكل متكرر في العهد العثماني، وشملت مناطقَ واسعةً من بلاد الشام وغيرها، كما عَمَّت الزلازل في هذا العصر، وقد ألحقت الكثيرَ من الدمار بالإنسان والحيوان من جراء تلوث المياه، وانتشار المجاعات، والمصائب المهلكة كلُ هذه الأشياءِ أدت إلى فناء خلق كثير[(٢)] وفقدت بسببها الندوات، فلا جمعياتٍ إصلاحيةً ولا حلقاتٍ اجتماعيةً، ولا جمعياتٍ خيريةً.

---

(١) منتخبات التواريخ لدمشق ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ بتصرف.

(٢) مظاهر سكانيةَ من دمشق في العهد العثماني بقلم د/ عبد الكريم رافق ص ٦ مقال نشر ضمن ملة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ العربي بجامعة دمشق العددان ١٥، ١٦ سنة ١٩٨٤

والمرأة التي هي نصف المجتمع غائبةٌ عنه فليس لها في خدمته إلا نصيبُ قعيدِ البيت[١].

وهكذا استمرت الأحوال الاجتماعية في الدولة العثمانية وبخاصةٍ دمشقُ مرة تعلو ومرة تسفل تابعة في ذلك لهمم الولاة والحكام ورجال الأمر والنهي.

وفي هذا الجو الخانق المتخلف نشأ القاسمي فكان كالطائرِ المغني في غير سربه، غريبًا عن أهل الزمان، ولعل هذا كله كان أدعى لإقدامه والاقتناعَ بقدسية رسالته وضرورة العمل لها، والسعيَ لنشرها، والمضيَ في تبليغها[٢].

الحالة الاقتصادية:

يعد التنظيم الاقتصادي هو الهدف الأسمى للعثمانيين، وقد سار على النحو الذي كان متبعًا إبان عهد المماليك، وكان يقوم على مسح الأراضي في مصر وسورية وتخصيص مقدار منها للأجناد، ومقدار لنفقات الوالي، ومقدار للسناجق،وما عدا ذلك سمي بالأراضي الديوانية؛ أي التابعة للديوان الأعظم بالأستانة. وسار العثمانيون سيرة سلاطين المماليك في استغلال هذه الأراضي بطريقة الإلتزام بالمزايدة، بحيث يتعهد الملتزم بدفع مقدار محدد من المال كل عام عن مساحة محددة من الأرض يجتبي من فلاحي هذه الأرض ما يستطيع من أموال، وكان يشترك في المزايدة أغنياء المماليك وكبار التجار وبعض الموظفين، ومن الواضح أن هذا التنظيم كان قاسيًا جدًّا على الفلاح، وركز الثراء كله في أيدي الملتزمين وأيدي السناجق، فكان هؤلاء وأولئك سادة يَحْيَوْنَ في بذخ وترف، أما الفلاح فكان عبدًا يعمل بعنف ولا يكاد يجد الكفاف[٣]، أما بالنسبة للصناعة في بلاد الشام إبان الحكم العثماني فقد بلغت الطوائف الحرفية درجة

---

(١) مقدمة ظافر القاسمي لقواعد التحديث ص ٢٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٢

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ت د/ أحمد شلبي ج ٥ ص ٢٨٧، ٢٨٨

كبيرة من التنظيم، ولم تكن هذه الطوائف متساوية في العدد أو متشابهة في النوعية في مختلف مدن الشام في العهد العثماني، وذلك بسبب اختلاف كل مدينة عن الأخرى من حيث نشاطها الاقتصادي محليًا ودوليًا، ولم تكن هناك استمرارية في أنواع الطوائف في مدينة ما؛ فبعض الطوائف انقرض أو تضاءل شأنه بتناقص الحاجة إلى منتجاته، كما أن بعض الطوئف ازدهر وكثرت أنواعه نظرًا لازدياد الحاجة إليه، وقد بلغ عدد الصناعات التي وجدت في بلاد الشام ما يقرب من ٤٣٥ صنعة بعضها تضاءل شأنه وبعضها جديد محدث(١).

وقد تميز التنظيم الحرفي في بلاد الشام بالتخصص، وتوزيع العمل، فهناك طوائف عنيت بالإنتاج وأخرى بالخدمات أوبالتسويق وكان على رأس كل طائفة شخص عرف عادة بالشيخ وقد اختاره أعضاء الطائفة ونصبه القاضي الشرعي للحديث عنهم، وكان يشترط في هذا الرجل أن يكون ذا دين ومستقيمًا وقادرًا على أداء المشيخة وصالحًا لها.

وكانت تقوم علاقة بين الطوائف الحرفية نظرًا لتكامل الحرف المعينة أو لاعتماد حرفة على أخرى، وهكذا لعبت الطوائف دورًا فاق إلى حد كبير دور المحتسب الذي تضاءل شأنه في بلاد الشام في العهد العثماني وغاب في كثير من الأحيان عن الوجود. وقد لقي الفقراء والمفلسون من الحرفيين اهتمامًا ورعاية كبيرين.

وما لبثت الصناعات الحرفية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر إلا وقاست منافسة البضائع الأوربية مما أدى إلى ضعف هذه الصناعات وافتقار أهلها وتضرر الاقتصاد المحلي بصورة عامة.

ولكن أصحاب الصناعات المحلية قد ردّوا على هذا التحدي وظهرت

---

(١) قاموس الصناعات الشامية ت محمد سعيد القاسمي وجمال الدين القاسمي وخليل العظم تحقيق ظافر القاسمي ج ١ ص- ٣٠، نشر موتون وشركاه باريس - لاهاي، سنة ١٩٦٠

صناعات محلية تجمع بين المحلي والمستورد[١]، وهكذا أصبح الاقتصاد المحلي يدور في فلك الاقصاد الأوربي وترتب على ذلك حدوث تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة في بلاد الشام.

موقف القاسمي من الحالة الاقتصادية:

لقد مرّ القاسمي بالحالة الاقصادية السيئة التي اجتاحت بلاد الشام وبخاصة دمشق بسبب كثرة الحوادث الطبيعية (الزلازل والبراكين) والتي أثرت في التربة الزراعية، فأنهكت قوتها وأوهنتها فكان لابدّ من إعادة القوة إليها وإصلاحها، فإذا بالشيخ القاسمي يقف موقف المرشد الزراعي فيبحث في ذرائع إصلاح الزراعة فينبه إلى السمادات الكيماوية أنواعها من الفسفورية والبتاسية التي تعيد للأرض حيويتها وقوتها، ونادى بضرورة أستعمال الآلآت الميكانيكية الحديثة في الحرث والحصاد وبدلاً من الآلات البدائية من أجل تعويض الخسران التي اكتست البلاد وبلاته، وبحث أيضا عن علاج الآفات الأمراض والحشرات الزراعية وطرق مكافحتها، وذلك كله مُفَصّل في كتابه المخطوط المسمى «بتعطير المشام في مآثر دمشق الشام» الجزء الثالث[٢].

ومع أن كتب التراجم التي تناولت سيرة الشيخ القاسمي لم تذكر لنا أنه كان يحترف حرفة أو يجيد صنعة إلا أنه كان موسوعة في أمور الدنيا وأحوالها؛ كإلمامه بأمور الدين والعلم، لذا وجدناه ألف كتابا ذكر فيه صناعات أهل بلاده التي اشتهروا بها، وتحدث عن كل منها تحدث الخبير بها أو الممتهن لها، وذلك في كتابه المسمى: «بقاموس الصناعات الشامية».

---

(١) مظاهر من التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني د/ عبد الكريم رافق مقال نشر ضمن مجلة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ بجامعة دمشق العدد الرابع ص ٣٠-٩٩ سنة ١٤٠١، ١٩٨١ بتصرف.

(٢) مقدمة ظافر القاسمي لقواعد التحديث ص ٢٤

المبحث الثالث

الحالة العلمية

الحالة العلمية:

كانت الديار الشامية جزءًا من الإمبراطورية العثمانية في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وكانت معظم هذه الولايات الإمبراطورية الواسعة غارقة في لجج الجهل والأمية، فلا يكاد الواحد يجد في أي مدينة من المدن الواسعة – فضلاً عن القرية الضيقة- إلا أشخاصًا قليلين يعرفون القراءة والكتابة، وقد كانت سياسة هذه الدولة قائمة على الإبقاء على هذه الحالة الأليمة المحزنة من الجهل والأمية حفاظًا على سلطانها الغاصب، وحماية لعمَّالها الظالمين، وحرصًا على تماسك أجزاءها المفرقة باسم شعارات الدولة الإسلامية وباسم الخلافة الخلاب، وكل من شهد تلك الفترة المظلمة من حياة العرب في ظل الترك ظلوا يذكرون ما وقع فيها بكثير من الفزع والدهشة، فالعلم لا يلقن إلا في الكتاتيب والصحف – إن وجدت – وهو أقرب إلى نشرات الأخبار على نُدْرَةِ مَنْ يقرؤها، وفريق كبير من رجال الدين جنّد نفسه في خدمة أغراض الدولة الفاسدة يدعوا لها ويُكَفِّر من طالب بالإصلاح حتى في ظلها، فأغلقت العقول وحجر على الأفكار وعمَّت الأمية وانتشر الجهل، وما من داع ولا مجيب، وقد قامت سياسة هذه الدولة على تتريك جميع العناصر التي يظلها لواءها(١).

حتى لغة التدريس في المدرسة الثانوية الأميرية – المدرسة التي لم يكن في دمشق سواها – فقد كانت لغة التدريس فيها اللغة التركية، حتى نحو اللغة العربية وصرفها كان يُعَلَّم من كتب باللغة التركية؛ منها كتاب المُشَذَّب الذي

---

(١) مقدمة ظافر القاسمي لكتاب «الدكتور صلاح الدين القاسمي – آثاره" – تقديم وتحقيق محب الدين الخطيب طبع المطبعة السلفية سنة ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م.

قررته نظارة المعارف العثمانية لمدارس الأناضول والروم إيلي، فكان مفروضا على مدارس الحكومة في الولايات العربية، استعماله أيضًا في تعليم أبناء العرب نحو لغتهم وصرفه بل كان معلم العربية شيخًا تركيًّا أرسل لتعليم العربية في عاصمة العروبة والإسلام التي كان يؤمها جرير والفرزدق ليعرضوا فيها بدائع بيانهم العربي، وقد اضطر النشؤ على تعلم اللغة التركية وإجادتها من أجل تولي الوظائف في الدولة العثمانية وليعيشوا في ظل القومية التركية مثقفين بثقافتها. أما العربية فلا تكاد تُعَلَّم يومئذ إلا في مدارس التبشير المسيحي والمدارس الطائفية غير الإسلامية بأساليب ركيكة ومنطق غير سليم[١]، وكان رجال الدين - إلاّ مَنْ عصم ربك - غارقين في الكتب التي ألفوها من متون الفقه وبعض كتب اللغة التي كانوا يسمونها (الآلة) فلا تفسير ولا حديث ولا دليل ولا برهان ولا إعمال للعقل ولا ترويض للفكر. أما العلوم الحديثة كالجغرافيا والتاريخ والهندسة والكيمياء والفيزياء فدراستها حرام وتدريسها كفر[٢]. أما الاجتهاد والقائلون ببقائه واستمراره فاسقون مارقون أو كافرون ملحدون ومن اتهم به ألفت له محاكم استثنائية وحوكم وحبس، وكان طريق السعاية بالخصوم واتهامهم بالحرية سواء كانت سياسية أم دينية وكانت تلقي من الحكام آذانا صاغية؛ لأن الحرية عدوهم الأول[٣] وهكذا كانت الحياة الثقافية مفقودة أو بالمفقودة أشبه، فلا مدارس ولا معاهد ولا جامعات والطباعة والصحافة ضعيفتان ليس فيهما أي غناء، والأمية منتشرة؛ لأن الدولة فرضت الجهل المطبق على الناس.

---

(١) مقدمة الشيخ محب الدين الخطيب لكتاب «الدكتور صلاح الدين القاسمي آثاره".

(٢) منتخبات التواريخ لدمشق [ج ١ ص ٣٠١].

(٣) مقدمة ظافر القاسمي لكتاب د/ صلاح الدين القاسمي آثاره.

وقد كان حال الحياة الدينية نتيجة طبيعية للحياة الثقافية، جمود على القديم، وكتب صفراء يتداولها الطلاب، ومتون كثيرًا ما يحفظونها بدون فهم، وحواشي وشروح وتقريرات وتعليقات تزيد في اضطراب عقول الطلاب وتشويهها وتقليد أعمى غُلت معه العقول؛ فكتب الحديث لا تقرأ إلا للتبرك وكتب التفسير ممتنعة عند العامة بل الخاصة، وأما كتب اللغة والأدب فقد كان يقرؤها الطلاب على أنها أداة لفهم الكتاب والسنة لا لذاتها، وكانت الطرق الصوفية في ذلك العصر في أوج انتشارها يعتنقها بعض رجال الدين ويجمعون العامة حولهم ويشغلونهم عن العمل النافع لإقامة المجتمع الإسلامي الصالح[١].

وقد قيد الله تعالى مجموعة من العلماء المخلصين الذين نحت الثقافة الدينية في بداية هذا القرن على أيديهم منحى جديدًا فتطورت الثقافة، ومالت إلى تبسيط العلوم، وتخلصت لغتها من التعقيدات، وكان من هؤلاء العلماء الذين دعوا إلى الإصلاح الشيخ طاهر الجزائري وشيخنا القاسمي..وغيرهم الكثير[٢].

ونخلص من هذا إلى أن شيخنا القاسمي كان من دعاة الإصلاح والعلماء المخلصين الغيورين على دينهم ولغتهم، فوقف موقف المدافع عن الدين واللغة بتأليف الكتب، وإلقاء الدروس والمحاضرات التي تدعوا إلى تلقي العلم والدين وتعلم اللغة العربية في وقت ساءت فيه الحياة العلمية والسياسية والاقتصادية.

وليس أدلّ على ذلك مما قاله الشيخ محب الدين الخطيب مبينًا دور القاسمي وموقفه من الناحية العلمية في هذا العصر المظلم فقال: «في هذا الجو نشأت أنا، ونشأ أخي النابغة العبقري - صلاح الدين القاسمي - لولا أن الله

---

(١) مقدمة ظافر القاسمي لقواعد التحديث ص ٢٢

(٢) مقدمة تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٢٩

سبحانه وتعالى تداركنا فقيد لنا آباء روحيين أنقذونا من هذا الجو الخانق، وأقربهم إلى أخي صلاح الدين شقيقه الأكبر علامة الشام جمال الدين القاسمي وإخوان له في حلقة نورانية كانت تسمى حلقة الشيخ طاهر الجزائري»[1] رحمة الله عليهم جميعًا.

---

(١) مقدمة الشيخ محب الدين الخطيب لكتاب الدكتور صلاح الدين القاسمي وآثاره.



الفصل الثاني

حياة الشيخ القاسمي

واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، نسبه، كنيته، لقبه.

المبحث الثاني: مولده، نشأته، ثقافته.

المبحث الثالث: صفاته، أخلاقه، مذهبه، عقيدته.

المبحث الرابع: شيوخه، مكانته العلمية.

المبحث الخامس: آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته.

المبحث الأول

اسمه، نسبته، كنيته، لقبه

اسمه:

محمد بن محمد بن سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، المعروف بالقاسمي نسبة إلى جده قاسم المعروف بالحلاق[(١)].

وهذه هي التسمية التي انتهيت إليها بعد استقراء كتب التراجم التي تحدثت عنه، غير أن هناك اختلافًا بين أهل التراجم في اسمه، هل هو جمال الدين أو محمد جمال الدين؟ والسبب في ذلك يرجع إلى أن القاسمي رحمه الله يذكر في بعض مؤلفاته أنه جمال الدين، وفي البعض الآخر يذكر أنه محمد جمال الدين[(٢)].

(١) ينظر ترجمته في الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٢ ص- ١٣٥، طبع دار العلم بيروت، ط الخامسة سنة ١٩٨٠ م - معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر كحالة المجلد الثاني ص ١٥٧، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان - معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ت د/ صلاح الدين المنجد ص ٣٩٧، طبع دار الكتاب العربي الجديد بيروت لبنان - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ت عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، اعتناء د/ إحسان عباس ج ١ ص ٤٧٦، ج ٣ ص ٦٣ نشر دار الغرب الإسلامي ط ٢ سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م - الفتح المبين في طبقات الأصوليين ت الأستاذ/ عبد الله مصطفى المراغي ج ٣ ص ١٦٨ طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، بدون * نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية تأليف محمد منير الدمشقي ص ١٦٨، مصر سنة ١٣٤٩ هـ - الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، د/ فاطمة محجوب ج ١٢ ص ٢٦١، ٢٦٢ نشر دار الغد العربي.

(٢) الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في علوم الحديث وهو شرح الأربعين العجلونية تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، تقديم وتحقيق عاصم بهجة البيطار ص ٤٥٢، طبع ونشر دار النفائس ط ٢ سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م - العلم المنشور في إثبات الشهور تأليف الإمام علي بن عبد الكافي السبكي، تعليق جمال الدين القاسمي، ص ٣، ٥٦، نشر مكتبة الإمام الشافعي الرياض ط ٢، ١٤١٠ هـ - مقدمة قواعد =

والذي أميل إليه وأرجحه هو ما أثبته من أن اسمه محمد، وجمال الدين لقب له، وعلى هذا يكون ما ذكرته بعض كتب التراجم من أن اسمه محمد جمال الدين قد اعتمدت على القاعدة النحوية التي تقول: «إذا اجتمع الاسم مع اللقب وجب في الأفصح تقديم الاسم وتأخير اللقب»(١).

لقبه:

ظهر لنا مما سبق أن القاسمي -رحمه الله- كان يلقب نفسه في كثير من كتبه بجمال الدين وهذا اللقب كان محببًا إليه، لذا لقبه معاصروه بهذا اللقب، فقد ذكر صاحب المنار في ترجمته للقاسمي، قال: «ترجمة الشيخ جمال الدين القاسمي»(٢)، وكذلك صاحب طبقات الأصوليين ففي ترجمته للقاسمي قال: «محمد بن محمد بن قاسم القاسمي الملقب بجمال الدين»(٣).

كنيته:

كان يكنى -رحمه الله- بـ«أبي الفرج» وقد ذكر ذلك في ترجمته لنفسه، فقال عند تعريفه لنفسه: «محمد جمال الدين أبو الفرج»(٤).

=

التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي تحقيق وتعليق محمد بهجه البيطار ص ٢٠، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى الباب الحلبي مصر ط ٢ سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م - مقدمة كتاب الفتوى في الإسلام للقاسمي تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي ص ١٢ طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف جمال الدين بن هشام الأنصاري ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق قطر الندى، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ص ٩٨، طبع مطبعة السعادة بمصر ط ١١ سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م.

(٢) مجلة المنار لمنشئها السيد محمد رشيد رضا، المجلد السابع عشر الجزء الثامن ص ٦٢٨

(٣) الفتح المبين في طبقات الأصوليين ج ٣ ص ١٦٨

(٤) مقدمة قواعد التحديث ص ٢٠

المبحث الثاني
مولده، نشأته، ثقافته

مولده:

اتفقت كلمة أصحاب التراجم أن القاسمي -رحمه الله- ولد في عام ثلاث وثمانين ومائتين وألف من الهجرة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - وزادنا القاسمي -رحمه الله- تحديدًا ليوم مولده والشهر الذي ولد فيه؛ فذكر أنه ولد صحوة يوم الإثنين لثمان خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، الموافق السابع عشر من شهر أيلول (سبتمبر) سنة ست وستين وثمانمائة وألف من الميلاد في دمشق(١).

وكانت ولادته في حي يسمى «القنوات» «زقاق المكتبي»(٢).

ودمشق التي ولد فيها هي:

دِمِشْق أو دِمَشْق الشام، ويقال لها الشام. وهي أكبر مدن سوريا وأشهرها. وهي كما يقول أهل السِّير عنها: جنة الأرض بلا خلاف؛ لحسن عمارتها ونضارة بقعتها ومياهها المتدفقة، وقد سميت دمشق بذلك؛ لأن أهلها دَمْشَقوا (أسرعوا) في بنائها، وقيل سميت بذلك نسبة إلى دماشق بن فاني بن مالك بن سام بن نوح، أي أن اسمها يرجع إلى ماقبل الإسلام.

وتمتاز هذه المدينة بوقعها الممتاز على حافة الصحراء العربية الشامية في ظهر الحاجز المزدوج المكون من جبال لبنان.

---

(١) مقدمة قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص٢٠

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ت محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، تقديم د/ شكري فيصل ج ١ ص ٢٩٨ نشر وطبع دار الفكر بدمشق ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

وتمتاز بكثرة الأنهار فيها، وبجامعها الذي يضرب به المثل في حسنه، وبوجود قبور لبعض الصحابة والصالحين فيها، وقد نسب إليها كثيرًا من أعيان المحدِّثين، وقد ألفَّ العلامة ابن عساكر لها تاريخا مشهورا. وهذه المدينة بفضل موقعها تحتل مركزًا ثقافيًا من الطراز الأول منذ أقدم العصور(١).

نشأته:

نشأ القاسمي في دمشق العامرة، في بيت علم ودين وورع وخلق كريم، بيت عرف بالتقوى والصلاح، فقد كان والده وجده - رحمهما الله - من المعروفين - بالأدب ومكارم الأخلاق، وكان والده حسن الصوت، ففتح القاسمي عينه على هذا النور في بيته، وأعانه كل هذا، على أن ينشأ نشأة صحيحة صالحة، فضلاً عَمّا فُطِر عليه القاسمي من عناصر الحق والخير(٢).

وقد درس القاسمي -رحمه الله- على طريقة القدماء، وكان يأخذ كل علم عن أئمته الأعلام، فقرأ القرآن أولاً على الشيخ عبد الرحمن المصري(٣) نزيل

(١) ينظر للحديث عن دمشق وموقعها معجم البلدان للإمام شهاب الدين ياقوت الحموي البغدادي ج ٢ ص ٤٦٣، ٤٧٠ نشر دار صادر، بيروت - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي تحقيق علي محمد البجاوي ج ٢ ص ٥٣٤ نشر دار المعرفة، بيروت ط ١ سنة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م - المسالك والممالك تأليف ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري المعروف بالكرخي، تحقيق محمد جابر ص ٤٥- ٤٦ طبع ونشر دار القلم، بيروت، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م - الطريق إلى دمشق تأليف أحمد عادل كمال ص ٣٥٧، طبع دار النفائس ط ٢ سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م - دائرة المعارف الإسلامية أصدر بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، يصدرها بالعربية أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة د/ محمد مهدي علام ج ٩ ص ٢٦٤ - ٢٨٦ - تاريخ الفتح الإسلامي في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين تأليف محمد فخر الدين ص ٣١٧، ٣١٨ مطبعة الطلبة، مصر.

(٢) مقدمة قواعد التحديث ص ٢٠

(٣) الشيخ عبد الرحمن المصري ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه ص ٦٠.

دمشق، ثم جوَّده على شيخ القراء بالشام الشيخ أحمد الحلواني[١]، ثم تعلم الكتابة على الشيخ محمود القوصي نزيل دمشق، من علماء الأتراك، ثم انتقل إلى مكتب في المدرسة الظاهرية، وكان معلمه الشيخ رشيد قزيها[٢]، وقد أخذ القاسمي عنه مبادئ التوحيد، والصرف والنحو، والمنطق، والبيان، والعروض، وغيرها.

وكان القاسمي -رحمه الله- مواظبًا على دروس الشيخ سليم العطار[٣] لقراءة حصة من الكتب المعينة كشرح الشذور، وابن عقيل، وشرح القطر، ومختصر السعد، وجمع الجوامع، وتفسير البيضاوي، وغيرها الكثير.

كما سمع من الشيخ سليم أيضًا مجالس من البخاري دراية، وحضر دروسه في الموطأ، والشفاء، ومصابيح السنة، والجامع الصغير، والطريقة المحمدية، وغيرها[٤].

وعلى هذه الطريقة درس القاسمي -رحمه الله- التفسير والحديث والفقه والأصول، والعقيدة، والنحو والصرف والبلاغة، وغيرها على أجل علماء الشام، أمثال:

الشيخ بكري العطاري[٥]، والشيخ محمد الخاني[٦]، وخال والده الشيخ حسن جبينه الشهير بالدسوقي[٧]. ومما يدل على تفوقه ونبوغه في العلم أنه نال

---

(١) الشيخ أحمد الحلواني ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه ص ٦٠-٦٣.

(٢) الشيخ رشيد قزيها ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه ص ٦٤، ٦٥.

(٣) الشيخ سليم العطار ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه ص ٦٥-٦٧.

(٤) ينظر مقدمة قواعد التحديث ص ٢٠

(٥) ستأتي ترجمته أثناء الحديث عن شيوخ القاسمي ص ٦٧-٧٠.

(٦) ستأتي ترجمته أثناء الحديث عن شيوخه ص ٧١-٧٣.

(٧) ستأتي ترجمته أثناء الحديث عن شيوخه ص ٧٣-٧٧.

إجازات علمية عامه من الشيخ محمود الحمزاوي[١]، والشيخ طاهر الآمدي[٢] وغيرهم.

وقد كانت مجالس هؤلاء العلماء حافلة بكثير من طلبة العلم، ولم يبزغ نجم واحد منهم بزوغ القاسمي -رحمه الله- ولم يترك أحد منهم من الآثار ما تركه القاسمي، فقد عُرِفَ عنه أنه كان يأخذ نفسه بالجد والمحافظة على الوقت والمواظبة على العمل مذ كان صغيرا، وكأن المولى قد هيأه ليكون تربة كريمة خصبة ينثر فيها بذور العلم والمعرفة فتزدهر وتثمر حتى تغدوا روضة يانعة تمتع العقول وتسحر الألباب، وإلى هذا يشير القاسمي بقوله : «وقد حبب المولى إليَّ من حداثتي القراءة والمطالعة ونسخ الكتب وتأليف الرسائل»[٣]. وقد اعترف القاسمي بأن حبه للعلم كان من فضل الله عليه، وفي ذلك يقول: «وأذهب المولى بفضله عن عبيده حب البطالة وصرف الأوقات سدى، فطالعت من كتب الأدب والتاريخ مالا أحصي»[٤].

وظل القاسمي -رحمه الله- «يقدر عامل الوقت تقديرًا تامًّا، جعله يستفيد من كل دقيقة من وقته، وكانت نفسه تمتلئ بالحسرة والأسى عندما يرى الجموع الغفيرة من الناس تكتظ بهم المقاهي وتضيع منهم أوقاتهم فيما لا طائل من ورائه، ويعبر عن حسرته تلك بقوله: كم أتمنى أن يكون الوقت مما يباع لأشتري من هؤلاء جميعًا أوقاتهم»[٥].

---

(١) ستأتي ترجمته أثناء الحديث عن شيوخه ص ٧٨-٨١.

(٢) ستأتي ترجمته أثناء الحديث عن شيوخه ص ٧٧، ٧٨.

(٣) مقدمة الفضل المبين ص ٢٠ نقلًا عن «جمال الدين القاسمي وعصره» لظافر القاسمي ص ٣٠ ط بيروت سنة ١٩٦٦ م.

(٤) مقدمة الفضل المبين ص ٢٠ نقلًا عن «جمال الدين القاسمي وعصره» لظافر القاسمي ص ٣٠ ط بيروت سنة ١٩٦٦ م.

(٥) ينظر مقال «شخصيات إسلامية» للدكتور/ محمود حمدي زقزوق ص ١٠٢ ضمن مجلة

وقد استفاد القاسمي بسبب حرصه على وقته وعدم إضاعته في غير فائدة - الكثير، وفي ذلك يقول القاسمي: «وقد اتفق لي بحمده تعالى قراءة «صحيح مسلم» بتمامه رواية في أربعين يوما، وقراءة «الموطأ» كذلك في تسعة عشر يوما، وقراءة « تهذيب التهذيب» مع تصحيح سهو القلم في نحو عشرة أيام، فدع عنك الكسل واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل»[(١)].

ثقافته:

لم تقتصر ثقافة القاسمي -رحمه الله- على علوم الشريعة واللغة بل إن ثقافته كانت شاملة، فقد اعتيى بما استحدث في العصر من مكتشفات ومخترعات، وما وصل إليه العلم من آراء ونظريات، واستخدم كل ذلك في خدمة دينه ومجتمعه الإسلامي؛ لأن الإسلام في نظرة دين فطرة مؤمنة وعقل متفتح ونظام عام ينتظم الحياة كلها، ودولة فاضلة، فلا عجب أن نجد ضمن مؤلفاته كتبًا تتحدث عن البرق والكهرباء، والهاتف، والاشتراكية، وعلاج البواسير، إلى جانب ماتركه القاسمي في التفسير والحديث والتاريخ والأدب والاجتماع والأخلاق[(٢)].

الأسباب التي ساعدت القاسمي على تنوع ثقافته:

قد تهيأت عدة أسباب للقاسمي ساعدته على الإلمام بعلوم عصره منها:

١- بيئته الصالحة التي عاش فيها، فقد شجعه والده -رحمه الله- منذ صغر سنه على حب العلم والانتفاع به.

٢- كثرة شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم والمعرفة.

=

منبر الإسلام السنة ٥٥ العدد ٥ سنة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

(١) الفضل المبين للقاسمي ص ٥٣، ٥٤

(٢) مقدمة كتاب الفضل المبين ص ٢٠، ٢١ بتصرف يسير.

٣- مكتبته الخاصة التي أسسها جده ووالده، فظل القاسمي -رحمه الله- ينهل من معينها ويتابع تطور الحركة العلمية في جميع نواحيها راغبًا في الإحاطة بجميع أنواع المعرفة، وكانت مكتبته هذه تنوف على ألفي مجلد، ومن كثرة قراءته فيها لم يخل كتاب فيها من تصحيح أو تعليق له، وكانت تمتلئ تكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والتصوف والأدب والتاريخ والفلسفة القديمة والحديثة وكتب الفرق الإسلامية كالمعتزلة، والشيعة، والظاهرية، والزيدية، كما ضمت مجوعة قاربت مائة كتاب من كتب الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية(١).

٤- حرصه الشديد على الوقت وعدم إضاعته في غير فائدة.

٥- كثرة رحلاته إلى مصر واجتماعه بالشيخ الإمام محمد عبده(٢) واستفادته الكثير منه، وقد اعترف القاسمي -رحمه الله- بذلك وسأله عدة أسألة

---

(١) مقدمة كتاب قواعد التحديث لظافر القاسمي ص ٢٣ بتصرف يسير.

(٢) الشيخ الإمام محمد عبده من مواليد قرى الغربية سنة ١٨٤٩ م، ونشأ بقرية محلة نصر إحدى مراكز شبراخيت محافظة البحيرة، تعلم القراءة بمنزل والده وتلقى دروسه العلمية بالمسجد الأحمدي بطنطا، وحضر الدروس بالجامع الأزهر حتى نال شهادة العالمية، وترقى في المناصب وعين مدرسًا بدار العلوم، ومحررًا للواقائع المصرية، ونفي من مصر لاشتراكه في الثورة العرابية، ثم عاد للديار المصرية، وتعرف على الأفغاني ولزمه وتشبع بأفكاره وروحه، وكان امتدادًا لدعوته، وتقلد مناصب عدة أهمها مفتي الديار المصرية، ومن أياديه أنه حث على تدريس كتب المتقدمين فكانت سببا في نهضة أدبية في مصر، وقد ترك مجموعة من الكتب الهامة مثل: رسالة التوحيد، شرح البصائر النصرية، حاشية على شرح الدواني، العروة الوثقى، إلى غير ذلك من الكتب، توفي بالإسكندرية سنة ١٩٠٥ م.

ينظر في ذلك: محمد عبده تأليف عباس محمود العقاد ص ٣١٧، ٣١٨ طبع دار القلم مصر سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م - الجملة القرآنية تأليف مصطفى صادق الرافعي، تصحيح عبد البديع القادري، هامش ص ٢٩ طبع دار القادري، بيروت دمشق ط ١ سنة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.

منها قوله: «إني شرعت في تفسير القرآن الكريم، وتمر معي الآية مجملة، فهل يسوغ لنا أن نكملها من التوراة أو غيرها من كتب أهل الكتاب؟ فقال له الإمام: لا يسوغ ذلك لأن قرآننا نقل بالتواتر» وسأله أيضا: «إني أقرأ درسا للعامة، فأيّ كتاب تختار؟ فقال الإمام: الإحياء للغزالي بعد تجريده من الأحاديث غير الصحيحة ومما لا يفيد»(١) فما كان من القاسمي -رحمه الله- إلا أن جرد الإحياء من ذلك وألف كتابًا بعنوان: «تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين».

٦- ومن الأسباب التي مهدت له الطريق أيضًا كتابات جمال الدين الأفغاني(٢)، وطاهر الجزائري(٣)، وقد أفاد القاسمي من كتابات هؤلاء الأعلام

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ج ١ ص ٢٩٩

(٢) هو السيد جمال الدين الأفغاني بن محمد بن صفتر الأسدأبادي، يرتقي نسبه إلى الحسين بن علي (ولد في أسد آباد في إيران، سنة ١٢٥٤ هـ ودرس في أصفهان والنجف، ورحل إلى أفغانستان، وتزيا بزي علمائها، واشتغل في سلك حكومتها، ثم رحل إلى الهند، وقد اختلفت الأقوال في نسبه إلى الأفغان، فذهب بعض الكتاب الإيرانيين إلى أنه إيراني، وحاول بعض الأتراك أن ينسبوه إلى أصل تركي، كما ذهب بعض الهنود إلى أنه نشأ في بلاد الهند، والحق أنه لم يكن لجمال الدين وطن يستقر به، وإنما عاش منذ طفولته سائحا جوابا، فكان الشرق كله وطنه، رحل إلى مصر والتف حوله الجيل الجديد يقتبس من روحه الوثابة وعقله الكبير، ومن أبرز تلامذته محمد عبده وأحمد لطفي السيد، وكان الأفغاني مصلحًا دينيًّا وفيلسوفًا حكيمًا، وزعيمًا سياسيًّا، جمع بين الزعامة والروحية والفكرية والسياسية واضطلع بهم جميعا. توفي رحمه الله سنة ١٣١٤ هـ.

ينظر في ذلك: جمال الدين الأفغاني ت د/ عثمان أمين ص ١٢، ١٣ نشر دار الثقافة، القاهرة، جمال الدين الأفغاني ت محمود أبو رية ص ٣-١٥ نشر دار المعارف، مصر، سنة ١٩٦١ م، تتمة البيان في تاريخ الأفغان ت جمال الين الأفغاني ص ١٠ طبع دار الأنصار سنة ١٣١٨ هـ، الإسلام والحضارة الغربية ت د/ محمد محمد حسين ص ٦١-١٠٠ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) طاهر بن محمد بن صالح المشهور بالجزائري، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ هـ كان أبوه فقيه المالكية ومفتيها، تعلم على يد والده، وعلماء عصره حتى صار من العلماء الأعلام،

وأقام صرحًا كاملًا من العمل الفكري الضخم تمثل في مختلف دراساته[١].

وهكذا أظهر القاسمي -رحمه الله- نبوغًا فائقًا أهَّله لإقراء الطلاب مبادئ العلوم وله من العمر أربعة عشر عاما»[٢]. وكان معيدًا لدرس والده العام في جامع السنانية حتى عام١٣٠٣هـ/ ١٨٧٧م وانتدب من عام١٣٠٩-١٣١٢هـ/ ١٨٩٣-١٨٩٦/ لإلقاء دروس عامة خلال شهر رمضان في وادي العجم والبنك وبعلبك، وقام مقام أبيه في الدرس العام بعد وفاته١٣١٧هـ/ ١٩٠١م[٣].

هذا وقد انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية مدة أربع سنوات، ثم زار المدينة المنورة وعاد إلى بلدته داعيًا للعلم والحرية، ونبذ التقليد الأعمى، وإرجاع مجد الإسلام ورفع شأنه، حتى اتهم من حسَّاده بتأسيس مذهب جديد في الدين سمي «المذهب الجمالي» فقبضت عليه الحكومة وحققت معه، ثم أخلي سبيله واعتذر إليه والي دمشق، وانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس العامة والخاصة، ونشر الكثير من البحوث في الصحف والمجلات، وظل كذلك إلى أن وافاه أجله -رحمه الله-[٤].

=

ومن أركان النهضة العربية الحديثة، وحامل لواء المعارف وعضو المجمع العلمي العربي، وله مؤلفات كثيرة توفي يوم الاثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ هـ. تاريخ علماء دمشق ج١ ص ٣٦٦، ص ٣٨٠

(١) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي ت الأستاذ/ أنور الجندي ص ٧٣ طبع مكتبة الأنجلو المصرية ط ١ سنة ١٩٧٠ م.

(٢) مقال شخصيات إسلامية د/ زقزوق ص ١٠٠

(٣) مقدمة قواعد التحديث لظافر القاسمي ص ٢١

(٤) الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٣٥، مقال شخصيات إسلامية د/ زقزوق ص ١٠٠

المبحث الثالث

صفاته، أخلاقه، مذهبه، عقيدته

أولاً: صفاته وأخلاقه:

لقد وُصِفَ القاسمي -رحمه الله- بأنه كريم الخلق، كبير القلب، بادي الحب، لايرى منه إلا وجها طلقا وجانبا لينا وأنسا ممتعا، وكان يغلب على وقته الجد ويبتعد عن الهزل، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ودائما ما كان يصدع بالحق، ويعرض عن الجاهل المعاند ويدفعه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانت له هيبة مهيبة يعظمه من يراه، وكان ذا صوت حسن عند تلاوة القرآن، وكان -رحمه الله- نزيه اللسان بعيدا عن المراء والجدال لا يزري بغيره ولا يعرض بأحد ولا يمدح نفسه(١).

وخير من يحدثنا عن صفاته «شقيقه قاسم خير الدين القاسمي» فيقول: «كان أجزل الله ثوابه إذا لقيه المماحك(٢) في أحد المجامع عرضا أو غشية في درسه أو بيته ناقدًا أو ناقمًا، علَّمه من حيث لا يشعر، وهداه إلى المحبة بكيس القول، فإذا أيقن أنه من المكابرين المهمومين أعرض عنه وقال: سلاما، لذلك لم يلق ما لقيه أشد العلماء والفلاسفة في العصور الماضية...لأنه كان يتلطف في المناظرة وإقناع المخالف، فإذا رأى المناقش بمعزل عن الفهم سكت عنه»(٣).

زهده:

كان الشيخ -رحمه الله- مقبلاً على الله - عز وجل - بعلمه، لا يبتغي من ورائه عَرَضَ الدنيا، فكان شغوفا بالعلم لذاته ونفعه في إنارة القلوب، فلم يجعل

---

(١) من مقدمة كتاب الفضل المبين ص ٢٣، وتاريخ دمشق ج ١ ص ٣٠٠ بتصرف.

(٢) المماحك: المتمادي عند اللجاجة عن المساومة. المعجم الوسيط ج ٢ ص ٨٩٠

(٣) مقدمة كتاب دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص ٤، ٥ نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م بتصرف.

الدين والعلم سُلَّمًا للدنيا، ولعل هذه الصفة هي «السر الأعظم الذي دار عليه محور نبوغه، لأنه لو صانع طمعا في حطام الدنيا لما خرج عن صفوف أهل محيطه، ولكان عالما وسطا يشتغل بالتفاهات، ويعيش في تُقْية ويموت كذلك»[(١)]

أما والشأن ليس كذلك مع القاسمي -رحمه الله- فقد سار على نهج السلف الصالح في الزهد في متع الدنيا وطيباتها، فأقبل على تحصيل العلم وتدوينه في وقت أضحت فيه بضاعة العلم مزجاة بائرة، فدوَّن ما يزيد على المائة في أقل من خمسين عاما، وهذا إن دلَّ على شيئ فإنما يدل على أن الله تبارك وتعالى بارك له في عمره القصير، وكان -رحمه الله- يعلم الناس الزهد، وقد اجتمعت له صفات إذا جُمِعَ بعضها لغيره عُدَّ قريعُ دهرِه ووحيدُ عصره، فقد كان طلق اللسان، وافر المادة، وافر العقل، سريع الخاطر، سريع الكتابة،جميل العهد، جميل الود، ما اجتمع به أحد إلا تمنى لو طال بحديثه ليزيد في الأخذ عنه والتشبع بفضائله والاغتراف من بحر علمه[(٢)].

سعة عقله ورحابة صدره:

كان القاسمي -رحمه الله- يحترم آراء الفرق المخالفة لمذهبه وعقيدته، وينادي بواجب التآلف والتعارف، ونبذ التناكر والتخالف، وطرح الشنآن والمحادة، فذلك إنما يكون في المحاربين المحادين، لا في طوائف تجمعها كلمة الدين، وفي ذلك يقول -رحمه الله-: «لو كانت الفرق التي رميت بالابتداع تهجر لمذاهبها، وتعادي لأجلها، لما أخرج البخاري ومسلم وأمثالهما لأمثالهم، إن هؤلاء المبدعين وأمثالهم لم يكونوا معصومين من الخطأ حتى يعدوهم الانتقاد، ولكن لا يستطيع أحد أن يقول: إنهم تعمدوا الانحراف عن الحق ومكافحة

---

(١) مقدمة دلائل التوحيد ص ٤

(٢) المرجع السابق ص ٦

الصواب عن سوء نية وفساد طوية، وغاية مايقال في الانتقاد في بعض آرائهم أنهم اجتهدوا فيه فأخطئوا، لأن الخطأ من شأن غير المعصوم»[١]، وكان كثيرا ما يلتمس لهم الأعذار ويدعو إلى الوحدة والجمع ويذكر بأن لهذه الفرق المخالفة أعمال مشكورة وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف[٢].

وبهذه الأخلاق الحميدة ظل القاسمي -رحمه الله- لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه، وإنما كان يناقش بالبرهان والدليل، وأقوال الأئمة، والمراجع المعتمدة، وكان له طريقة في مناقشة خصومه لم يُعرف أهدأً منها ولا أجمل من صبرها، وكثيرا ما قصده بعض المقتحمين في داره، لا مستفيدا، ولا مستوضحا، ولا مناقشا بل محرجا، فكان يستقبلهم بصدره الواسع وعلمه العميق فلا يخرج المقتحم من داره إلا وقد أفحم وامتلأ إعجابا وتقديرا.

ولم تتضمن كتبه على كثرتها لفظًا نابيا، وإنما كان يعتصم بالنقاش العلمي الأدبي، وكان -رحمه الله- يهدف من الرد على مخالفيه الهدى والرشاد، وسواء السبيل، والدعوة إلى الصراط المستقيم، حتى ينقلب المخطئ مصيبا، وحتى يعود المنحرف إلى الحق، كانت طريقته الوحيدة في الدعوة إلى الحق هي امتثال قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣] فلم يعرف عنه -رحمه الله- رغبة في لجاجه،

---

(١) الجرح والتعديل لجمال الدين القاسمي ص ١٠، ١١ طبع ونشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

(٢) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي تأليف أنو الجندي ص ٧١ طبع مكتبة الأنجلو المصرية ط الأولى سنة ١٩٧٠ م، بتصرف.

(٣) فصلت: ٣٤

ولا إلحاح مع معاند، ولا استمرار مع مكابر أو مغرض[١].

وكان -رحمه الله- بفضل معاملته مع خصومه أن اجتمعوا جميعًا يوم وفاته وأعظموا الخطب فيه وأقروا له بفضائله التي كانوا في حياته يغمطونه إياها[٢]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفهمه العميق لدور الداعية إلى الله وفطنته وذكائه في اقتباسه من طريق النبي ﷺ فقد كان يأتيه الخصم المعاند فيقيم عليه الحجة والدليل حتى يدخل في دين الله تعالى، وهذا النهج جمع القاسمي حوله الموافق والمخالف «فما كان يصدران عنه إلا معجبين بعقله مقرين بفضله، معترفين بقصور كثير من المشاهير عن إدراك شأوه»[٣].

أمانته:

كان -رحمه الله- شديد التحري للدقة والضبط، صاحب طبيعة علمية لا يسوقها هوى أو يفسد صحتها عصبية، يسعى دائما إلى الحقيقة، لا يكبله تقليد أو يعقد به جمود[٤]، وقد وضع -رحمه الله- لطلابه هذا المنهج لكي يسيروا عليه، فقال: «وفَارِقْ وَهْدَ التقليد إلى يفاع الاستبصار، وتسنم أوج التحقيق في مطالع الأنظار، والبس التقوى شعارا، والاتصاف بالإنصاف دثارا، واجعل طلب الحق لك نحلة، والاعتراف به لأهله ملة، ولا تَرِدْ مشرع العصبية، ولا تأنف من الإذعان إذا لاح وجه القضية، أَنَفَةَ ذوي النفوس العصية، فذلك مرعى لسُوّامها

---

(١) مقدمة قواعد التحديث للقاسمي ص ٣١، ٣٢ القاسمي ومنهجه في التفسير د/ محمد بكر إسماعيل ص ١٤ طبع ونشر دار المنار ط الأولى سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م. غمط الحق: أنكره وهو يعلمه. المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٨٧

(٢) مقدمة دلائل التوحيد ص ٦، بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص ٥، الشَّأْوُ: الهمة. المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٨٨

(٤) مقدمة الفضل المبين ص ٢٢

وبيل، وصدود عن سواء السبيل»[١]. وكان يقول لهم أيضا: «ينبغي لك أن تستفيد من كل ذي دين بما يقويك وكن بعيدا عند الجدال الذي لا يثمر، وعليك أن تسير سيرة الأئمة الأربعة وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم، فقد علَّمونا حرية الرأي بقولهم: إذا رأيتم قولنا يخالف قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولنا عرض الحائط. وقد قال أبو حنيفة ﷺ ماجاء عن رسول الله ﷺ قبلناه وما جاء عن الصحابة تخيرناه وما جاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال. لم يَدَّعِ أحد منهم العصمة لنفسه..»[٢].

وكان -رحمه الله- مع كل هذا شديد الاحترام لمشايخه كثير التودد إليهم، واللطف معهم، حتى أحبوه، وكانوا يفتقدونه إذا غاب، ويسألون عنه.

وأختم الحديث عن صفاته بما قاله عنه شقيقه: «هو علامة بين العلماء منور بين المنورين بنور المدنية الصحيحة، ذهب مثال الرجل الصالح عفيف الطعمة، لم يَسِفَّ[٣] إلى ما يَسِفُّ إليه بعض من يتذوقون قليلا من المعارف، وما أنكر إلا المناكر، ولا أمر إلا بالمعروف، ومن ضيق ذات يده كان يتصدق في السر، ولا يخلو ساعة من عبادة وذكر، ففقده جلل على دمشق، بل على الشام، بل على أهل الإسلام، وشهرته التي نالها في العالم الإسلامي في هذه السن من الكهولة هي مما استحقه؛ لأن حقيقة العالم العامل الذي يحب الدين حتى عن لم يتدين حياته، فاللهم عوض المسلمين عن هذه الدرة التيمية التي أصيبوا بها وارحمه عداد حسناته وارزقنا الصبر عليه وجميع محبيه وأسرته ومريديه الذين

---

(١) تفسير القاسمي المسمى «محاسن التأويل" تأليف محمد جمال الدين القاسمي ج ١ ص ٦ نشر دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، مصر.

(٢) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٣٠٠

(٣) لم يَسِفَّ: أي لم يطلب الدنيء من الأمور. المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٥٠

فجعوا به»[١].

ثانيًا: مذهبه:

إن من يتأمل في كتب القاسمي يجزم بأنه شافعي المذهب، والذي دعاني إلى هذا القول إنني بعد قراءة ممحصة لمصادر القاسمي وجدته ينتصر للمذهب الشافعي، ويرد على مخالفيه، ويصرح أحيانا بأنه شافعي، كما في قوله أثناء ردِّه على مخالفه «لعلمه بأن مذهبنا هو القول بنسبية المغرب»[٢]، وقال في موضع آخر لبعض شيوخه عندما زاره في مرضه بمرض الباسور، قال: «الباسور داء الشافعية»[٣]، ومما يُعَضِّدُ هذا الرأي أن معظم شيوخ القاسمي كانوا من أئمة الشافعية في عصره[٤]، كما أن أكثر المترجمين لحياة القاسمي صرحوا بأنه شافعي المذهب، منها:

١ - ماقاله الشيخ عبدالله المراغي في ترجمته للقاسمي: «محمد بن محمد بن قاسم القاسمي الدمشقي الملقب بجمال الدين الفقيه الشافعي الأصولي»[٥].

---

(١) مقدمة كتاب دلائل التوحيد ص ٧، وقد نسب هذه الكلمة د/ محمد حجازي إلى الأستاذ الأديب الكبير محمد الكرد. في مجلة المقتبس الدمشقية، ينظر في ذلك مقدمة الدكتور لكتاب دلائل التوحيد ص ٨ ظبع مطبعة المني نشر مكتبة الثقافة، القاهرة، ط الأولى سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

(٢) الأجوبة المرضية عما أورده كمال الدين بن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية، تأليف محمد جمال الدين القاسمي ص ٢ مطبعة روضة الشام ١ سنة ١٣٢٦ هـ، ومن المعلوم عند الشافعية بأن صلاة ركعتين خفيفتين قبل المغرب من السنن لورود ذلك في الصحيحين، بنظر المرجع السابق ص ٥٤، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ج ١ ص ١٧٥ طبع الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

(٣) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٣٠٤

(٤) ينظر مبحث شيوخه ص ٥٧-٨٨.

(٥) الفتح المبين في طبقات الأوليين للأستاذ/ عبد الله المراغي ج ٣ ص ١٦٨

٢- ما قاله أبو الخير الطباع أثناء رده على القاسمي: «اطلعت على رسالة لبعض المعاصرين من السادة الشافعية وهو الأستاذ العلامة جمال الدين القاسمي»[١].

ثالثًا: عقيدته:

إن المتأمل فيما كتبه القاسمي يجد في جميع مسائل العقيدة كانت عقيدته هي عقيدة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - فقد اتبع القاسمي رأي أهل الحديث والسنة ودافع عن عقيدتهم، وتحمل الكثير من الأذى في سبيل ذلك، ومما يعضدُ رأيي هذا ما يأتي:

١- آراؤه التي ذكرها ضمن تفسيره المسمى بمحاسن التأويل تعبر عن العقيدة السلفية «فيعتبر تفسير القاسمي مصدرًا كبيرًا في التعبير عن العقيدة السلفية السهلة السمحة، جمع في من المباحث والأقوال ما لو جمع لكان مؤلفًا في مجلدات، وكان سلفيًّا في تفسير الصفات، يثلج الصدر ببحوثه القيمة مما إذا قرأه منصف أو محب للعقيدة السلفية تأخذه النَّشوة والفرح»[٢]، وسيظهر ذلك جليا عند الحديث عن آرائه.

٢- اهتمامه بأقوال ابن تيمية وابن القيم وتقديم أقوالهما على أقوال غيرهم من العلماء، والمطالع لكتابه محاسن التأويل يجد بحوثا كاملة لابن تيمية وابن القيم[٣].

---

(١) فتح العلام في الانتصار للعلامة المحقق كمال الدين بن الهمام من الأستاذ العلامة جمال الدين القاسمي بما ناقشه في مسألة الركعتين قبل المغرب، تأليف محمد أبي الخير الطباع ص ٢، مطبعة الإصلاح بدمشق سنة ١٣٢٧ هـ.

(٢) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ت د/ محمد بن عبد الرحمن المغراوي ج ١ ص ٢٢٧ طبع دار طيبة ط ١ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

(٣) من الأمثلة على ذلك ينظر محاسن التأويل ج١ ص٣٣٩١، ج٥ ص ١٧٢٤ وغير ذلك الكثير.

٣- شهادة من ترجم له بأنه سلفي العقيدة ولا يقول بالتقليد»[١]، وذكر صاحب المنار أيضا «بأنه كان يتحرى مذهب السلف الصالح في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته»[٢] كما ذكر العلامة الشيخ أحمد شاكر في مقدمته لكتاب المسح على الجوربين بأن القاسمي كان في مقدمة من سار على نهج السلف الصالح من المتأخرين دون تعصب لرأي وهوى، ودون جمود تقليدي[٣].

٤- نشر كتبه بجوار كتب أئمة السلف الصالح -رضوان الله عليهم- فقد جمع صاحب «عقائد السلف» مجموعة رسائل لأئمة مشهورين ثم ختم هذه المجموعة برسالة الشيخ القاسمي ذكر فيها بأنه من السلفية المعاصرة[٤]، وقال أحد الأساتذة أيضا: « تذخر المكتبة الإسلامية بعدد كبير من تفاسير أهل السنة والجماعة، وعندما ذكر نماذج من هذه الكتب ذكر تفسير محمد جمال الدين القاسمي المسمى بمحاسن التأويل»[٥].

٥- شهادة من اشتهر بتأويله لآيات الصفات بأن القاسمي من سلف المتأخرين[٦].

---

(١) الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٣٥

(٢) مجلة المنار المجلد ١٧ ج ٨ ص ٦٣٢

(٣) مقدمة كتاب المسح على الجوربين تأليف محمد جمال الدين القاسمي ويليه تمام النصح في أحكام المسح للألباني تقديم أحمد محمد شاكر تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ص ٣، ٤ نشر المكتب الإسلامي، بيروت ط ٥ سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٤) مجموعة عقائد السلف للدكتور علي سامي النشار، عمّار جمعى الطالبي ص ٤٧ نشر منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧١م.

(٥) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر تأليف د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ج ١ ص ١٦١ طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية ط الأولى سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.

(٦) ينظر في ذلك هامش كتاب دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي تحقيق الكوثري ص ٢٤

٦- اعتراف القاسمي -رحمه الله- بأنه كان سلفي العقيدة وافتخاره بذلك، وقد نظم أبياتًا في ذلك منها:

زعـــم النـــاس بـــأن	مـــذهبي يـــدعى الجـــمالي
وإليـــه حيـــنما أفتـــى	الـــورى أعـــزو مقـــالي
لا، وعمـــر الحـــق	إني ســـلفي الانتحـــال
مـــذهبي مـــا في	كتـــاب الله ربي المتعـــالي
ثـــم مـــا صـــح مـــن	الأخبـــار، لا قيـــل وقـــال
أقتفـــي الحـــق ولا	أرضى بـــآراء الرجـــال
وأرى التقليـــد جهـــلاً	وعمـــى في كـــل حـــال[1]

ومما سبق يتضح للقارئ، أن القاسمي -رحمه الله- سلفي العقيدة.

(١) مجلة المنار المجلد ١٧ ج ٨ ص ٦٣٣، حلية البشر ج ١ ص ٤٣٥، ص ٤٣٦

المبحث الرابع

شيوخه ومكانته العلمية

أولاً: شيوخه:

يقول العلامة ابن خلدون: « إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والأخلاق تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا، وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها»[(١)].

والقاسمي -رحمه الله- كغيره من العلماء تربى في بيئة علمية عُرفت بالعلم والتقوى، وتتلمذ على الكثير من علماء عصره فسمع منهم وقرأ كثيرا، وأجازه الكثير، وشيوخه كثير، منهم:

١- والده الشيخ «محمد سعيد القاسمي»:

هو الشيخ محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، الشهير بالحلاق، القاسمي، الدمشقي، الشافعي، ولد -رحمه الله- في أوئل المحرم سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، كان أبوه فقيه الشام وصالحها، أخذ العلم عن والده فقرأ عليه العلوم الشرعي والعربية، وحضر عليه دروسه كلها، وشرع في حفظ القرآن وعمره دون سبع سنين، وأخذ عن مشايخ عصره، كما اجتمع بفضلاء الحرمين الشريفين وبيت المقدس حين زيارته لهما سنة ١٣٠١هـ وأكثر الشيخ من المطالعة في كتب الأدب ودواوين الشعر والتاريخ، ولم يكن -رحمه الله- يعرف الملل، ولما توفي والده عام أربعة وثمانيين ومائتين وألف من الهجرة قام مقامه في إمامة جامع السنانية[(٢)]، وإحياء دروسه الليلية والنهارية، وتولي خطبة الجمعة قرابة عشرين

---

(١) مقدمة ابن خلدون بتحقيق د/ علي عبد الواحد وافي ج ٤ ص ١٢٤٥ ط لجنة البيان العربي، مصر، ط ١ سنة ١٣٧٩ هـ.

(٢) جامع السنانية: هو أحد الجوامع الكبيرة بدمشق، يقع في جادة باب الجابية، بناه سنان =

عاما، وقد عرف عنه -رحمه الله- أنه كان عصبي المزاج خفيف الظل كثير المرح، حلو الصوت، سلفي العقيدة، يأخذ بما صح، ودعوا إلى الحق، وكان فقيها غلب عليه الأدب، وكان آية في الحفظ، وكان لقوة ذكائه يحفظ غرر ما يطالعه ويرسخ في حافظته من ذلك الكثير البديع، واتفق أنه طالع تذكرة داود في الطب فحفظ كلياتها ومهمات مفرداتها وخواصها كأنه ناشئ في مدرسة طبية، ولم يكتف الطلبة بالأخذ عنه في المسجد بل قصدوه في بيته، وكان دائما يفتح بيته لطلبة العلم ولا يَمَلُّ منهم.

وقد جمع الشيخ -رحمه الله- تصانيف أدبية منها:

١ - قاموس الصناعات الشامية، جمع فيه الشيخ جميع الحِرَف والصناعات الشامية ورتبها على حروف الهجاء، فجاء قاموسا لم يسبق له مثيل، وقد توفي الشيخ دون إنهائه، فوفق الله ولده جمال الدين وصهره لإتمام هذا الكتاب.

٢ - الثغر الباسم في ترجمة والده الشيخ القاسم.

٣ - سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج.

٤ - تنقيح الحوادث اليومية.

٥ - ديوان شعر لطيف سماه ولده الشيخ جمال الدين القاسم الطالع السعيد في ديوان الوالد محمد سعيد»ومن شعره اللطيف قوله:

من رام يدخل باب النصر والفرج ... فليجتنب صحبة الأوغاد والهمج

وليعتزل أهل هذا الوقت أجمعهم ... إلا لمن كان ذا دين بلا عوج

=

باشا والي الشام سنة ٩٩٩ هـ كانت الإمامة والتدريس فيه للشيخ محمد سعيد قاسم ومن بعده لولده جمال.

ينظر منتخبات التواريخ لدمشق ت محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ج ٣ ص ١٠٤٧ نشر دار الآفاق، بيروت، ط ١ سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

أو كـان صـاحب علـم عـاملا ورعـا   أو ذا سـخاء فـما في ذاك مـن حـرج
واسـتعمل النـاس مثـل النـار منقبضـا   منها وخـذ نفعهـا واحـذر مـن الـوهج
فاسـمع خلـيلي نصـحي إننـي رجـل   قـد جـرب النـاس في ضـيق وفي فـرج

هذا وقد ترك الشيخ أربعة أولاد وبنت وقد تلقى هؤلاء جميعا على أيدي أبيهم مبادئ العلوم العربية والشرعية.

توفي الشيخ -رحمه الله- فجأة صباح يوم الجمعة في ثانٍ وعشرين من شوال عام ألف وثلاثمائة وسبعة عشر ودفن في مقبرة الباب الصغير، وراء قبر والده، وكان له مشهد عظيم، وقد عطل علماء دمشق درسهم ثلاثة أيام حدادًا عليه[١] -رحمه الله-

٢ - الشيخ عبدالرحمن المصري:

هو الشيخ عبدالرحمن بن علي بن شهاب المصري، نزيل دمشق، حافظ معمر، كان الشيخ -رحمه الله- يعلم الأطفال في حجرة قبالة جامع الشاذْبَكِيّة بمحلة القنوات، وتوفي -رحمه الله- سنة ١٣١٦هـ ودفن بمقبرة الدحداح.

صلته بالقاسمي:

عند ترجمة ظافر القاسمي لشيوخ والده قال: « أخذ العلم على طريقة القدماء فقرأ القرآن أولا على الشيخ عبدالرحمن المصري..»[٢]، وذكر مؤلف

---

(١) ينظر ترجمته في مقدمة قاموس الصناعات الشامية تأليف محمد سعيد القاسمي وجمال الدين القاسمي وخليل العظم ج ١ ص ٨-١٠، ط دار الكتب المصرية تحت رمز هـ رقم ٩٦٦٣ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر تأليف الشيخ عبد الرزاق البيطار تحقيق محمد بهجه البيطار ج ٢ ص ٦٥٤-٦٦١ ط المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣م - منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧٢٢ - تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٢.

(٢) ينظر مقدمة قواعد التحديث ص ٢٠

تاريخ علماء دمشق أن القاسمي كان من تلاميذه[١].

٣ - الشيخ أحمد الحلواني شيخ قراء الشام:

هو الشيخ أحمد بن السيد علي بن السيد محمد، الشهير بالحلواني، الشافعي، الأشعري، ولد الشيخ بدمشق سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين من الهجرة وتربى تربية دينية برعاية والده، حفظ القرآن الكريم من طريق حفص على الشيخ راضي المصري، ثم اقبل على طلب العلم فدرس العلوم النقلية والعقلية على أساتذة عصره، فقرأ على خاتمة المحدثين الشيخ عبدالرحمن الكربزي صحيح البخاري ومسلم مرارا، وسمع منه الأربعين العجلونية، وكتب له بخطه إجازة، وقرأ في المغني لابن هشام وغيره من كتب النحو على الشيخ سعيد الحلبي، وكان معيدًا في درسه، وقرأ الفقه الشافعي في عدد من الكتب على شافعي زمانه المرحوم عبدالرحمن الطيبي، وقرأ على مفتي الديار الشامية الشيخ حامد العطار. وما زال يتلقى عنهم العلوم والفنون حتى أذنوا له في التدريس في غرة شوال سنة١٢٥٣هـ وقرأ بعضا من الصرف والبيان على مفتي بيروت الشيخ عبداللطيف، وفي سنة١٢٥٤هـ رحل حاجًّا إلى بيت الله الحرام مع الوفد الشامي، ولم وصل إلى مكة المكرمة اجتمع فيها بخاتمة المحققين شيخ قراء مصر العلامة الشيخ أحمد المرزوقي، فقرأ عليه ختمة مجودة من طريق حفص، ولما رأى الشيخ فيه من المقدرة والتضلع في العلوم وعدم التعلق بأعمال الدنيا وخلوه من الأهل والولد،لم يأذن له بالرجوع إلى دمشق، فأقام وحفظ عليه الشاطبية، وتلقى عنه القراءات السبع من طريقها، ثم حفظ «الدُّرَّة» وأتم القراءات العشر من طريق الشاطبية و«الدُّرَّة» ثم حفظ عليه «الطيبة» لابن الجزري وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشر، ثم أجازه الشيخ بالقراءات

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ١٥١، ٢٩٨

العشر، وما تجوز له روايته، ثم أقام له الشيخ حفلة تكريم جمع فيها أفاضل مكة المكرمة،وأجازه أمامهم بأن يقرأ ويقرئ في أي مكان رحل بها لقنه إياه، وفي عام١٢٥٨ استأذن شيخه في الرجوع إلى دمشق، وكانت خالية من علوم القراءات فنشرها فيها، وحفظ عليه عدد كثير من أهلها، ومازال مثابرا على نشر فن القراءات وتجويد القرآن إلى عام١٢٦٣هـ وفيها رجع مع كواكب الحج الشامي إلى مكة المكرمة، ولما بلغها نعي إليه شيخه أحمد المرزوقي، فجلس مكانه متصديا لنشر القراءات في البلاد الحجازية، وتخرج على يديه عدد عظيم من أبنائها وأبناء البلاد الإسلامية المختلفة، وفي عام١٢٧٨هـ رجع إلى دمشق ليستقر بها نهائيا، وأقبل عليه الناس واشتهر أمره وارتفع ذكره، وانتفع به، وانفرد بعلم القراءات في جميع بلاد الشام، وقد أحيا هذا العلم بعد اندراسه فكان فريد عصره.

صفاته:

كان -رحمه الله- حسن المفاكهة، لطيف المحاضرة، كثير الملازمة لبيته لا يخرج إلا لضرورة، يؤنس الجليس، عليه خشوع وسكينة، غالب أوقاته في تلاوة القرآن الكريم، يغلب عليه الزهد والصلاح، محببا مربيا ناصحًا.

مؤلفاته:

١ - أرجوزة في رواية ورش من طريق الأزرق.

٢ - شرح لهذه الأرجوزة.

٣ - أرجوزة في علم التجويد سماها «المنحة السنية».

٤ - شرح لهذه الأرجوزة أيضا جمع فيها غالب أحكام التجويد سماه «اللطائف البهية».

صلته بالقاسمي:

ذكر مؤلف تاريخ علماء دمشق أن الشيخ الحلواني قد خَرَّجَ تلاميذًا كثيرة

أتقنوا عليه الحفظ والضبط، وأنشأ جيلاً من علماء في القراءات والجويد، وذكر أبرز هذا الجيل فكان منهم الشيخ جمال الدين القاسمي[1]. وذكره ظافر القاسمي عند حديثه عن شيوخ والده، فقال: «...ثم جود القرآن على شيخ القراء أحمد الحلواني»[2].

وقال القاسمي في ترجمة الشيخ أحمد الحلواني: «ومما امتن الله به عليَّ قراءتي على الأستاذ أحمد الحلواني، فإني لازمته مدة تفوق ثمان سنين، فقرأت عليه ختمة، وأكثر من نصف أخرى على طريقة حفص، وسمعت منه الميدانية، ثم شرح الجزرية لشيخ الإسلام مرتين، ثم شرحها للشيخ خالد الأزهري، ثم معظم شرح منظومته، وأجاز لي إجازة عامة بسائر مروياته، ثم إني أحببت أن أشرح الميدانية فشرعت فيه وأتممته سنة١٣٠٤هـ وقابلته عليه، وهو أول مصنف ظهر لي في الوجود، وعملت أيضا جدولا بديعا في مخارج الحروف وصفاتها أطلعت عليه أستاذنا المترجم فأعجبه ودعا لي، جزاه الله خيرا»[3].

وفاته:

توفي الشيخ -رحمه الله- عصر يوم الأحد في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ألف وثلاثمائة وسبع هـ، ودفن في مقبرة الدحداح بعد أن صلي عليه في الجامع الأموي بدمشق[4].

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٨١، بتصرف.

(٢) مقدمة قواعد التحديث ص ٢١

(٣) تعطير المشام في مآثر دمشق الشام للقاسمي نقلا عن تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٤) ينظر ترجمته في أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث تأليف أحمد تيمور باشا ص ٢٤٥-٢٤٧ نشر لجنة المؤلفات التيمورية ط الأولى سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م- حلية البشر ج ١ ص ٢٥٣-٢٥٥، منتخبات التواريخ لدمشق ج٢ ص ٧٠٨-٧٠٩ - أعيان

٤- الشيخ رشيد قزيها:

هو الشيخ رشيد بن عمر قزيها، الشهير بسنان، الشافعي مذهبًا.

ولد الشيخ بدمشق، وتعلم العلوم على علماء عصره، ولما شبَّ برع في النحو والصرف والمنطق والأصول والعروض، تَصَدَّر الشيخ للإقراء في مدرسة عبد الله باشا العظم، ثم عين مدرسا في مدرسة الملك الظاهر لتعليم مبادئ وعلوم العربية، والفنون العصرية، وكان الشيخ -رحمه الله- عالمًا فاضلًا بارعًا في أساليب التعليم، شاعرًا، وقد تخرج على يديه الكثير من طلبة العلم(١).

صلته بالقاسمي:

عندما ترجم الشيخ القاسمي لشيوخه ذكر الشيخ رشيد قزيها وقال: إنني قد أخذت عنه مبادئ التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض وغيرها في المدرسة الظاهرية(٢). كما ذكره أيضا مؤلف تاريخ علماء دمشق ضمن مشايخه الذين تلقى على أيديهم مبادئ العلوم(٣).

هذا وقد توفي الشيخ -رحمه الله- ولم يُعَقِّب سنة ١٣٣٣هـ(٤).

٥- الشيخ سليم العطار:

هو الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الله بن

=

دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر للعلامة الشيخ محمد جميل الشطي ص ٣٤٠، ٣٤١ طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢ سنة ١٩٧٢م- تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٧٨-٨٢

(١) ينظر ترجمته في منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧١٩، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ج ١ ص ٣١٦

(٢) ينظر ترجمة ظافر القاسمي لوالده في مقدمة قواعد التحديث ص ٢٠

(٣) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٢٩٨

(٤) منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧١٩، تاريخ دمشق ج ١ ص ٣١٦

عسكر بن أحمد الشهير بالعطار، الشافعي مذهبا.

ولد الشيخ بدمشق عام١٢٣٣هـ ونشأ في حجر والده الصالح، وجده العلامة، لم يشتغل بطلب العلم حتى بلغ خمس عشرة سنة بل كان يلعب مع الصبيان حتى مر به يوما شيخ من علماء الشام وهو يلعب فقال له: أليس من العار أن تكون حفيد الشيخ حامد شيخ علماء الشام وفي حجره وأنت بهذه الحالة! فانتبه الشيخ من غفلته وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ولازم الدروس، وثابر على الحفظ والقراءة، حتى تضلع في مختلف العلوم وسبق أقرانه، وأخذ العلم عن جده على علماء عصره حتى صار صدر أعيان دمشق وعين علمائها الأعلام وعلا أمره واشتهر وشاع صيته وأجازه الكثير من علماء الأقطار.

صفاته:

عُرف عنه أنه كان حسن المحاضرة والناظرة طليق اللسان، فصيح البيان، محترمًا موقرًا لدى الخاصة والعامة، مقبول الشفاعة عند الحكام، صاحب الكلمة النافذة، وافر الذكاء، قوي الحافظة، هو المرجع في مهمات الأمور لما له من الجرأة والإقدام والهيبة، كريمًا ينفق كل ما يأتيه على بيته وزواره الكثيرين، وكان دائما ينتصر لطلبة العلم أشد انتصار، ويجير من ينتسب لجنابه أحسن الجوار، وكان يتفنن في أثناء درسه ووعظه بإلقاء المسائل، وأخبار السلف بعبارات شتى تبهر العقول وتدهش السامع لشدة فصاحته، وفي عام ١٢٦٤ هـ توفي جده الشيخ حامد العطار، فتولى مكان جده تدريس صحيح البخاري في جامع السلطان سليمان، وكان يبهر بحديثه عقول العلماء؛ لأنه كان يتكلم على الحديث الواحد من سائر العلوم، ويمزجه بشي من التصوف، ويأتي بالأحاديث المناسبة له ويستخرج منها الأحكام، ويبين حجة كل مذهب، ويتكلم بشيء من الحكم

والمواعظ إلى أن يذهب بلب السامع، وكانت دمشق تفتخر بدرسه على سائر البلاد[1]، وقد انتفع به خلق كثير، ونبغ عليه علماء أفاضل، وكانت له دروس في التفسير يلقيها في محراب الشافعي، وكانت الخلائق تتسابق لدرسه وتتزاحم على سماعه، وكان يجتمع في داره كل يوم الأفاضل والمفكرون ويحضرون مجالس العلم عنده[2].

صلته بالقاسمي:

عند ذكر صاحب تاريخ علماء دمشق لتلاميذ الشيخ سليم العطار ذكر أن القاسمي - رحمه الله - من أوائل تلاميذه، وأنه كان مواظبا على دروس الشيخ سليم العطار لقراءة حصة من الكتب المعينة؛ كشرح الشذور، وابن عقيل، وشرح القطر، ومختصر السعد، وجمع الجوامع، والبيجرمي على الإقناع، الأربعين العجلونية، وتفسير البيضاوي، وسمع القاسمي منه أيضا مجالس من البخاري دراية، وحضر دروسه في الموطأ والشفاء، ومصابيح السُّنة، الجامع الصغير والطريقة المحمدية وغيرها[3]، توفي الشيخ -رحمه الله- في يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة وألف وعمره نحو الثمانين ودفن في مقبرة الدحداح، ومدح بأبيات كثيرة، رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) يحكى أن عالما مصريا كبيرا قدم دمشق، واستمع إلى بعض الدروس من بعض علمائها فلم يعجبه شيء حتى أخذوه إلى درس الشيخ سليم العطار فأعجب به كثيرا وقال كلمة اشتهرت عنه: ده عطار. أي في درسه كل شيء.

(٢) حلية البشر ج ٢ ص ٦٨١-٦٨٢، منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧٢٢-٧٢٤، تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٨٩-٩١، أعيان دمشق ص ٣٣٨، ٣٣٩

(٣) مقدمة قواعد التحديث ص ٢١

٦- الشيخ بكري العطار:[(١)]

علامة الشام المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، النحوي، المنطقي، الزاهد، العابد، أبو بكر بكري بن حامد بن أحمد بن عبيد، الشهير بالعطار، الدمشقي، الشافعي.

ولد الشيخ عام ألف ومائتين وخمسين تقريبا، ونشأ في حجر والده في أسرة نجيبة أخرجت غير واحد من العلماء ولما بلغ اثنتي عشرة سنة توفي والده، وقد حفظ القرآن الكريم، والأربعين حديثا النووية والأربعين حديثا العجلونية، تلقيا من أبيه قبل وفاته، وجود القرآن على الشيخ أحمد الحلواني، وأقبل بعد وفاة أبيه على طلب العلم وحفظ المتون، وأخذ عن مشايخ دمشق الأكابر، وأكثرهم من تلاميذ أبيه، فأخذ مبادئ العلوم والتفسير والحديث عن ابن أخيه الشيخ سليم العطار(وكان أكبر منه سنا)وأخذ النحو الصرف والمنطق والحكمة وعلم الكلام والفقه الشافعي على شيوخ عصره، وامتاز الشيخ في سن تميزه على أمثاله بحفظه وإدراكه حتى أجازه العلماء بما تجوز لهم روايته عن شيوخهم، ولم يدع الشيخ فنا من الفنون إلا دخل حصونه، وقرأ شروحه، وحفظ متونه، حتى اشتهر علمه وفضله بين الأنام، وشمل نفعه، وقصده الطلبة، فكان يدرس لهم معظم الفنون، وكان في النحو لا يُشَقُّ له غبار، يلقي أكثر كتب النحو عن ظهرقلبه، وكلما قرر قاعدة نحوية يؤيدها بشاهد من الكتاب أو الشعر، ويأتي على اختلاف النحاة مع دليل كل منهم، وبيان الراجح والمرجوح من أقوالهم، ولم يكن أحد من نحاة عصره ولا مَنَاطِقَتِه يدانيه بإتقان (الإظهار) و(الكافية) وشروحها، و(المقصودة) و(العزى) و(المراح) و(إيساغوجي) وشروحه

(١) أعيان دمشق ص ٤١٠-٤١٣، حلية البشر ج ١ ص ٣٧٢، ٣٧٥، منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧١٤-٧١٧، تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ١٩٧-٢٠٣

وحواشيه و(الشمسية) وشروحها، فكان يقرأ لتلامذته عن ظهر قلبه بتمام التحقيق، وكان يقرأ لهم التفسير بين العشائين في الجامع الأموي تفسير الخطيب الشربيني عن ظهر قلب، وكان من كبار المُحَدِثِين في عصره؛ إذ حفظ المئات من الأحاديث وآثار الصحابة والتابعين، وتابعيهم، وأتقن أصول الحديث، وحضر المسانيد على شيوخه وحدث بها.

أما علم التوحيد فكان يُدَرِّسُ لتلاميذه الكتب المعروفة يومي الجمعة والثلاثاء، وكان آخر ما قرأه منها المقاصد للسعد التفتازاني، ويشهد لتضلعه في هذا العلم ما كان يقرره في دروسه من نقل آراء أرباب النحل، وترجيح مذهب أهل السنة بالتفصيل والتحقيق، وأما في الفقه فقد كانت له قدم راسخة فيه، وقالوا: إن مسائل العبادات والأحوال الشخصية كانت نصب عينيه، أما عن التصوف فلم يكن يعني بأسرار الصوفية الغامضة، إلا أنه كان يُجِلُّ القوم ويذكرهم بخير، ويرى أن يَكِلَ لهم شأنهم.

صفاته:

كان -رحمه الله- مخلصا متواضعًا، حليمًا، كريمًا، عفيفًا، شريفًا، نزيهًا، زاهدًا، راضيًا عن ربه، حامدًا شاكرًا، ولم يكن لسانه ليفتر عن ذكر الله لا في خلواته ولا في جلواته، وكان في رمضان يتدارس القرآن مع الحفظة فلا ينام حتى يصلي الفجر، وظل يلقي الدروس على اختلاف أنواعها إلى الظهر ومن بعد العصر، وذلك في داره التي كانت أشبه بمدرسة، وبين العشائين في الجامع الأموي، ويصرف بقية يومه وليلته، في البحث والمطالعة، وقد شغله التعليم عن التأليف، وكان وجهه أبيض مشربا بحمرة.

صلته بالقاسمي:

ذكر صاحب تاريخ علماء دمشق بأن للشيخ تلاميذ لازموه واشتهروا،

منهم جمال القاسمي[(١)]. وذكره القاسمي -رحمه الله- ضمن مشايخه الذين تلقى العلوم على أيديهم وقال عنه: « بعد أن اكتفيت بما قرأته عليه من بعض الفنون إلا إني لازمت مجالسه الحديثية صباح كل ثلاثاء وجمعة في البخاري ومسلم والموطأ وأبي داود وابن ماجة والنسائي زيادة على نصفه، وفيه إخترمته المنية... وكان يجلسني إلى جنبه، وكثيرا ما يستطلع جوابي في بحث لُطْفًا منه وتواضعا، فإذا حضرت في درسه العام يتوجه إليَّ التوجه التام محبة وإيناسا، وكان يتفقدني إذا غبت...»[(٢)].

وفاته:

قال القاسمي في تاريخه مؤرخًا لوفاة شيخه: «فجعت به الشام في خامس شوال سنة١٣٢٠هـ وذلك في مرض الوباء (الكوليرا) الذي نزل بالشام في أواخر شعبان ودخلت جنازته إلى الجامع الأموي، ولا تَسَلْ عن المجمع المحتشد من أهالي دمشق على طبقاتهم، واحتمل السير به من الجامع إلى مقبرة الدحداح حيث واروه... وعند دفنه هطلت السماء بالغيث المدرار وتذكرت قول من قال: بكت السماء عليه ساعة دفنه»[(٣)] وقد رثاه غير واحد من الأدباء، رحمه الله رحمة واسعة..

٧- الشيخ محمد الخاني:[(٤)]

هو الشيخ محمد بن محمد بن عبدالله، الخاني شهرة، الشافعي مذهبا.

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٢٠١

(٢) تعطير المشام في مآثر دمشق الشام للقاسمي ص ٧١، ٧٨ نقلا عن تاريخ علماء دمشق ج١ ص ٣٠٣، ٣٠٤

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠١، ٢٠٢

(٤) أعيان دمشق ص ٣٨٣-٣٨٥، ومنتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧٦٦، وحلية البشر ج ٣ ص ١٢١٥، ١٢١٨

ولد الشيخ في دمشق في شهر رجب عام سبعة وأربعين ومائتين وألف من الهجرة، نشأ وتربى في حجر والده وحفظ القرآن وهو ابن خمس سنين، وحضر دروس والده كلها من نحو وفقه وحديث وتفسير وتصوف وكلام وحساب، وأكثر من قراءة كتب الصوفية على والده، وقد عكف على العلم باجتهاد ودأب، حتى أذن له والده بالإرشاد العام، وفي عام ١٢٧٨ هـ قصد الديار المصرية، واجتمع بعلمائها الأعلام، كالشيخ محمد الخضري، والشيخ مصطفى المبلط، والشيخ إبراهيم السقا، وكتبوا له إجازات بخطوطهم، ثم عاد إلى وطنه فلم يلبث أن مرض والده، فأقامه مقامه على سجادة الإرشاد العام، فلما توفي سنة ١٢٧٩ هـ نهض بأعباء الخلافة العامة فأقام الأذكار وعقد الدروس، وفي عام ١٢٨٠ قَدِمَ الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق فلازمه الشيخ وحضر عليه كتبا في التصوف، وسمع منه صحيح البخاري وأجازه بسائر مروياته، ولم يزل الشيخ مشغوفا بكتب التصوف حتى صار له في فن التصوف ملكة عظيمة، وفي سنة ١٢٩٥ عقد في جامع السويقة وفي داره دروسًا في الحديث من الصحيحين والسنة وغيرها علاوة على دروسه الأخرى، وقصده الطلبة من كل مكان.

صفاته:

قال عنه الشيخ القاسمي في تاريخه: «كان من عادة الشيخ الملازمة على الخلوة في شهر رمضان وعشر ذي الحجة، وكان مفردا في اللطف والبشاشة، ومؤانسة الجليس، موصوفًا بالعقل الوافر، قوي الفراسة، كثير الحلم، لا تأخذه حدة، محببا لدى الخاصة والعامة، عنده جموع وافرة يومي الثلاثاء والجمعة في جامع المرادية لإسماع الحديث، فيجلس إليه عدد عديد من الطلبة وغيرهم على وقار وهيبة إلى انتهاء الدرس، وكان يوما الثلاثاء والجمعة عنده في الجامع المذكور من المجامع الغريبة كأنه موسم يغد إليه من غالب أنحاء الشام الطلاب

والمريدون حبا للشيخ ودرسه، لما حوى من مكارم الأخلاق، وفوائد العلم»[١].

صلته بالقاسمي:

عندما ذكر مؤلف تاريخ علماء دمشق تلاميذ الشيخ قال: «ومن تلاميذه الشيخ جمال الدين القاسمي، قرأ عليه كتبا كثيرة، منها حاشية الخضري على الملوي على السمرقندية، وحواشي الصبان على العصام على السمرقندية، حواشي بن أبي شريف على العقائد يصف حاشية الصبان على الأشموني، حاشية الأمير على عبد السلام قراءة تحقيق وإمعان... وسمع منه كتب الحديث »[٢].

وقال القاسمي -رحمه الله- في ترجمته للشيخ محمد الخاني: «هو أحد مشايخي الذين صحبتهم، وانتفعت بهم، قرأت عنده كتبا عديدة من فنون متنوعة، ولازمته ليلا ونهارا من عام ١٣٠٣ هـ إلى عام ١٣٠٩ هـ، وسمعت منه حصة وافرة من الموطأ والبخاري وسنن أبي داود والترمذي، وأجاز لي إجازة عامة، وكان يودني المودة الأكيدة، ويتفقدني إذا أبطأت عن زيارته لعارض، ويقبل إلي في مجلسه الإقبال الزائد، ويخصني بالمحاورة والمناظرة »[٣].

وفاته:

توفي الشيخ -رحمه الله- صبيحة يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣١٦ هـ على أثر نوبة قلبية اشتدت عليه من الليل إلى الصباح، ودفن في مقبرة خالد في سفح قاسيون جوار والده بعد أن صلي عليه في الجامع الأموي قبل العصر، وكان الجمع في جنازته وافرًا[٤]، رحمه الله.

---

(١) تعطير المشام لجمال الدين القاسمي ص ٢٨ نقلا عن تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ١٥٤

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٢

(٤) أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر ص ٣٨٣-٣٨٥

٨ - الشيخ حسن جبينة:

هو الشيخ حسن بن أحمد بن عبد القادر أغا، الحلبي الأصل، سبط العلامة الشيخ محمد الدسوقي الشافعي الدمشقي، ولد الشيخ بدمشق سنة ١٢٤١ هـ، وسار بسيرة أسلافه الدسوقيين في العلوم، فقرأ الفقه على الشيخ محمد الخاني(١)، وقرأ النحو على الشيخ عبد الرحمن بيازيد(٢)، ولازم الملازمة التامة دروس الأستاذ الشيخ قاسم الحلاق(٣) - جد القاسمي - فقرأ عليه معظم كتب الفقه والحديث وغيرهما، وأعاد له درسه في جامع السنانية بين العشائين، ثم بعد وفاته لازم الشيخ سليم العطار، وسمع منه مجالس من الإحياء، وتفسير البيضاوي، وفتح الباري، وغير ذلك، وأجازه مشاهير علماء عصره من دمشقيين وغيرهم، وجمع ذلك في تثبت، ولما نقل شيخه قاسم الحلاق إلى إمامة جامع السنانية، صار الشيخ حسن جبينة مكانه إماما في جامع حسان، وقرأ فيه وفي جامع حسان دروسا خاصة وعامة، وانتفع به كثير من الطلبة(٤).

صفاته:

كان الشيخ -رحمه الله- لطيفا ظريفا، سخي الكف، متواضع النفس،

---

(١) سبقت ترجمته ص ٧١-٧٣.

(٢) عبد الرحمن بيازيد عالم فاضل وشيخ معمر الشافعي الحلبي الدمشقي، نقي تقي، سيبويه زمانه، نشأ في دمشق وأخذ عن علمائها، وتصدر للإقراء وانتفع به خلق كثير، وقد انفرد في عصره بعلم النحو حتى أخذه عنه أقرانه، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف. ينظر أعيان دمشق ص ١٦٥

(٣) قاسم الحلاق: جد القاسمي، شافعي المذهب، ولد ونشأ بدمشق وأخذ عن مشاهير رجالها، وبرع في الفقه والتفسير والحديث، وله نظم ونثر حسن، توفي سنة ١٢٨٤ هـ، منتخبات التواريخ ج ٢ ص ٦٧٤

(٤) ينظر ترجمته في تعطير المشام للقاسمي ص ٦-٨ نقلا عن أعيان دمشق ص ٣٣٣-٣٣٥

يغلب عليه السكون والقناعة، له منادمة لطيفة، واطلاع واسع على أخبار المتقدمين، مع استحضار حسن في الفروع الفقهية.

مؤلفاته:

للشيخ -رحمه الله- رسالة في الأخلاق أخذها من القرآن الكريم والحديث الشريف، وله رسائل سواها، وله شعر، وكان شعره لا يخلو من دعابة.

صلته بالقاسمي:

كان الشيخ من شيوخ القاسمي الذين ترجم لهم في تاريخه، وقد انتفع من علمه، وفي ذلك يقول القاسمي: «... وكنت حضرت عليه حصته من شرح الحضرمية، وسمعت منه الشمائل والأربعين النووية وغيرها، وأجاز لي إجازة عامة، وقد انتفعت بصحبته كثيرا جزاه الله خيرا»[١].

وفاته:

في آخر حياته -رحمه الله- أصابه مرض الاستسقاء، وطال به إلى أن توفي قبيل عصر الثلاثاء ثاني عشرة من المحرم سنة ست وثلاثمائة وألف، وشهد جنازته جملة من العلماء وصلى عليه ابن أخته الشيخ محمد سعيد الحلاق (والد القاسمي) ودفن في مقبرة الباب الصغير بجوار مقام سيدنا بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنهم أجمعين[٢].

إلى جانب هؤلاء العلماء السابقين الذين تلقى القاسمي عليهم العلوم والمعارف عن طريق السماع، يوجد أيضا نخبة من العلماء أخذ القاسمي ما عندهم بطريق الإجازة، وطريق الإجازة: هو أحد طرق تحمل العلم، بل إن

(١) تعطير المشام ص ٨ نقلا عن تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٣٠٢

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٦١.

بعض المحققين اختار تفضيل الإجازة على السماع مطلقا[١]، وللإمام مالك -رحمه الله- شروط في الإجازة، منها: أن يكون المستجيز من أهل العلم ومتسما بسمته حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله، وكان -رحمه الله- يكره الإجازة لمن ليس من أهل العلم ولا ممن خدمه وقاسى صناعته[٢]. والقاسمي كان من أهل العلم ومتسما بسمة العلماء وليس أدل على ذلك مما ورد في صفاته وأخلاقه، بل إنه -رحمه الله- قاسى في سبيل نشر العقيدة الصحيحة الكثير والكثير، واتهم بتأسيس مذهب جديد في الدين[٣]، وقد أجازه علماء كثيرون نكتفي بذكر بعضهم.

١ - الشيخ طاهر الآمدي:

هو الشيخ طاهر بن عمر بن مصطفى عرفي زاده، الآمدي، الحنفي.

ولد الشيخ في آمد سنة ١٢١٥ هـ، ثم قدم مع والده دمشق الشام وتوطن

---

(١) هذا بالنسبة للنوع الأول من أنواع الإجازة وهو أن يجيز معَيَّنًا لِمُعَيَّن، كأجزتك أو أجزتكم أو أجزت فلانا الفلاني البخاري، وهذا النوع هو أعلى أنواع الإجازة، والصحيح الذي قاله الجمهور من الطوائف من أهل الحديث وغيرهم واستقر عليه العمل جواز الرواية والعمل بها، وقال الإمام الطوفي في مسألة التفضيل بين السماع والإجازة: الحق التفصيل، ففي عصر السلف السماع أولى، وأما بعد أن دونت الدواوين وجمعنا السنن واشتهرت فلا فرق بينهما.

ينظر ذلك في: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ج ٢ ص ٢٩-٣١ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢ سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) من فهرسة ابن خير للفقيه أبي بكر بن خير الأشبيلي ص ١٥ طبعة الخانجي، مصر ط ٢ سنة ١٣٨٢ هـ، بتصرف، نقلا عن منهج بن عطية في تفسير القرآن الكريم ص ٤١

(٣) لتفاصيل هذه التهمة يراجع تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ج ١ ص ٣٠٠، ٣٠١

بها، وحضر مجالس علمائها، وقرأ على والده، وبه تخرج وانتفع، وتقدم في الفقه الحنفي، وانتقلت إليه بعد والده إمامة الحنفية في الجامع الأموي، ثم ولي أمانة الفتوى بدمشق لتخرجه في مسائل المذهب، وفي أثناء هذه المدة كان يجلس لمراجعة الناس في المدرسة الجمقمقية شمالي الجامع الأموي، ثم انتقل إلى مكان آخر، ولم يزل مفتيًا إلى أن وقعت حادثة النصارى بدمشق ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م فنفي مع من نفي من أعيان الشام وعلمائها إلى قلعة الماغوصة في جزيرة قبرص، وبعد أن مضى عليه سنتان صدر أمر بنقلهم إلى أزمير، ثم طُلبوا إلى الآستانة فسرحوا إلى وطنهم، ثم ولي الشيخ القضاء الشرعي في مدينة خربوط ثم ولي أيضا القضاء بعد ذلك في مدينة حماة، وعندما قدم دمشق واستقام بها تولى وظيفة نيابة محكمة الباب الشرعية بدمشق، وما زال نائبا في هذه المحكمة إلى أن توفي.

صفاته:

كان الشيخ -رحمه الله- صالحا، عابدا، متقشفا، فقيها من صدور دمشق، محققا عمَّ نفعه الأنام، ونفذ أمره عند الحكام، وكان يتقن اللغة التركية.

صلته بالقاسمي:

عندما ترجم له القاسمي في تاريخه قال: «ولي منه إجازة عامة بما يجوز له روايته».

وفاته:

توفي -رحمه الله- في سادس ربيع الثاني عام إحدى وثلاثمائة وألف هجرية، ودفن في مقبرة الباب الصغير قرب مقام سيدنا بلال الحبشي، وقد شهد القاسمي الصلاة عليه في جامع بني أمية، ودفنه في الباب الصغير[(١)].

---

(١) منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧٣٧، أعيان دمشق ص ٣٠٧، ٣٠٨، وتعطير المشام للقاسمي ص ١، ٢ نقلا عن تاريخ علماء دمشق ص ٣٠، وتاريخ علماء دمشق

٢ - الشيخ محمود الحمزاوي:

هو الشيخ محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم، المعروف -كأسلافه- بابن حمزة الحسيني، ينتهي نسبه إلى سيدنا علي رضي الله عنه[(١)].

ولد الشيخ بدمشق ١٢٣٦ هـ ونشأ في حجر والده وقرأ عليه متن القدوري، وشيئا من مبادئ التجويد، وسمع منه الحديث، وقد أخذ العلم عن أجلاء علماء دمشق، فدرس النحو والصرف ومبادئ الفنون من منطق وكلام وأصول وغيرها، وقرأ المغني وشروح الألفية لابن عقيل وابن الناظم والأشموني مع الحواشي، ودرس كذلك على هؤلاء العلماء صحيح البخاري والإمام مسلم، والشفا، والجامع الصغير، وتفسير البيضاوي، وغيره.

وقد أجازه الشيوخ مرارا إجازات عامة وخاصة[(٢)]، وقد ذكر مؤلف تاريخ علماء دمشق أسماء من تلقى عنهم والكتب التي درسها عليهم[(٣)].

تولى الشيخ -رحمه الله- النيابات الشرعية سنة ١٢٦٠ هـ في محكمة البازورية، ثم في محكمة السنانية، ثم في محكمة الباب الكبرى، ثم عين في سنة ١٢٦٧ هـ مديرا لأوقاف الشام، وهكذا ظل الشيخ يتقلب في المناصب حتى تولى إفتاء الشام عام ١٢٨٤ هـ، وظل فيها حتى آخر عمره، وكان -رحمه الله- يُستفتى من أمصار السلطنة بل ومن البلاد الأوربية.

=

ج١ ص ٢٨-٣٠، ص ٣٠٢

(١) منتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٨١٠

(٢) حلية البشر ج ٣ ص ١٤٦٧

(٣) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٥١-٥٣

صفاته:

كان الشيخ -رحمه الله- حسن المحاضرة، ذا نطق فصيح وذكاء وحافظة، محبوبا يقصده الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، مقبول الشفاعة لدى الحكام حتى عند السلطان، صادق الكلام، لا يحب الظهور الفارغ ولا إضاعة الوقت، يميل إلى الوحدة، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، حسن السمت، بهي الطلعة، وافر العقل، رفيع القدر، عاكفا على مطالعة كتب المذاهب وغيرها مع البحث والتأليف، يكره الغيبة في مجالسه الحافلة مع الجلساء بالموضوعات العلمية، وله -رحمه الله- مؤلفات كثيرة.

صلته بالقاسمي:

ذكر القاسمي في تاريخه عند ترجمته له، قال: «ولي منه إجازة عامة بجميع مروياته، وقد أجاز لي ذلك مرتين...»[(١)]، وذكر صاحب فهرس الفهارس أن القاسمي كان يروي عنه[(٢)].

وفاته:

يروى بأنه لما مرض مرض الموت رأى النبي ﷺ فقال له: كيف دخلت يا محمود، وكيف خرجت؟ فأجابه: دخلت على أنك رسول الله. وخرجت على أنك رسول الله ورفض بعد هذه الرؤيا التداوي، ووقع في قلبه أن أجله قد دنا، توفي -رحمه الله- في التاسع من المحرم سنة ١٣٠٥ هـ وكان يوم وفاته حافلا، أحاط بنعشه العلماء والأشراف، وقد رثاه الشعراء بأبيات كثيرة، وذكر القاسمي أيضا في تاريخه: أنه حضر الصلاة عليه بجامع بني أمية، ودفنه في مقبرة باب الفراديس، رحمه الله[(٣)].

---

(١) تعطير المشام للقاسمي نقلا عن المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٢

(٢) فهرس الفهارس ج ٢ ص ٨٨٠

(٣) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٥٨، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ص ٢٤٨

٣ - الشيخ محمد المرتضى الجزائري:

هو الشيخ محمد المرتضى بن محمد السعيد بن محي الدين الجزائري.

ولد الشيخ سنة ١٢٤٥ هـ في القَيْطَنَة[1]، ثم تربى في حجر والده، وقرأ عليه، وانتفع بعلمه، وأخذ عن غيره من فحول العلماء، وظل ملازما لعلماء عصره حتى برع في العلوم، فدرس النحو على عمه، وقرأ الحديث من البخاري ومسلم عليه أيضًا، وقرأ الشمسية، وشرح الكبرى للإمام السنوسي، ثم رحل به والده إلى دمشق عام ١٢٧٣ هـ وهناك قرأ على أفاضل علماء دمشق، وأجازه الشيخ قاسم الحلاق القاسمي.

وظل الشيخ في مشق يرشد الناس ويعظهم، ويعلم العلم، ثم ارتحل الشيخ إلى بيروت لموافقة هوائها له سنة ١٢٩٤ هـ وكان يتردد ما بينها وبين دمشق، غير أن معظم إقامته كانت في بيروت.

وفي بيروت تصدى الشيخ للوعظ والتدريس العام في كتب التصوف، ثم اقتصر على الوعظ والإرشاد في بيته.

صفاته:

كان -رحمه الله- لطيف المجلس، لا يخلو مجلسه من فائدة علمية أو نكتة أدبية، أو حكمة أو مسألة تاريخية، وكان راسخ القدم في العلم والفهم والإدراك، سليط اللسان على المبتدعين، ومن أخلاقه أنه كان يقوم لزائره إلى باب الغرفة، ويستقبله استقبالا مدهشا، ولا يمكن أحدا من تقبيل يده.

صلته بالقاسمي:

قال القاسمي في تاريخه عند ترجمته لهذا الشيخ: «ولما أخبرني في بيروتِ أنه

---

(١) قال: القاسمي: القَيْطَنَة قرية اختطها جده في إيالة وهران من أعمال الجزائر. نقلا عن تاريخ علماء دمشق ج ١ هامش ص ١٨٩

أخذ عن جدي أحببت أن يكتب لي إجازة، فامتنع تواضعا، ثم ألححت فأبدع في تلك الإجازة، وأطلعته في إحدى رحلاته إلى دمشق على كتابي... فقرظه تقريظا بديعا»[١].

وفاته:

توفي في بيروت ليلة الأربعاء الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣١٩ هـ على أثر داء حارت فيه الأطباء، وصلى عليه في الجامع العمري، ودفن في مقبرة الباشورة، وقد رثاه شعراء عصره، رحمه الله[٢].

٤- الشيخ نعمان الألوسي:

هو الشيخ نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الألوسي.

ولد الشيخ يوم الجمعة ثاني عشر من شهر المحرم سنة اثنتين وخمسين بعد المائتين والألف ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م في بغداد.

حفظ القرآن منذ صغره وأتقنه، ثم حفظ المتون المستحسنة، وحضر دروس العلماء الأعلام، ولما أتم علومه التحق بوظائف الحكومة، وتولى القضاء في الحلة وغيرها، ثم ترك المناصب واشتغل بالعلم والتأليف والوعظ والإرشاد.

وفي سنة ١٢٩٥ هـ سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، وزار مصر، وفي سنة ١٣٠٠ هـ سافر إلى الأستانة وأنعم عليه السلطان عبد الحميد بمراتب عالية، وأصدر أمره بإعادة مدرسة مرجان إليه، ولما عاد إلى بغداد تصدر للتدريس وكان رئيسا للمدرسين، وكان منذ صباه شغوفا بالمطالعة، ميالا إلى جمع الكتب النادرة، فوفق لجمع مكتبة حافلة، ثم وقفها على مدرسته، وكان -رحمه الله- عالما ضليعا، وأديبا جليلا، نزيه القلم، عف النفس، واسع الحلم،

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٣٠٣

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٩٢، ومنتخبات التواريخ لدمشق ج ٢ ص ٧٩٣

شديد التحري للحق، سرت في الناس فضائله واشتهرت مناقبه، حتى قصده الطالبون من قاص ودان، وله مؤلفات عديدة[١].

صلته بالقاسمي:

عندما ترجم صاحب تاريخ علماء دمشق للقاسمي ذكر الشيخ نعمان الألوسي ضمن شيوخه الذين أجازوه[٢]، وكذلك صاحب فهرس الفهارس ذكر بأن القاسمي كان يروي عن الشيخ نعمان الألوسي[٣].

توفي -رحمه الله- في شهر المحرم سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م في بغداد.

وبعد فهؤلاء هم بعض شيوخ القاسمي الذين تلقى على أيديهم العلوم والمعارف. وغيرهم كثير لم نذكرهم خشية الإطالة[٤].

وبعد فقد ظهرَ لى أن شيوخ القاسمي كانوا علماء أعلام، تصدروا جميعًا للوعظ والتدريس وإرشاد الناس إلى ما فيه الخير، فقد كان فيهم الفقيه، والصوفي، والمحدث والمؤرخ واللغوي، والمفسر، وتولى بعضهم منصب الإفتاء.

وقد تركوا جميعًا أعمق الأثر في تعليم القاسمي، فلا عجب أن ينشأ القاسمي نشأة صحيحة جعلته «من أشهر علماء عصره، وأكبر الأئمة المصلحين في وقته، وذوي القدم الراسخ والتبحر في كافة العلوم، خصوصًا في التفسير،

(١) ينظر ترجمته في الأعلام الشرقية تأليف زكي محمد مجاهد ج ١ ص ٤١٩ طبع دار الغرب الإسلامي ط ٢ سنة ١٩٩٤م - فهرس الفهارس ج ٢ ص ٦٧٢ - حلية البشر ج ٣ ص ١٥٧١، ١٥٧٤

(٢) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٢٩٩

(٣) فهرس الفهارس ج ٢ ص ٦٧٢

(٤) منهم الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ محمد خليل القاوقجى، والشيخ أحمد الشطى، والكربزي الصغير.

والحديث، والأصول والفقه والكلام...»[١].

مكانة القاسمي بين علماء عصره:

لقد حظي القاسمي -رحمه الله- بمكانة عظيمة بين علماء عصره ووجهاء مصره؛ بسبب ما عُرِفَ عنه من عفة لسان، ونزاهة قلم، وبُعد عن المراء والجدال، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وزهد في المناصب، وتواضع جم. وهذا كله يدل على تقواه، وورعه، وسعة علمه. فلا غرو أن نجد علماء عصره يشيدون بمكانته ويثنون عليه. من ذلك ما قاله:

١- صاحب المنار الشيخ رشيد رضا[٢]:

قال عند ترجمته للقاسمي «هو علامة الشام ونادرة الأيام، والمجدد لعلوم الإسلام محيى السنة بالعلم والعمل والتعليم، والتهذيب، والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن»[٣] وفي موطن آخر يقول «لا يمكن أن تصلح الدولة العثمانية إلا بأن يؤلف لها كتاب ديني عصري يقدم إلى مجلس الأمة، ثم بعد التصديق عليه ينشر للعمل، ولا يستطيع أحد أن يؤلفه إلا جمال الدين القاسمي»[٤].

---

(١) الأعلام الشرقية ج ١ ص ٢٩٠

(٢) صاحب المنار هو العلامة الشيخ رشيد رضا المولود في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ في قرية «القلمون" اللبنانية، نشأ في بيت معروف ومشار إليه بالعلم والرياسة والإرشاد، كان كثير المطالعة والقراءة وكثير الترحال من أجل العم. حتى صار من فحول علماء هذه الأمة. ولقد صدر عن فكره وقلمه من الآثار المفيدة ما يندر صدوره عن العلماء في هذا العصر، توفي في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م ينظر لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم تأليف الأمير شكيب أرسلان تقديم محمد رشيد رضا ص ٢٧، ٣٠، طبع دار البشير القاهرة سنة ١٩٨٥

(٣) مجلة المنار المجلد السابع عشر ج ٨ ص ٥٥٨

(٤) تاريخ علماء دمشق ج ١ ص ٣٠٠

٢ - أمير البيان العربي:

شكيب أرسلان[١] قال في مقدمته لقواعد التحديث «وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهما ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليها خناصرها أن لا تقدم شيئا على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي»[٢].

٣ - الشيخ محب الدين الخطيب:

قال في مقدمته لكتابه إصلاح المساجد: «السيد جمال الدين القاسمي - رحمه الله- مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر فنفع الله بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم»[٣].

٤ - الشيخ عبد الله مصطفى المراغي:

قال عند ترجمته له «كان القاسمي في مقدمة علماء دمشق، وامتاز عن كثير منهم، واشتهر أمره، وكان مستقل الرأي، لا يميل إلى الخرافات، محتفظًا بكرامته، لا يحب الفضول والزلفى، ولم يكتف بالتبحر في العلوم الشرعية بل

---

(١) شكيب أرسلان هو أمير البيان العربي المولو سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ في الشويْفات «بلدة في لبنان" جمع إمارة النسب وإمارة البيان وعاش حياة حافلة أشبه ما تكون بحياة المناضلين الأوائل أصحاب العقيدة والقلم، له مؤلفات كثيرة توفي ليلة الاثنين ١٥ محرم سنة ١٣٦٦هـ ١٩٤٦م بعد أن أصيب بمرض تصلب الشرايين. ينظر لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ص ١٤، ١٥

(٢) مقدمة قواعد التحديث ص ٧

(٣) مقدمة إصلاح المساجد من البدع والعوائد: تأليف/ محمد جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ص ٦ نشر المكتب الإسلامي بيروت ط ٥ سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

درس العلوم العصرية»[1].

٥ - الشيخ محمد بهجة البيطار:

قال في ترجمته له: «كان القاسمي علامة الشام، آية في المحافظة على الوقت، والمواظبة على العمل، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ومدونات السنة وشروحها، ومؤلفات في أصول الدين وأمهات الفقه وأصوله، ومطولات التاريخ والأدب، وكتب المقالات والنحل...»[2].

ولو ذهبنا نسقصي كل ما كتبه العلماء في الإشادة بفضل القاسمي لطال بنا المقام ولكن نكتفي بما ذكر ونحيل على الباقي خشية الإطالة[3].

وكل ما سبق من أقوال العلماء يدل دلالة واضحة على منزلة القاسمي وسعة علمه ومكانته بين علماء عصره.

---

(١) الفضل المبين في طبقات الأصوليين تأليف الأستاذ عبد الله مصطفى المراغي ج ٣ ص ١٦٨ طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تأليف عبد الرزاق البيطار، تحقيقمح بهجة البيطار ج ١ ص ٤٣٨، ص ٤٣٩ طبع المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

(٣) تراجم العلماء المعاصرين للعالم الإسلامي، تأليف أنور الجندي، ص٦٩-٧٨، طبع مكتبة الأنجلو المصرية.

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠، عقائد السلف جمع دكتور علي سامي النشار، عمار جمعي الطالبي ص ٤٧-٤٨ طبع منشأة المعارف الإسكندرية، مقدمة حياة البخاري للقاسمي تحقيق محمو الأرناءوط الطبعة الأولى دار النفائس سنة ١٤١٢، ١٩٩٢، معجم المطبوعات العربية والمعربة جمع وتريب يوسف إليان سركيس ج ٢ ص ١٤٨٣، ص ١٤٨٦، نشر الثقافة الدينية.

المبحث الخامس

آثاره العلمية، تلاميذه، وفاته

تصانيفه ومؤلفاته:

لقد كان القاسمي -رحمه الله- كما وصفه معاصروه - سيال القلم، وقّاد القريحة، قوي الذاكرة سريع المراجعة، وقد كتب كثيرًا من الكتب والرسائل شرحًا وتصنيفًا واختصارًا لبعض المطولات، أحصاها بعض تلاميذه فزادت على السبعين، وهو العقد الذي تعبر به العرب عن الكثرة، وهذه هي أسماؤها مرتبة على حروف المعجم، مصحوبًا بعضها بنبذة قصيرة عما تحويه، وذكر المطبوع منها والمخطوط.

١ - أجوبة لمسائل متنوعة مخطوط.

٢ - الأجوبة المرضية عما أورده كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية وهي مطبوعة في مطبعة روضة الشام بدمشق سنة ١٣٢٦ هـ.

وهي عبارة عن ردود على ابن الهمام فيما ذهب إليه بعدم استحباب سنة المغرب القبلية، وقد بين القاسمي فيها أوجه الصواب في استحبابها مستدلاً على ذلك بما رواه البخاري ومسلم.

٣ - الآراء الفلسفية في الموت مخطوط.

٤ - الارتفاق بمسائل الطلاق مخطوط.

٥ - إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق. وهو كتاب مطبوع في مطبعة المتقتبس بدمشق الشام سنة ١٣٢٩. وهو عبارة عن جواب لسؤال توجه به أحد القضاء إلى القاسمي. عما إذا ورد عليه تلغراف من حاكم أو من ثقة غيره ينبئ بدخول رمضان بالبينة الشرعية عنده، فهل يعمل به. فأجابه القاسمي بما عثر عليه من فتاوى مشاهير العلماء. في هذه المسألة.

٦ - إزالة الأوهام بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي

همّ به عليه الصلاة والسلام. مخطوط

٧ - الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس. وهذا الكتاب مطبوع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣٢. موضوعه الرد على من اعتقد فساد أنكحة العامة وأن أولادهم أولاد زنا بكثرة حلفهم بالطلاق. فذكر فيه القاسمي آداب التطليق، وأحكامه المستنبطة من الكتاب والسنة ومذاهب بعض العلماء في الحلف بالطلاق.

٨ - الإسراء والمعراج. وهو كتاب مطبوع في المكتبة الهاشمية بدمشق وطبعته الأولى كانت في مكتبة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٣١ هـ. ذكر فيه القاسمي - تفسير آيات الإسراء والمعراج. وبين أسرارها ببراعة وسعة فقه وعمق فهم؛ فذكر علة تخصيص الإسراء بالليل، والتعبير بلفظ عبده، والمراد بالمسجد الحرام وسبب تسميته بذلك، وعلة الانتهاء إلى المسجد الأقصى والمراد بالمباركة حوله، والحكمة من مسير النبي لبيت المقدس، ثم ذكر أحاديث الإسراء خاتمًا بجوامع نبأ المعراج، وما قاله الأئمة في معراجه ﷺ مستدلًّا بكلام البخاري ومسلم، والذهبي، وابن حجر.

٩ - إصلاح المساجد من البدع والعوائد. وهو كتاب طبع عدة مرات الطبعة الخامسة بمطبعة المكتب الإسلامي ببيروت - دمشق سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣. بدأ فيه بالكلام عن أقسام البدعة، ثم الحث على السعي بإزالة البدع من المساجد، ثم تحدث عن آدابها، والنهي عن القصاص واللغط والتشويش على المصلي، ثم ختمه بما جاء في الإقناع وشرحه من فروع فقهية في أحكام المساجد.

١٠ - إعلام الجاحد عن قتل الجماعة المتمالئة بالواحد. مخطوط

١١ - إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم. تصحيح وتخريج أحاديث وتعليق حواشيه للشيخ القاسمي. وقد طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٧. وهو عبارة عن إقامة الأدلة على عدم وقوع طلاق الغضبان.

وقد نقل القاسمي في تعليقاته كلامًا لبعض العلماء وضح به ما أبهم في الكتاب. مع الترجيح. وقد ختمه بقصيدة لأديب العراق معروف الرصافي في الانتصار لمذهب ابن القيم وشيخه عليهما الرحمة والرضوان.

١٢ - إفادة من صحا في تفسير سورة والضحى.

١٣ - إقامة الحجة على المصلى جماعة قبل الإمام الراتب من الكتاب والسنة وأقوال سائر أئمة المذاهب وقد طبع بمطبعة الصداقة بدمشق الطبعة الأولى سنة ١٣٤٢. بدأ هذه الرسالة بعظة المخالفين بآيات من الكتاب المبين ثم بأحاديث خاتم النبيين وأقوال بعض المحدثين في التحذير عن الاختلاف، وذكر أمر عمر بن الخطاب بجمع الأشتات في قيام رمضان توحيدًا لكلمة المسلمين، ثم ذكر آراء أئمة المذاهب فيمن صلى جماعة قبل الإمام الراتب.

١٤ - الأقوال المروية فيمن حلف بالطلاق الثلاث في قضية. مخطوط

١٥ - الأنوار القدسية على متن الشمسية في المنطق: وقد كتب عليها إلى آخر قسم التصورات. مخطوط

١٦ - أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي. وهو مطبوع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣١ هـ وقد بين القاسمي فيه محاسن الشريعة الإسلامية وما تمتاز به من يسر وسماحة ومشي مع المصالح في كل شئونها ثم بين أن الله قد رحم الأمة بسبب كثرة مجتهديها وانتشار فقه أئمتها.

١٧ - الأوراد المأثورة. وهي رسالة صغيرة طبعت في بيروت سنة ١٣٢٠. وقد ذكر فيها القاسمي فضل الذكر والدعاء وأهم آداب الدعاء، والأوراد بعد كل صلاة. والحث على ذلك، وعلى جميع أفعال القربات من قراءة القرآن وقيام الليل وكثرة الدعاء فيه والمبادرة إلى الصلاة في أول وقتها، وتجديد التوبة.

١٨ - إيضاح الفطرة في أهل الفترة. مخطوط

١٩ - بحث في جمع القراءات المتعارف. مخطوط

٢٠ - بديع المكنون في أهم مسائل الفنون. مخطوط

٢١ - بذل الهمم لموعظة أهل وادي العجم. مخطوط

٢٢ - بيت القصيد في ديوان الإمام الوالد السعيد. مخطوط

٢٣ - تاريخ الجهمية والمعتزلة. وقد طبع عدة مرات الأولى سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ والثالثة طبعتها مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م. وهو بحث جمع فيه من تاريخ الجهمية والمعتزلة ما يحق أن يأخذ نفسه بتحققه من أنعم عليه بشرف المنزلة. جمع فيه القاسمي ما تيسر من شئونهم. وقد سرد ما وقع من حوادث تاريخية، والوقائع التي جرت من جرائهم، ومع صغر حجم هذا الكتاب إلا أنه جمع فيه مسائل خطيرة - كتكفير الفرق لبعضها.

٢٤ - تعطير المشام في مآثر دمشق الشام ذكره د/ صلاح الدين المنجد في كتابه «معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة»[1]. وقال: بأنه رأى مسودة هذا المؤلف عند الأستاذ ظافر القاسمي -ابن الشيخ- وأخبرني أن أوصى أن لا ينشر هذا التاريخ لأنه لم يراجعه وقال تقي الدين: وخدم دمشق خدمة تذكر فشكر بتاريخه.

٢٥- تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان. مخطوط

٢٦- تفسير القاسمي (المسمى بمحاسن التأويل) وقد طبع بمطبعة الحلبي القاهرة بتعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. وهو يقع في سبعة عشر جزءًا.

٢٧- تعليق على رسالة الإمام الطوفي في تقديم المصلحة في المعاملات على

---

(١) معجم المؤرخين الدمشقيين ج ١ ص ٣٩٧ طبع دار الكتاب الجديد بيروت سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م

النص وقد علق عليها الشيخ ووضحها ونشرتها جامعة الأزهر بمراجعة الأستاذ محمود أبو رية سنة ١٩٦٦ وقد بذل القاسمي جهدًا في تصحيحه والتعليق عليه بما يكمل فوائده وينقح مباحثه وقواعده ويذكر نظائره وشواهده وأوضح ما يحتاج إلى توضيح.

٢٨- تنبيه الطالب إلى معرفة الغرض والواجب طبع في مصر سنة ١٣٢٦ في مطبعة والده عباس

٢٩ - تنوير اللب في معرفة القلب. مخطوط

٣٠ - ثمرة التسارع إلى الحب في الله وعدم التقاطع. مخطوط

٣١ - الجرح والتعديل وقد طبع عدة طبعات الطبعة الخامسة في مطبعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٨، ١٩٨٧. بدأ فيه بميزان الجرح والتعديل ثم منشأ النبز بالابتداع، ومن اشتهر بالرواية عن المبدعين، وقاعدة المحققين في ذلك، ثم ذكر آفات الجرح، والوجوه التي تعرف بها ثقة الراوي، ورد القول بمعاداة المبدعين وتفسيقهم ثم ختم رسالته بحملة الأعلام المحققين على المتفقهة المكفرين.

٣٢ - الجواب السني عن سؤال السيد أحمد الحسني.

٣٣ - جدول في مخارج الحروف وصفاتها.

٣٤ - جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل. نشرته مجلة المنار المصرية.

٣٥ - جواب المسألة الحَوارْنية.

٣٦ - جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب طبع ونشر مؤسسة قرطبة مصر وهو رسالة تضمنت أهم ما أثر عن السلف في علم مكارم الأخلاق والشمائل وأكمل ما نقل عن الخلف عناية بالناشئة أطفال اليوم الذين هم رجال الغد، واحتفاظًا بما يكسب لهم ولقومهم ولوطنهم الفخار والمجد.

٣٧ - الجوهر الصافي في نقابة الأشراف.

٣٨ - حاشية على الروضة الندية.

٣٩ - حسن السبك في الرحلة لوعظ قضاء البنك.

٤٠ - حياة البخاري وقد طبع في مطبعة صيدا بيروت سنة ١٣٣٠ طبعته الأولى، وطبع في دار النفائس بيروت سنة ١٤١٢، ١٩٩٢. وهو كتاب تناول فيه حياة البخاري. وبين أنه أول من صنف الصحيح، وكون جامعه أصح الكتب بعد القرآن الكريم. وذكر فيه أشياء لا غنى عنها لمن يريد أن يتحدث عن البخاري وصحيحه.

٤١ - خلاصة الكلام في وجوب القيام لذكر مولد الخلق عليه السلام وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم فقه تيمور ٥١٣ ميكروفيلم ٢٦٠٥٦. وفيه يرد على العلامة ابن حجر دعواه بأن القيام في مولد النبي ﷺ بدعة.

٤٢ - درء الموهوم، من دعوى جواز المرور بين يدى المأموم.

٤٣ - دفتر أواخر شوال - مخطوط ذكره ابنه ظافر عند ترجمته له في مقدمته لقواعد التحديث ص ٢٩

٤٤ - دلائل التوحيد. طبع هذا الكتب عدة طبعات منها طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م وطبعة دار المدني نشر مكتبة الثقافة بتقديم محمد حجازي سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. وطبعة دار النفائس بتحقيق وتعليق د/ خالد عبد الرحمن العك سنة ١٤١٢، ١٩٩١. ذكرت جريدة الاتحاد العثماني الصادرة في بيروت في عددها ٦٠ بتاريخ ١٦ ذي القعدة عام سنة ١٣٢٦ تحت عنوان دلائل التوحيد... الأستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي المشهور بعلمه وفضله وغيرته ألف كتابا من أحسن المؤلفات «دلائل التوحيد» درى فيه مجرى الباحث الناقد والفيلسوف الخبير، وأبان بأوضح مقال أن الدين لا ينافي

العقل وأنهما متحالفان لا متخالفان. وأيد بالأدلة العقلية والبراهين العلمية والفنية والطبيعية العصرية إثبات الصانع سبحانه، وصحة النبوات، وغير ذلك من الأصول، والعقائد التي جاءت لأجلها الأنبياء...

٤٥ - ديوان الخطب في الوعظ والإرشاد الديني. وقد طبع طبعته الأولى في مطبعة المحمودية التجارية بمصر سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٤. وهو عبارة عن مجموعة خطب منبرية مقتبسة من الخطب النبوية، وخطب الصحابة رضوان الله عليهم، وخطب الأئمة المشاهير. وهي في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والشمائل النبوية، والأوامر والنواهي، والآداب والأخلاق، وأحوال المعاد، ومذيلة بخطبة نكاح مأثورة وأخرى مشهورة.

٤٦ - رسالة في أوامر من مشايخ الأسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي. وقد طبعت بعد نشرها في مجلة المنار سنة ١٣٣١

٤٧ - رسالة في الشاي والقهوى والدخان. طبعت في دمشق سنة ١٣٢٦. وهي رسالة جمع فيها المؤلف ما قيل في شأن الشاي والقهوة والدخان. ولم يكن الباعث على جمعها - كما ذكره القاسمي - الولوع بها لأنه لم يتناول شرب الدخان، ولم يكن ذا صبوة في الشاي والقهوة وقد ختم هذه الرسالة بخاتمة بين فيها ضرورة الاعتناء باستنشاق جيد الهواء.

٤٨ - رسالة في المسح على الجوربين. طبعت في بيروت ط الأولى سنة ١٣٣٢ هـ. وقد طبعه المكتب الإسلامي ببيروت أيضا طبعته الخامسة سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م مذيلاً «بتمام النصح في أحكام المسح للألباني» وقدَّم له العلامة أحمد شاكر وحققه ناصر الدين الألباني. وهي عبارة عن جواب لسؤال وجه إلى القاسمي عن حكم المسح على الجوربين. أبان فيها القاسمي مشروعية المسح على الجوربين، وبيان الأحايث المرفوعة إلى النبي ﷺ في ذلك، ورد الشبه عن هذه الأحاديث، وبين أقوال الصحابة في مشروعية المسح، وبيان من روي

عنه المسح من التابعين والأئمة المجتهدين.

٤٩ - رسالة في المسح على الرجلين.

٥٠ - رفع المناقضات بين ما يزيد في العمر وبين المقدرات.

٥١ - زبدة الأخبار عن أولاد الكفار.

٥٢ - زوال الغشاء عن وقت العشاء.

٥٣ - السطوات في الرد على منع العَشاء قبل الصلوات.

٥٤ - السوانح. مخطوط ذكره الأستاذ ظافر القاسمي في ترجمته لأبيه عند تقديمه لكتاب قواعد التحديث ص ٢٨

٥٥ - الشذرة البهية في حل ألفاظ نحوية طبع في دمشق سنة ١٣٢٢هـ. وهو عبارة عن أجوبة لألفاظ نحوية، وستة ألفاظ أدبية.

٥٦ - شذرة من السيرة المحمدية. وقد طبع بمطبعة المنار مصر سنة ١٣٣١هـ. وقد بين فيها القاسمي شرف العنصر النبوي. وفضل ما ورد في مولده ﷺ ونشأته وبدء البعثة، وحاجة الناس إلى الرسالة المحمدية. وذكر فيها بعض الوصايا النبوية. وختم الرسالة بخاتمة بين فيها أصل قصة المولد. والتحذير من البدع.

٥٧ - شرح لقطة العجلان للزركشي وقد طبع عدة طبعات في مصر الأولى سنة ١٣٢٦هـ ويقع في مائة وسبعين صفحة.

٥٨ - شرح مجموعة أربع رسائل في الأصول. وقد طبع في المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٢٤

٥٩ - شرح مجموعة أربع متون أصولية لأشهر مشاهير علماء المذاهب الأربعة. وقد طبع في دمشق سنة ١٣٢٣هـ.

المتن الأول: مختصر المنار لزين الدين الحلبي الحنفى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ.

المتن الثاني: الورقات لإمام الحرمين ضياء الدين الجويني الشافعي المتوفى

سنة ٤٧٨هـ.

المتن الثالث: مختصر تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤هـ

المتن الرابع: قواعد الأصول لصفي الدين البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٩هـ

علق القاسمي -رحمه الله- على هذه المتون الأصولية الأربعة تعليقات مقتبسة من بعض الشروح والحواشي.

٦٠ - شرح مجموعة ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه وقد طبع طبعته الأولى في مطبعة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٣١. وهي عبارة عن مجموعة رسائل:

الأولى: في أصول التفسير للإمام جلال الدين السيوطي. تشتمل على عريف علم التفسر وبيان أنواعه.

الثانية: في أصول الفقه للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي. وتشتمل على رسائل هامة في علم أصول الفقه.

الثالثة: مجمع الأصول للحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي. وقد علق القاسمي على هذه الرسائل الثلاث تعليقًا أوضح مبهماتها ويسَّرها لقارئها.

٦١ - شرح مختصر المستصفى لابن رشيق.

٦٢ - شرف الأسباط. طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣١ طبعته الأولى. وهي رسالة وضحت أن أصل الشرف من أسباط الحضرة النبوية، وأن شرف النسب النبوي يتوارث بالآباء والأمهات، ولما وهم بعض الناس أن الأسباط لا حظ لهم من الشرف. ألف العلماء في ذلك مؤلفات. وقد جمع القاسمي في هذا الكتاب خلاصة ما عثر عليه من ذلك. مبينا حقوق هؤلاء

الأشراف، مستدلًّا على أقواله بالكتاب والسنة وأقوال فقهاء الأمة. وردَّ الشُّبه التي وردت في حقهم.

٦٣ - شمس الجمال على منتخب كنز العمال.

٦٤ - الطائر الميمون في حل لغز الكنز المدفون. طبع ومعه كتاب ألغاز للشارح نحوية وأدبية نابا عنها. طبع برخصة مجلس معارف ولاية سوريا سنة ١٣١١هـ طبع طبعة ثانية في طبعة روضة الشام سنة ١٣٢٢. وهو عبارة عن شرح للشيخ - جمال الدين القاسمي - على اللغز المرقوم بالكنز المدفون، المشهور بلغز الماء، الذي طبقه على الماء، للعلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٥هـ في كتابه المسمى «بالإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء».

أوله: حمدًا لمن سقى بماء الفهم حدائق الأفكار... إلخ وأول اللغز: ما قولكم في شيء يطير بلا جناح، يبيض ويفرخ في البطاح، رأسه في ذنبه، وعينه موضع قتبه، يسمع بأذن واحدة، وينظر بعين زائدة، له قرن كالنخلة السحوق، يعجب من ينظر إليه ويروق[1].

وقد وضع القاسمي كلام صاحب الكنز المدفون بين قوسين وشرحه.

٦٥ - الطالع السعيد في مهمات الأسانيد.

٦٦ - الطالع المسعود على تفسير أبي السعود «لم يتم».

٦٧ - طراز الخلعة فيما نقل من قول الرملي، وأقسام الاسم تسعة.

٦٨ - العقود النظمية في ذكرى مولد النبي ﷺ وأخلاقه العظيمة، ومحاسن شريعته القويمة.

٦٩ - العلم المنشور في إثبات الشهور تأليف الإمام علي بن عبد الكافي

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية طبع دار الكتب ط ١ ج ٣ ص٢٤٢، سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٧م

السبكي. علق عليه الأستاذ/ محمد جمال الدين القاسمي. وقد طبع عدة طبعات الطبعة الثانية منه طبعتها مكتبة الإمام الشافعي الرياض سنة ١٤١٠. هي عبارة عن شرح للشيخ السبكي لأحاديث تتعلق برؤية الهلال. وقد علق عليه القاسمي تعليقات أزال بها بعض مبهماتها.

٧٠ - غنيمة الهمة على كشف الغمة.

٧١ - فتاوى الأشراف في العمل بالتلغراف - طبع في مطبعة المقتبس بدمشق طبعته الأولى سنة ١٣٢٩: في ذيل كتاب إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق.

٧٢ - فتاوى مهمة في الشريعة الإسلامية في المحاكم العثمانية والمصرية، ومباحث في الإصلاح الإسلامي. طبعت في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣١. وهي نفس الرسالة المسماة بـ «أوامر مهمة بإصلاح القضاء الشرعي» المطبوعة في مطبعة الترقي دمشق سنة ١٣٣١ هـ. وقد سبق الحديث عنه.

٧٣ - الفتوى في الإسلام. طبع في دمشق سنة ١٣٢٩هـ وطبعته دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٩م بتحقيق محمد عبد الحكيم القاضي وهو كتاب جدير بالاهتمام لمن يتولى منصب القضاء أو وظيفة الإفتاء. وقد استطاع القاسمي -رحمه الله- أن يجمع فيه حشدًا كبيرًا من مسائل الفتوى: تاريخية، أصولية، سلوكية، فكان كتابه بمثابة القانون الذي يضبط هذا الأمر إضافة إلى ذكره الكثير من المصادر والمراجع.

٧٤ - فصل الكلام في حقيقة عود الروح إلى الميت حين الكلام.

٧٥ - الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين ويعرف بشرح الأربعين العجلونية طبعته دار النفائس بيروت عدة طبعات الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م والثانية سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م بتحقيق الأستاذ عاصم بهجة البيطار. وهو عبارة عن شرح للشيخ القاسمي للرسالة المسماة «عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثا

من أحاديث سيد المرسلين» للإمام الشيخ إسماعيل العجلواني، وقد شرح القاسمي أحاديث هذه الرسالة الشريفة، وذكر تراجم أرباب المسانيد، وضبط ما أبهم من أسماء الرواة، وساق فيها فوائد ولطائف عن الثقات.

٧٦ - قاموس الصناعات الشامية. يقع في جزئين الجزء الأول تأليف محمد سعيد القاسمي والد الشيخ جمال الدين القاسمي وصل فيه إلى حرف السين ثم توفي وأتمه جمال الدين القاسمي وخليل العظم. وقد نشر هذا الكتاب بتحقيق ظافر القاسمي نشر موتون وشركاه باريس لاهاي سنة ١٩٦٠.

وهذا الكتاب تضمن مدخلا اعتبر فيه المؤلف أن نظام العالم متوقف على الصناعة. ومقدمة اشتملت على معنى الرزق والكسب... ثم أعقب المقدمة بثلاثة فصول. وبالجملة فهذا الكتاب فيه وصف لصناعات الشام يعتبر أدق وصف وأوفاه، فهو وثيقة تاريخية هامة تتضمن تصويرًا للصناعات الشامية، وحصر جميع الصناعات المعروفة.

٧٧ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. وقد طبع عدة طبعات طبعته دار إحياء الكتب العربية مصر ط ٢ سنة ١٣٨٠، ١٩٦١م بتحقيق محمد بهجة البيطار. وهو كتاب تحدث فيه المؤلف عن فضل علم الحديث، وعلومه ومصطلحاته، ورواته، وكتبه ومصنفيها، ودرجات الحديث، وما يحتج به من الحديث وما لا يحتج به، وحكم العمل به، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بعلم الحديث والتي لا غنى لطالب الحديث عنها.

٧٨ - كتاب في العبادات ذكره صاحب المنار وأشار بأنه مخطوط لم يطبع وذلك في أثناء حديثه عن مصنفات القاسمي في مجلة المنار المجلد السابع عشر الجزء الثامن ص ٦٣٠٨

٧٩ - الكناسة في الفقه والحديث والأدب والتاريخ.

٨٠ - الكواكب السيارة في مدح الفوارة.

٨١ - كيف وجدت المذاهب وما سبب اختلافها.

٨٢ - لزوم المراتب في الأدب مع الإمام الراتب.

٨٣ - اللف والنشر، في طبقات المدرسين تحت قبة النسر.

٨٤ - ما قاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير. مخطوط ذكرها ابنه ظافر عند ترجمته لأبيه في مقدمته لقواعد التحديث ص ٢٤. وقد ألفها القاسمي عند ما أصيب بهذا المرض، قال عنها عميد كلية الطب: «رسالة جامعة لكل ما يريد الباحث معرفته مما قيل في هذا المرض قديما وحديثا».

٨٥ - مباحث أحكام الشريعة في الجماعة.

٨٦ - مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن. وقد طبع عدة طبعات الطبعة الأولى في دمشق سنة ١٣٢٨، وطبع بمؤسسة قرطبة مصر. وفيها تحدث المؤلف عن أهمية هذه المسألة، وما قاله فلاسفة اللغة في الجن، وما زعمه الناس في هذه المسألة، وجمع فيها أقوال متقدمي فلاسفة الإسلام في الجن. ثم ختم كتابه بفوائد متفرقات لجمع شوراد هذه المسألة.

٨٧ - المسند الأحمد على مسند الإمام أحمد.

٨٨ - المفكرات اليومية. مخطوط ذكرها ابنه ظافر عن ترجمته لأبيه في مقدمته لقواعد التحديث ص ٢٦ ألفها القاسمي في ١٤ رمضان سنة ١٣٢٧هـ

٨٩ - المفكرة اليومية. مخطوط. ذكرها أيضا ظافر القاسمي في مقدمته لقواعد التحديث ص ٢٥، ٢٦ ألفها القاسمي سنة ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

٩٠ - مقالة في القلب.

٩١ - منتخب التوسلات. طبع طبعته الأولى بمطبعة روضة الشام سنة ١٣١٨هـ. وهو كتيب صغير ذكر فيه الشيخ أدعية وتوسلات من أجل تلاوتها لحفظ الإنسان من الآفات وتفريج الكروب والهموم، ولنيل الأماني والظفر بالخيرات. وقد صدرها المؤلف بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الداعي. وبيان

الأوقات التي يستحب فيها الدعاء، وكثرة الإلحاح في الدعاء، وعدم استعجال الإجابة. ثم ذكر كيفية الدعاء المصحوب بالإجابة إن شاء الله. ثم ختم رسالته ببعض الأدعية الواردة في الكتاب والسنة.

٩٢ - موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين وقد طبع بمصر سنة ١٣٣١. وهو اقتباس من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي. اقتصر فيه المؤلف على اللباب من الإحياء وجرده من الأحاديث الواهية الموضوعة، استغنى عن بعض الأبواب فيه لورود ما يسد مسدها في غيرها، وعزف عن المئات من الحكايات والأخبار التي تدور حول كرامات الأولياء وعجائب الزهاد والعباد، ورأي في عرض العقيدة ببساطتها وجمالها وعمق تأثيرها ما يغني عن ذلك كله.

٩٣ - النفحة الرحمانية على متن الميدانية في علم التجويد. طبع بدمشق طبعته الأولى سنة ١٣٢٣. تكلم فيها القاسمي عن شرح البسملة وسبب تصدير الكتاب بها، ثم عن علم التجويد، وأصل هذه الكلمة، وتعريفه، واستمداده، ثم عرَّف المد وأنواعه، وشرح ذلك شرحًا موجزًا، ثم تكلم عن أحكام النون الساكنة والتنوين، وحروف القلقة، والحروف القمرية، وعن الميم الساكنة، والتفخيم والترقيق، ثم حث على الترتيل والعناية بتدبر الآيات، واستدل على ما قال بكلام ابن الجزري في مقدمته لعلم التجويد. وبالجملة فهي رسالة سهلة في بابها، موجزة في عبارتها. وحري بطالب علم القرآن أن يقف على ما فيها. وفي النهاية ذيلها القاسمي بتكملة مهمة في آداب التالي والتلاوة.

٩٤ - نقد النصائح الكافية. وقد طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٢٨ طبعته الأولى.

وهو عبارة عن ردّ للقاسمي على كتاب «محمد بن يحيى بن عقيل» المسمى «بالنصائح الكافية لمن يتولى معاوية». لما رأى القاسمي -رحمه الله- أن صاحب

النصائح الكافية جرَّح سيدنا معاوية ﷺ ورهطه، وجوَّز لعنه وسبه، زاعمًا أن سيدنا معاوية لم يخش في أعماله ربه. قام القاسمي بتأليف هذا الكتاب الذي يشتمل على تعديل سيدنا معاوية وقبول مروياته ومرويات الصحابة الذين كانوا معه. وذكر بأن هذا هو ما عليه الإمام البخاري ومسلم وسائر المحدثين والظاهرية وغيرهم. فبدأ القاسمي كتابه بمقدمة بيَّن فيها أصلًا المسألة التي اختلف فيها المسلمون بين سيدنا علي وسيدنا معاوية وحدَّد موقف كل منهم. ثم بيَّن معنى اللعن والشتم والسباب. ثم ذكر بأن هذه الأشياء لا تتخذ مطية في إظهار الحق، وأن ذلك منهي عنه في الشرع. ثم بيَّن مكانة سيدنا معاوية بين أصحابه، وبين معنى الأخوة الإيمانية، وردَّ الكثير من الشبه التي ألصقوها بسيدنا معاوية. وختم الكتاب ببيان فضائل سيدنا معاوية.

٩٥ - هداية الألباب، لتفسير آية ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

٩٦ - الوعظ المطلوب من قوت القلوب.

٩٧ - وفاء الحبيب وحده، في إيضاح جهة الوحدة.

٩٨ - ينابيع العرفان، في مسائل الأرواح بعد مفارقة الأبدان.

تلاميذه:

كان القاسمي - رحمه الله - من كبار الأئمة في عصره، والمصلحين في وقته، وقد فتح بيته لتلاميذه ومريديه، وانتفع بعلمه ومؤلفاته خلق كثير. وأصبحوا بعد وفاته من أعلام عصرهم. نذكر منهم على سبيل المثال:

١ - الشيخ محمد بخيت المطيعي:

هو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي: الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها. ولد في بلدة «المطيعة» من أعمال أسيوط سنة ١٢٧١هـ ١٨٥٤م، تعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة ١٢٩٧هـ.

واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، وكان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قاربها الشيخ محمد عبده.

عين مفتيا للديار المصرية سنة ١٣٣٣هـ إلى ١٣٣٩هـ ١٩١٤ إلى ١٩٢١م. ولزم بيته يفتي ويفيد وله مؤلفات عديدة منها: إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة، أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام، حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن وغير ذلك العديد(١).

صلته بالقاسمي:

ذكر صاحب الأعلام الشرقية عند ترجمته للشيخ المطيعي بأنه أخذ العلوم الفلسفية عن السيد جمال الدين القاسمي(٢).

وفاته:

توفي -رحمه الله- بالقاهرة في ٢١ رجب سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥م.

٢ - الشيخ محب الدين الخطيب:

هو الشيخ محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صلاح الخطيب. من كبار الكتاب الإسلاميين والسياسيين.

ولد في دمشق سنة ١٣٠٣، ١٨٨٦، وتلقى تعليمه الإبتدائي في مدارسها، ثم تحول لتحصيل الدراسة الثانوية في مكتب عنبر، وفي مدرسة بيروت، ثم مضى إلى استنابول حيث انتسب إلى مدرسة الحقوق فيها، وقد عمد هو وجماعة من

---

(١) الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٥٠، معجم المؤلفين لعمر كحالة المجلد الخامس ص ٩٨-٩٩، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية تأليف زكي محمد مجاهد ج ٣ ص ٥٦-٥٩ طبع مطبعة حجازي مصر سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥، معجم المطبوعات العربية جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس ص ٣٣٨، ٣٣٩ طبع مطبعة سركيس مصر سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م

(٢) الأعلام الشرقية ج ٣ ص ٥٦

أصحابه إلى إنشاء جمعية بدمشق سميت «النهضة العربية» وكان من أعضائها د/ صلاح الدين القاسمي ثم رحل إلى صنعاء فترجم عن التركية، وعمل في بعض مدارسها، ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٢٠٨ عاد إلى دمشق ثم زار الأستانه، ومنها قصد القاهرة سنة ١٩٠٩ فعمل في تحرير المؤيد، وانتدبته إحدى الجمعيات العربية في أوائل الحرب العالمية الأولى، للاتصال بأمراء العرب، فاعتقله الإنجليز في البصرة سبعة أشهر، ولما أعلنت في مكة الثورة العربية سنة ١٩١٦ قصدها، وحرر جريدة «القبلة» ثم استقر في القاهرة، وعمل محررًا في الأهرام، وأصدر مجلتيه «الزهراء» و«الفتح»، وكان من أوائل مؤسسي جمعية الشبان المسلمين، وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، وأنشأ المطبعة السلفية، ومكتبتها، وأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها، وله مؤلفات كثيرة منها:

[١] اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.

[٢] تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس. [٣] الرعيل الأول في الإسلام.

[٤] الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه... وغير ذلك الكثير[١].

صلته بالقاسمي:

ذكر الشيخ محب الدين الخطيب وأن القاسمي -رحمه الله- من الذين تلقى على أيديهم العلوم والمعارف في الحلقة النورنية التي كانت تقام بدمشق[٢].

---

(١) المستدرك على معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية تأليف عمر رضا كحالة ص ٥٧٦، ٥٧٧ طبع مؤسسة الرسالة ط ١ سنة ١٤٠٦، ١٩٨٥، الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٨٢

(٢) مقدمة د/ صلاح الدين القاسمي - آثاره -.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

٣ - د/ صلاح الدين القاسمي:

هو صلاح الدين بن محمد بن سعيد، طبيب، أديب. من طلائع الوعي القومي العربي في سوريا.

ولد سنة ١٣٠٥هـ ١٨٨٧م في دمشق وتعلم فيها، وتخرج عام ١٣٣٢هـ ١٩١٤م بمدرستها الطبية، وأحسن التركية والفارسية والفرنسية، وشارك في تأليف جمعية النهضة العربية بدمشق، واختير كاتما لسرها، ولم يجاوز التاسعة عشرة من عمره.

كتب، وخطب، وحاضر، ونظم شعرًا، فكان من الدعاة الأوائل لإثارة «المسألة العربية» و«مبدأ القوميات» وزار الأستانة مع وفد من أعيان دمشق سنة ١٩٠٩ للتهنئة بالحكم الدستوري، فنشر ١٢ مقالاً عن رحلته، وست مقالات عن «المنفلوطي وكتابه النظرات» وحذّر من الخطر الصهيوني. عمل طبيبا في بعض مدن الحجاز إلى أن توفي(١).

صلته بالقاسمي:

ذكر صاحب الأعلام بأن د/ صلاح الدين القاسمي تأدب بالعربية على يد أخيه علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي.

وفاته:

توفاه الله عن عشرين عامًا ونيّف، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف سنة ١٣٣٤، ١٩١٦(٢).

---

(١) الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٠٨، ٢٠٩، المستدرك على معجم المؤلفين ص ٢٩٧

(٢) مقدمة د/ صلاح الدين القاسمي - آثاره -

٤ - حامد التقي:

هو حامد (أو محمد حامد) بن أديب بن أرسلان التقي، فقيه حنفي، متأدب، من أهل دمشق عين مدرسًا في جامع الحبوبي لتعليم التربية الدينية، واللغة العربية. وتولى الإفتاء لقضاء البنك، وخطيبًا بجامع الصابونية، وحافظا للمكتبة الظاهرية.

كان يحرص على ما يحصل عليه من إجازات شيوخه ووثائق تعيينه. وكتب ورقة بخطوط من أدركهم من علماء دمشق فذكر منهم القاسمي.

صلته بالقاسمي:

قال محقق كتاب الفضل المبين(١) كان الشيخ حامد التقي من أكبر تلاميذ القاسمي سنًّا وأقدمهم صحبة، وأكثرهم ملازمة له. وذكره الأستاذ ظافر القاسمي عند ترجمته لوالده «ضمن تلاميذه».

وفاته:

توفي -رحمه الله- عام ١٣٧١هـ ١٩٦٧م(٢).

٥ - محمد بهجة البيطار:

هو الشيخ محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار.

ولد بدمشق في الثاني من رمضان سنة ١٣١١هـ ١٨٩٤، تلقى مبادئ علوم الدين واللغة عن والده، وأتم دراسته الابتدائية والإعدادية، ثم تابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقلية على والده، وعلى جده، وعلى

---

(١) الأستاذ عاصم بهجة البيطار

(٢) الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين ص ٨، ٤٥٢. المستدرك على معجم المؤلفين ص ١٨٤، الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١٦٠

شيوخ عصره الأعلام كالشيخ جمال الدين القاسمي، ومحمد الخضر حسين التونسي... وغيرهم كثير.

تولى الخطابة والإمامة والتدريس سنة ١٣٢٨ في جامع القاعة بحي الميدان، خلفًا لوالده، عين سنة ١٣٤٠هـ من قبل مديرية المعارف بدمشق معلمًا في مدرسة الميدان الابتدائية وفي سنة ١٣٤٢هـ انتخب عضوًا عاملاً في المجمع العلمي العربي.

وفي سنة ١٣٤٥هـ اشترك بمؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة، وبعد انتهاء المؤتمر استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود ليشرف على المعهد العلمي السعودي.

ولما عاد إلى دمشق سنة ١٣٥٠هـ عاد إلى التدريس والإمامة والخطابة.

وفي سنة ١٣٥٣هـ تولى التدريس في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات ببيروت.

له مؤلفات كثيرة وأبحاث نشرت في الصحف العربية(١).

صلته بالقاسمي:

عند تقديم الأستاذ عاصم بهجة البيطار لكتاب الفضل المبين قال: «كان والدي تلميذًا للشيخ القاسمي، وكان ملازمًا له شديد التعلق به، وقد كان للشيخ -رحمه الله- أثر كبير في والدي..(٢). وما سمعت والدي يذكر القاسمي إلا بقوله: «شيخنا علامة الشام أو «شيخنا القاسمي» وما سمعته يذكره مرة إلا والبكاء يكاد يغلبه(٣).

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ٢ ص ٩١٨-٩٢٥، المستدرك على معجم المؤلفين ص ٦١٤، ٦١٥

(٢) مقدمة «الفضل المبين" ص ٦

(٣) المرجع السابق ص ٢١

وفاته:

توفي يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ. ودفن بمقبرة باب مصر في جنوبي الميدان(١).

٦- أحمد محمد شاكر:

هو الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر يرفع نسبه إلى الحسين بن علي -رحمه الله- ولد بالقاهرة يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٢.

كان والده أمينا للفتوى بمصر، فقضى من طفولته ثمان سنوات بالقاهرة، ثم سافر مع والده إلى السودان حيث عين الوالد في منصب قاضي القضاه بالسودان سنة ١٩٠٠م ثم عاد الوالد إلى مصر ليتولى مشيخة العلماء بالأسكندرية فألحقه بمعهدها سنة ١٩٠٤م وأكبّ على التحصيل إكبابًا أظهر معدنه، ومهّد لغده، وكان من حظِّه أن يأخذ الفقه، والأصول على أستاذ مبرز: هو الشيخ محمود أبو دقيقة، عضو جماعة كبار العلماء فيما بعد، ولما انتقل والده إلى القاهرة ألحقه بالأزهر، ففاز بشهادة العالمية سنة ١٩١٧، وعين مدرسًا لمدة أربعة أشهر، ثم انتقل إلى القضاء فظلّ به حتى صار عضوًا بالمحكمة الشرعية العليا ورئيسًا لها، وأحيل إلى المعاش سنة ١٩٥١م. وانقطع بعدها للتأليف والنشر وله مؤلفات كثيرة منها:

[١] شرح مسند الإمام أحمد. [٢] عمدة التفسير.

[٣] نظام الطلاق في الإسلام... وغيرها الكثير(٢).

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ٢ ص ٩٢٣

(٢) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين للدكتور/ محمد رجب البيومي ج ٤ ص ١١٥-١٤٠، طبع مجمع البحوث الإسلامية السنة الخامسة عشر، الكتاب الثالث، سنة ١٤٠٥، ١٩٨٤، الأعلام ج ١ ص ٢٥٣

صلته بالقاسمي:

عند تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر لكتاب «المسح على الجوربين للقاسمي» قال: «أستاذنا القاسمي -رحمه الله- كنت ممن اتصل به من طلاب العلم، ولزم حضرته، واستفاد من توجيهه إلى الطريق السوي، والسبيل القويم»(١).

وفاته:

توفي -رحمه الله- في يوم السبت ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ١٤ من يونية سنة ١٩٥٨م(٢).

٧- محمد جميل الشطي:

هو الشيخ محمد جميل بن عمر بن محمد بن حسن بن عمر جلبي الشطّي. فقيه حنبلي، أديب، مؤرخ. أصله من بغداد، ولد في دمشق ١٨ صفر سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٢.

درس مبادئ العلوم على عمه، وأخذ الفقه الحنبلي، والفرائضي عن والده، ثم عن عمه الآخر الشيخ أحمد الشطي، وتلقى طرقًا من الحديث عن الشيخ بكري العطار... وغيرهم كثير. قرأ بنفسه بعض كتب التفسير، والحديث، والفقه، والفرائض، وانتفع بها، وأجازه بعض الشيوخ لفظا وكتابة.

عمل موظفًا في المحاكم الشرعية، ثم ولى النيابة الحنبلية، فرئاسة الكتاب في محكمة دمشق الشرعية، فمفتيًا للحنابلة، وولى الخطابة، والإمامة بجامع بني أمية، وانتخب عضوًا بجمعية العلماء بدمشق.

اهتم بالتأليف صغيرًا، فكتب سنة ١٣١٧هـ رسالة «الضياء الموفور في

---

(١) مقدمة المسح على الجوربين ص ٤

(٢) النهضة الإسلامية ج ٤ ص ١١٥

تراجم بني فرفور» ثم توالت تآليفه: منها:

[١] رسالة في علم الفرائض

[٢] قانون الصلح [٣] مختصر طبقات الحنابلة

[٤] الوسيط في الإفراط والتفريط... وغير ذلك الكثير[١].

صلته بالقاسمي:

عند ترجمة الشيخ محمد جميل الشطي لوالد القاسمي ذكر بأن والده خلف أولادًا أربعة، وعند ذكر القاسمي قال: «أستاذنا العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي»[٢].

وعندما ترجم صاحب تاريخ علماء دمشق للشيخ الشطي قال: «لازم الشيخ جمال الدين القاسمي ملازمة تامة، وأخذ عنه في أكثر العلوم وتأثر به»[٣].

وفاته:

توفي -رحمه الله- في ١٦ المحرم سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م ودفن في تربة الذهبية من مقبرة الدحداح[٤].

وبعد فهؤلاء هم بعض تلاميذ القاسمي الذين تأثروا به ونهلوا من معارفه: واستفادوا من علمه. رحمهم الله جميعًا.

وفاته:

اتفقت جميع كتب التراجم التي ترجمت للشيخ بأن وفاته عام ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين من الهجرة دون تحديد لليوم والشهر الذي مات فيه

---

(١) تاريخ علماء دمشق ج ٢ ص ٧٠٤-٧٠٨، الأعلام ج ٦ ص ٧٣

(٢) أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر. تأليف العلامة محمد جميل الشطي ص ٣٩٨

(٣) تاريخ علماء دمشق ج ٢ ص ٧٠٤

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٧٠٩

والمكان الذي دفن فيه ولكن بعد الاطلاع على كا كتبه ولده الأستاذ ظافر القاسمي في ترمته لأبيه في الجزء الثاني من قاموس الصناعات الشامية وجدنا فيه تحديث اليوم والشهر والمكان فقال: «ووافاه أجله مساء السبت في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق للثامن عشر من نيسان (أبريل) سنة أربعة عشر وتسعمائة وألف ميلادية. ولم يبلغ الخمسين من عمره -رحمه الله- وأجزل ثوابه، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق[(١)].

هذا وقد رثاه شقيقه الدكتور صلاح الدين القاسمي بقصيدة أسماها «الدمعة اليتيمة» منها:

نـــم هنيئـــا في ذمـــة الله نفـــس	طلبـــت في حمـــاه أســـمى مقـــلي
قـد صـغت جـوهرًا فخفـت فطـارت	في فضـــاء الفـــردوس للتبجيـــل
فاحرســـيها ملائـــكَ الله دومًـــا	إنـــه كـــان كـــالملاك الجميـــل
رفـــرفي فوقهـــا ضـــحى، وضـــعيها	مـــن زهـــور التكـــريم في إكليـــل
أنشـــدي حولهـــا مـــدائح شـــعر	ذهبـــي يـــزين شـــمس الأصـــيل
إنـــها لـــن تـــموت مـا دام في التـا	ريخ يحيى ذكر الإمام الجلـــيل[(٢)]

رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) قاموس الصناعات الشامية ج ٢ ص ٢٠٦

(٢) الدكتور صلاح الدين القاسمي آثاره ص ٢٩٣



الباب الثاني

آراء القاسمي الكلامية

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الإلهيات.

الفصل الثاني: في النبوات.

الفصل الثالث: في السمعيات.

الفصل الأول

الإلهيات عند القاسمي

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: منهج علماء الكلام في الاستدلال على وجود الله

المبحث الثاني: منهج القاسمي في الاستدلال على وجود الله.

المبحث الثالث: في إثبات الصفات إجمالاً ومنهج القاسمي في ذلك.

المبحث الرابع: في الصفات الخبرية ومنهجه فيها.

المبحث الخامس: في إثبات صفة الكلام ومنهجه فيها.

المبحث الأول

الاستدلال على وجود الله

ويشتمل على:

١- تمهيد.

٢- منهج علماء الكلام في الاستدلال على وجود الله.

٣- تعقيب.

تمهيد

لقد درج العلماء في الاستدلال على وجود الله تعالى مدارج كثيرة، وكل من المتكلمين والصوفية والفلاسفة حاول الاستدلال على وجوده تعالى، وكانت قوة دليل كل منهم مرتبطة بالداعي إليه.

ولم ينكر وجود الخالق إلا شرذمة من الملاحدة ومن على شاكلتهم، وهؤلاء لا يستندون إلى دليل في دعواهم، اللهم إلا المكابرة والجحود والإنكار، فبعضهم يرى أن العالم في الأصل جزئيات متفرقة تتحرك على غير استقامة، واجتمعت إلى بعضها بطريقة المصادفة، فحصل عنها العالم بالشكل الذي نراه[١].

ومثل هذا الإضراب في الفكر يجعل الاستدلال على وجود الله أمرًا بالغ الأهمية؛ إذ يوحي بأن هناك من البشر من لا علاقة لهم بعالم السماء ولا يعرفون شيئًا عن خالقهم، وهؤلاء قد انشغلوا بملذات الحياة وجعلوا الحصول عليها غاية الغايات، ولم ينظروا مرة إلى أنفسهم أو إلى الكون ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى، وفي هذا نسيان لإنسانيته، وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى، وهي نسيان هذه المخلوق لنفسه فلا يدخر لها زادا للحياة الطويلة الباقية ولا ينظر فيما تقدم لها في الغداة من رصيد[٢].

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، تحرير وتصحيح الفرد جيوم صـ١٢٣، مكتبة المثنى بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن تأليف: الشيخ سيد قطب. جـ٦، صـ٣٥٣١، طبعة: دار الشروق، ط١٢، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ووجود هذه الأصناف دفع العلماء لإقامة الأدلة على وجوده تعالى إحقاقًا لقدر الربوبية ووفاءً لعظمتها واستجابة للاستشعار بحاجة الإنسان إلى الوجود الإلهي من بداية خلقه ورجعته، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، فإذا كنا نحتاج إلى الله تعالى في جميع شئوننا، وجميع حوائجنا مرفوعة إليه فيكون وجود الله لنا ضرورة ولسنا نحن ضرورة له، فلا غنى للكائن عن المكون ولا للمحتاج على الغني، وما دام الله غير محتاج في ذاته ووجوده إلى أحد وغير مفتقر إلى عبادة عابد، فإن الاستدلال على وجوده ووحدانيته لا يحقق الوجود الذاتي له -جل جلاله- كما لا يدعم الوحدانية لله بقدر ما يشبع حاجة الإنسان الحقيقية في الافتقار دائمًا إلى واحد يستجيب بمحض فضله لمطالب العبيد ويتولى أمورهم، فالاستدلال إذًا من هذه الاعتبارات راحة للمستدل وبني جنسه المقرين بالألوهية، ومحاولة لجذب المفكرين إلى ساحة الاعتراف والإيمان كي ينعموا بهذا اليقين في رحاب إله واحد وسعت رحمته كل شيء، وهو أيضًا تعبد لمن يقوم بصياغة الدليل عن طريق التأمل والتدبر والنظر[(١)].

---

(١) «الألوهية في الفكر الإسلامي» تأليف الدكتور/ عبد الله بن يوسف الشاذلي، صـ٧٣، ٧٤، طبعة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. بتصرف.

المبحث الأول

الاستدلال على وجود الله

منهج علماء الكلام في الاستدلال على وجود الله:

أولاً: طريق المتكلمين:

سلك المتكلمون في الاستدلال على وجود الله تعالى مسلك الجواهر والأعراض، إذ أنهم استدلوا بحدوثها وإمكانها وجعلوه دليلاً على حدوث العالم، وفي يقول الرازي الأشعري: «قد عرفت أن العالم إما جواهر وإما أعراض، وقد يستدل بكل واحد منهما على وجود الصانع، إما بإمكان أو حدوثه فهذه وجوه أربعة؛ فالأول: الاستدلال بحدوث الأجسام وهو طريقة الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦][(١)]، وقد سبق المعتزلة[(٢)] والماتريدية[(٣)]، الأشاعرة في استخدام هذا الطريق».

وقد شرح الأشاعرة حدوث الجواهر والأعراض[(٤)]، فقالوا: إن العالم

---

(١) "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء المتكلمين» للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، وبذيله كتاب «تلخيص المحصل" للعلامة نصر الدين الطوسي صـ١٤٧، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) «الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق الإمام/ أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان صـ٩٢، مكتبة وهبة الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٥م.

(٣) «منهاج الأدلة في عقائد الملة» لابن رشد مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام، تقديم وتحقيق د/ محمود قاسم صـ٢٠، ٢١، مكتبة الأنجلو المصرية ط سنة ١٩٥٥م.

(٤) الجوهر: هو ما قام بنفسه؛ أي: الذات والجسم الذي يشغل حيزًا من الفراغ.

والعرض: هو الصفة التي تعرض للذوات أو هو الذي يمكن فيه أن يوجد لشيء واحد بعينه وألا يوجد.

«المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد» تأليف د/ نشأت عبد الجواد ضيف صـ٢٨٥، نقلاً عن «توضيح التوحيد» الجزء الأول صـ٥٣، إيساغوجي لغرفويوس، بقلم د/ أحمد

ينقسم إلى جواهر وأعراض ولا يخرج عنهما، والأعراض حادثة، والدليل على حدوثها أننا نشاهدها موجودة بعد أن لم تكن كحركة الجسم بعد سكونه، وهذا حادث بالمشاهدة، والسكون حادث أيضًا؛ لأنه ينعدم بعد الحركة، ولو كان قديمًا لاستحال عليه العدم، وبذلك ثبت حدوث الأعراض بالمشاهدة.

والجواهر كذلك حادثة؛ لأنها لا تخلو عن الحوادث، إذ أنها لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان، فالجواهر لا تخلو عن الحوادث، وأما القول بأن ما لا يخلو عن الحوادث حادث فلأن الجواهر التي لا تخلو عن الحوادث إما أن تكون موجودة معها أو بعدها، والموجود مع الحادث أو بعده لا بد أن يكون حادثًا[١].

وأما الدليل على إمكان الجواهر فيكون بتركيبها من أجزاء، والواجب لا يتركب من أجزاء ولا يتعدد، فهي إذًا ممكنة والممكن: ما استوى طرفاه وجودًا وعدمًا، ولا بد لوجوده من علة مؤثرة فيه، وفي ذلك يقول صاحب شرح المواقف: «الاستدلال بإمكانها: وهو أن العالم الجوهري ممكن؛ لأنه مركب من الجواهر الفردية إن كان جسمًا وكثيرًا: إن كان جسمًا، أو جوهرًا فردًا، والواجب لا تركب فيه ولا كثرة، بل هو احد حقيقي ؛ وكل ممكن؛ فله علة مؤثرة»[٢].

وأما الدليل على إمكان الأعراض فهو: «أن الأجسام متفقة في الحقيقة

=

فؤاد الأهواني، صـ٨٢، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

(١) الوحدانية مع دراسة الأديان والفرق، د/ بركات عبد الفتاح دويدار صـ٣٤٩، ٣٥٠، طبعة: النهضة المصرية، سنة ١٩٧٧م.

(٢) «شرح المواقف في علم الكلام» للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، الموقف الخامس في الإلهيات. تحقيق د/ أحمد المهدي صـ٦، نشر مكتبة الأزهر.

لتركبها من الجواهر المتجانسة، فلا يكون اختصاص كل جسم بما له من الصفات الذاتية من غير احتياج إلى مخصص خارجي؛ لأن اختصاص كل جسم بما له من الصفات أمر ممكن فلا بد له في التخصص بهذه الصفات دون غيرها من مخصص»(١).

وكانت النتيجة من كل هذه المقدمات هي الاستدلال على وجود الله بحدوث العالم، واحتياج الحادث إلى المحدث أمر بدهي، وفي ذلك يقول الغزالي: «فنحصل من هذا أن العالم يخلو عن الحوادث، فهو إذًا حادث، وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة»(٢).

هذه هي طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى، ومع أن النتيجة التي توصلوا إليها سلمت لهم، إلا أن الطريقة لم تسلم لهم؛ لأن هذه الطريقة نقدها علماء كثيرون على رأسهم الشيخ/ أبو الحسن الأشعري(٣) في

---

(١) «دراسات في العقيدة الإسلامية» تأليف د/ إبراهيم عبد الله الحصري صـ١١٤، سنة ١٩٩٣، ١٩٩٤م.

(٢) قواعد العقائد لحجة الإسلام الإمام/ أبي حامد الغزالي، إعداد/ رءوف شلبي وموسى محمد علي صـ٨٩، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٣) أبو الحسن الأشعري: العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن علي إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني البصري.

ولد سنة ٢٦٠هـ، وقيل: ٢٧٠هـ.

قال أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم، وعن الباقلاني: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري.

قال الذهبي: كان لأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسن وتصانيف =

رسالته إلى أهل الثغر، حيث صرح بأن طريقة المتكلمين هذه بدعة وانحراف عن دين الأنبياء(١)، وبمثل هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية(٢) «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» إذ قال: بأن هذه الطريقة التي استدل بها المتكلمون لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا على لسان أصحابه، ولو كانت واردة عنهم لكنا مأمورين باتباعها في الاستدلال على وجوده تعالى، ويعجب ابن تيمية من ذكر المتكلمين بأن هذه الطريقة هي طريقة الخليل ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ إذ أنهم استدلوا بتحرك الشمس والقمر والكواكب على حدوثهم، وظنوا أن قول الخليل [هذا ربي] أراد به خالق السماوات والأرض القديم الأزلي، وأن الخليل رأى حدوث هذه الأشياء من حركتها، وقد خطَّأ ابن تيمية هذا الزعم ورده بوجوه:

=

جة، تقضي له بسعة علم، وله كتب عديدة منها: الإبانة في أصول علم الديانة، واللمع... وغيرها الكثير.

توفي سنة ٣٣٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٥، صـ٨٥ -تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١/ صـ٣٤٦، الأنساب جـ١/ صـ٢٧٣.

(١) أصول أهل السنة والجماعة المسماة بـ«رسالة أهل الثغر» لأبي الحسن الأشعري، تحقيق د/ محمد السيد الجليند صـ٥٥، نشر مطبعة التقدم سنة ١٩٨٧م.

(٢) ابن تيمية: إمام الأئمة ومفتي الأمة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن أبي المحاسن عبد الحليم بن مجد الدين أبي البركات عبد السلام... ابن تيمية الحراني، نزيل دمشق، ولد يوم الاثنين ١٠ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بمدينة حيراني، واصل ليله مع نهاره في سماع العلم حتى ذاع صيته بين العلماء ورفع الله به الدين، وجاهد ضد التتار، وهو صاحب الفتاوى المشهورة، توفي سنة ٧٢٩هـ وحضر جنازته جميع أهل دمشق وعدت جنازته أكبر جنازة في الإسلام بعد جنازة الإمام أحمد بن حنبل. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة جـ٢، صـ٤٠٣، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية صـ٢٢.

الأول: أن قوم إبراهيم كانوا مقرين بوجود الصانع ولكنهم أشركوا معه غيره، فإبراهيم عليه السلام لم يستدل بهذه الآية على إثبات الصانع، وإنما استدل بها على نفي مزاعمهم، وكان وجه استدلاله أن مغيب هذه الأشياء يجعلها لا تصلح لأن تكون معبودة من دون الله ؛ إذ أن من يستحق العبادة لا يغيب عن خاطر عابده في جميع الأحيان.

الثاني: لو كان مراد إبراهيم بقوله: [هذا ربي] أنه رب العالمين لكان هذا حجة عليهم لا لهم؛ لأنه بذلك يجيز أن يكون الإله متحركًا، هذه الحركة التي هي دليل الحدوث عندهم، لكنه قصد نفي إشراك هذه الأشياء مع الله في الربوبية، ولو كان يقصد نفي ربوبيتها بالحركة لكن أجدر به أن ينفيها من حين بزوغها.

الثالث: إن الأفول في اللغة العربية يعني المغيب والاحتجاب، وليس بمعنى الحركة والانتقال -كما يقول المتكلمون- ولا يقول أحد لا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير: إن الشمس والقمر في حالة سيرهما فى السماء أنها آفلان، ولا يقول للكواكب المرئية في السماء في حال ظهورها وجريانها إنا آفلة، ولا يقول عاقل لكل من مشى وسافر إنه آفل[1].

وبالرغم من أن ابن تيمية اتفق معهم في النتيجة إلا أن رفضه للطريقة التي ساقها المتكلمون بدا واضحًا من خلال نقده لها، وابن تيمية جعل قصة الخليل عليه السلام دليلاً على وحدانية الله، وهذه المآخذ في نصوصها محكمة لا أجد فيها فرصة للرد عليها.

---

(١) «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» لابن تيمية بهامش كتاب منهاج السنة النبوية جـ١، صـ١٩١، ١٩٢، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وهناك أيضًا من الباحثين من نحا هَذا النحو[١]. وهاجم هذه الطريقة أمثال الدكتور/ محمد السيد الجليند، إذ يقول: «لو افترضنا صحة هذه الطريقة عقلاً، فإن أحدًا من الأنبياء لم يدع أمته بهذه الطريقة، وأكثر العقلاء عرفوا ربهم وآمنوا برسله وبكتبه ولم يخطر بأذهانهم طريقة المتكلمين في الاستدلال، بل إن هذه الطريقة تقلب الأمور رأسًا على عقب، فبدلاً من أن يقولوا بأن خلق الإنسان وحدوثه بعد أن لم يكن كافٍ في الاستدلال على وجود الله لبداهته ووضوحه لكل العقول، صرفوا أنفسهم عن ذلك وجعلوا حدوث الإنسان بعد أن لم يكن أمرًا غامضًا، فأخذوا يستدلون عليه بطريقة الأعراض وحدوثها، فجعلوا حدوث الأعراض أكثر بداهة وأوضح للعقول من حدوث الإنسان بعد أن لم يكن، وهذا قلب للأمور»[٢].

ومن الإنصاف أن نقول: إن ما رأيناه من ابن تيمية وغيره من العلماء هو وضع للنصوص في مواضعها من خلال النظرة المتأنية إلى النص، ولكن الأولى ألا نقسوا على المتكلمين؛ إذ أن طريقتهم هذه كانت «وليدة النقاش، وهم ما أقاموا علم الكلام إلا لإثبات العقائد الدينية على الغير، وأما تحصيل العقيدة فإنه يكون من الكتاب والسنة»[٣]، ذلك أن المتكلمين وجدوا في وقت ساد فيه الأسلوب المنطقي في الحوار، وشاع فيه الحديث الفلسفي فاضطروا إلى سوق

---

(١) «مناهج الأدلة في عقائد الملة» صـ١٨، ٢٧، ٢٨ -دراسات في العقيدة الإسلامية تأليف د/ محمد عبد الله الشرقاوي صـ٨٢، ٨٣، نشر مكتبة الزهراء، طبعة سنة ١٩٨٩م.

(٢) الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، تأليف د/ محمد السيد الجليند صـ٢١٩ طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. -وينظر كذلك أصول أهل السنة والجماعة لأبي الحسن الأشعري صـ٥٥، ٥٦، ٥٧.

(٣) الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق، تأليف د/ بركات عبد الفتاح دويدار صـ٣٦٢ نشر دار النهضة المصرية.

الدليل بمثل هذه الصورة لكي يصلوا إلى إقناع الغير وإلزامه بالعقيدة الإسلامية[١].

ويتضح نبل غايتهم وشرف مقصدهم في أنهم صاغوا في استدلالهم أن هذا الكون بكل ما فيه يحتاج إلى موجود، ورأوا أن في ذلك إثبات ملزم لوجود الله تعالى.

وإنصافًا للمتكلمين يقول الدكتور بركات دويدار: «إنهم لم يهملوا ما جاء له في القرآن، ومراجعة التفاسير التي كتبها المتكلمون يكشف عن هذا، ولنضرب مثلاً لذلك بتفسير «الكشاف» للزمخشري[٢] -معتزلي-».

و«التفسير الكبير» للرازي[٣] -أشعري- ففي هذين التفسيرين نجد

---

(١) المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد، تأليف د/ نشأت عبد الجواد ضيف صـ٨٣ بتصرف.

(٢) الزمخشري: العلامة كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمود الزمخشري الخوارزمي، النحوي، صاحب الكشاف والمفصل وأساس البلاغة والفائق في غريب الحديث... وغيرها كثير.
ولد بزمخشر، قرية من عمل خوارزم، في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، كان رأسًا في البلاغة والعربية، والمعاني والبيان، وله نظم جيد.
سير أعلام النبلاء جـ٢٠، صـ١٥١ -وفيات الأعيان جـ٥ صـ١٦٩ -معجم الأدباء جـ١٩ صـ١١٢٧.

(٣) الرازي: مؤلف التفسير، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي.
ولد سنة ٥٤٤هـ، وكان فريد عصره ومتكلم زمانه، له مفاتيح الغيب والمطالب العالية والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان و... غيرها، توفي عليه رحمة الله تعالى سنة ٦٠٦هـ.

=

الوقوف بإخلاص عند كل آية تدعو إلى التأمل في حكمة الله وأنه لم يخلق شيئًا عبثًا، ولكن كثرة الجدل كانت هي السبب في هذه المسائل التي امتلأت بها كتب علم الكلام، وربما لو عشنا أحوالهم لقلنا ما قالوا[1].

ثانيًا: طريقة الفلاسفة:

للفلاسفة أدلة كثيرة على وجود الله تعالى منها:

١- دليل الإمكان. ٢- دليل العناية. ٣- دليل الاختراع.

١- دليل الإمكان: يرى الفلاسفة أنه لا شك في وجود موجود، وهذا الموجود إما أن يكون واجبًا أو ممكنًا، والممكن لا بد له من علة ترجح وجوده على عدمه، وهذه العلة المرجحة إما أن تكون ممكنة أو واجبة الوجود لذاتها، فإن كانت واجبة الوجود لنفسها ثبت إذًا وجود واجب الوجود، وهو الله تعالى، وإن كانت ممكنة كان معنى هذا وجود سلسلة من الممكنات تحتاج إلى علة، ومحال أن تكون العلة ممكنة وإلا صار كل ممكن علة ومعلولاً في آن واحد، ومحال كذلك أن تكون العلة جزءًا من الممكنات وهو ترجيح بلا مرجح.

وفي ذلك يقول ابن سينا[2] مبينًا كيفية دلالة الوجود على الله: «لا شك أن

=

ينظر وفيات الأعيان جـ٧ صـ٢٦٥- ٢٦٨، شذرات الذهب ج٥ صـ٢١.

(١) الوحدانية د/ دويدار صـ٣٦٨.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله الحسن بن علي بن سينا الشهير بالرئيس.

ولد ببخارى سنة ٣٧٠هـ، وتوفي بهمدان سنة ٤٢٨هـ.

صاحب التصانيف العديدة مثل: الإشارات والتنبيهات وتأويل الرؤيا وتفسير آية النور وكتاب المبدأ والمعاد، وله ترجمة وافرة في طبقات الأطباء.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف العلامة/ المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطي المعروف بحاجي خليفة، المجلد الخامس صـ٣٠٨، ٣٠٩، نشر دار الفكر، طبعة سنة ١٩٨٢م. -وكتاب دراسات في الفلسفة الإسلامية تأليف د/ عبد الحميد عبد

=

هناك وجودًا وكل وجود فإما واجب وإما ممكن، فإن كان واجبًا فقد صح الواجب، وهو المطلوب، وإن كان ممكنًا فإنا نوضح أن الممكن ينتهي وجوده إلى واجب الوجود...»[(١)].

٢- دليل الاختراع: يقوم على أصلين:

- **أحدهما:** فطري معروف بنفسه، وهو أن كل هذه الكائنات مخترعة (مخلوقة).

- **ثانيهما:** ضروري بدهي، وهو أن كل مخترَع -بفتح الراء- لا بد له من مخترِع -بكسر الراء- (فاعل له).

ويشير ابن رشد[(٢)] إلى هذين الأصلين فيقول: «... وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السماوات وهذه الطريقة

=

المنعم مدكور صـ١٢٩، نشر مكتبة الزهراء، طبعة سنة ١٩٨٩م، عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة صـ٤٣٧.

(١) النجاة لأبي علي بن سينا صـ٢٣٥، طبع الكردي، مصر سنة ١٩٦٣م، وينظر شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس صـ٨، وفصوص الحكم لأبي نصر الفارابي مع مجموعة رسائل صـ٦٠، طبع عبد الرحيم المكاوي، مصر سنة ١٩٠٧م.

(٢) العلامة فيلسوف الوقت أبو الوليد محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.

ولد سنة ٥٢٠هـ قبل موت جده بشهر واحد.

قال الأبار: لم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً، وعلمًا، وفضلاً، وكان متواضعًا، منخفض الجناح، قيل لم يترك الاشتغال بالعلم منذ عقل إلا ليلتين: ليلة زفافه، وليلة موت أبيه. سوَّد وقيد نحوًا من عشرة آلاف ورقة، وله التصانيف العديدة، توفي -رحمه الله- في صفر سنة ٥٩٥هـ محبوسًا في داره.

ينظر: سير أعلام النبلاء جـ٢١ صـ٣٠٧ -شذرات الذهب جـ٤ صـ٣٢٠ -العبر جـ٤ صـ٢٨٧.

تبنى على أصلين موجودين في جميع فطر الناس...»[١].

٣- دليل العناية: يقوم على دعامتين:

- **الأولى**: حسية عقلية تقوم على النظر في الكون وما فيه من تناسق بين أجزائه وبين الكائنات التي يحتوي عليها، وتكون نتيجة النظر: أن ما في الكون قصد به الإنسان وكل كائن حي.

- **الثانية**: تقوم على أن هذه المخلوقات التي قصد بها بني البشر لم تأت من قبيل المصادفة المحضة، بل لا بد لها من فاعل مختار، ويشير ابن رشد إلى هذا الدليل بقوله: «فأما الطريقة الأولى [دليل العناية] فتبنى على أصلين:

- **أحدهما**: أن جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان.

- **الثاني**: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد»[٢].

ثم ذكر ابن رشد أدلة كثيرة من القرآن رأى أن فيها دلالة على الاختراع كقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ** ﴾ [الطارق: ٥، ٦، ٧]، وآيات أخرى رأى فيها أن فيها دلالة على العناية مثل قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٦١]، ويعتبر ابن رشد أن دليلي الاختراع والعناية هما الطريقة الشرعية التي نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة -رضوان الله عليهم- وفي هذا يقول: «فهذه الطريق هي الصراط المستقيم التي دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده ونبههم على ذلك بما جاء في فطرهم على إدراك هذا

---

(١) الكشف عن منهاج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ضمن مجموعة فلسفية له، مراجعة مصطفى عبد الواحد عمران صـ٦٦، نشر المكتبة المحمودية التجارية سنة ١٩٦٨م.

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة صـ٦٥.

المعنى»[١].

وهذا الدليل الذي ذكره ابن رشد يعده الدكتور عبد الحليم محمود أنه «لا يزال المحدثون يستخدمونه، ويعده بعضهم أوضح الأدلة على وجود الله، بل وأقواها، وهو في الوقت نفسه أسهلها بالنسبة الإدراك الإنساني»[٢].

ثالثًا: طريق الصوفية:

طريق الصوفية في الاستدلال على وجود الله تعالى ليس كالطرق السالفة الذكر، وإنما اعتمدوا في ذلك على تصفية النفس الإنسانية، وتحريرها من شهواتها؛ إذ بعد تحقيق ذلك تتكشف الأمور للإنسان ويستطيع أن يرى كل الحقائق المستورة طبقًا لمبدئهم العام في طريق المعرفة، ولم يكن ذلك بنظم دليل أو ترتيب كلام، بل نور يقذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر العارفين.

وفي تقرير ذلك يقول الإمام الغزالي[٣]: «فمن ظن أن الكشف موقوف

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة صـ٦٨، ونظر أيضًا القرآن والفلسفة د/ محمد يوسف موسى صـ١٨، نشر دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م؛ إذ يقول: «وهذا الدليل [دليل العناية] يرينا مقدار عناية الله الفائقة البالغة بالعالم الذي خلقه، فجعله على نظام عجيب وارتباط قام بين أجزائه، وذلك ما يدركه تمامًا علماء الفلك والمتخصصون في علوم الحياة على تنوعها واختلاف فروعها، ومن ثم نصل إلى أن هذا العلام لم يخلق عبثًا وأنه من صنع إله حكيم عليم الإرادة والقدرة».

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام للإمام عبد الحليم محمود صـ٥١، نشر دار المعارف، طبعة سنة ١٩٨٤م.

(٣) الغزالي: الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي.

قال إمام الحرمين: الغزالي بحر مغرق وإلكيا أسد مطرق والخوافي نار تحرق، وله التصانيف العديدة، منها: الإحياء، والاقتصاد في الاعتقاد، و... غيره الكثير، توفي يوم

على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة»[(١)].

ويقول أيضًا: «وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة ولطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية»[(٢)].

وهناك آيات كثيرة يحتج بها الصوفية في تصحيح هذا الطريق، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وهذا الطريق قد هاجمه بعض العلماء كابن رشد -رحمه الله- إذ يقول: «إن هذه الطريقة -وإن سلمنا بوجودها- فإنها ليست عامة للناس بما هم ناس، ولو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر ولكان وجودها بالناس عبثًا، والقرآن كله إنما هو دعاء إلى النظر والاعتبار وتنبيه على طريقة النظر»[(٣)].

=

الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء جـ١٩ صـ٣٢٢، المنتظم جـ٩ صـ١٦٨، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد صـ٣٧-٣٨.

(١) المنقذ من الضلال لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق د/ عبد الحليم محمود صـ٩١، نشر دار الكتب الحديثة طـ٨ سنة ١٩٧٤م، وينظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخر الدين الرازي، مراجعة وتحرير د/ علي سامي النشار صـ١، ٧٢، مكتبة النهضة المصرية طبعة أولى سنة ١٩٣٨م.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي مع مقدمة في التصوف د/ بدوي طبانة صـ١٨، طبعة إحياء الكتب العربية طـ٣.

(٣) الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد صـ٦٣.

وممن نحا هذا النحو في نقد طريقة المتصوفة الدكتور محمود قاسم ؛ إذ يقول: «وسلك المتصوفة منهجًا لا يعتمد على أسس منطقية؛ لأنهم لا يستدلون على وجود الله بمقدمات بديهية تستنبط من الواقع وتفضي إلى نتائج مقنعة... ثم ذكر الأدلة التي اعتمدوا عليها، ثم قال: أما النصوص الأخرى التي تحث على النظر العقلي، وهي تشغل جزءًا كبيرًا من القرآن، فمروا بها دون أن يقفوا عندها لكي يتأملوها مع أنها أكثر صراحة مما استشهدوا به، ونسي هؤلاء أن منهجهم الذي يوصون به يفوق مستوى الإنسان عادة»[١].

تعقيب:

هذه هي طرق الاستدلال على وجود الله تعالى، ومع أن أصحابها قد اتفقوا في النتيجة كما أشرت سابقًا، ولكني أرى أن دليلي العناية والاختراع هما أولى الأدلة على وجود الله تعالى؛ نظرًا لصلتهما القوية بالقرآن الكريم، فمفهوما قائم على ما جاء به الكتاب العزيز، كما أن دلالتهما واضحة، وعبارتهما سهلة، وقد كادا أن يكونا دليلاً واحدًا.

يقول الدكتور/ عوض الله حجازي: «ولقد ذهب بعض العلماء من الفلاسفة وغيرهم إلى الاستدلال على وجود الله بدليل سهل العبارة واضح الدلالة، ميسور الفهم على العاقل ويسمى هذا دليل الاختراع أو الإبداع، أو دليل العناية»[٢].

والذي دعاني إلى تقديم هذا الطريق أمور:

١- وصف بعض علماء الأشاعرة لدليلهم بأن فيه مؤنات كثيرة، إذ ورد

---

(١) مقدمة د/ محمود قاسم لمناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد صـ٢٣، ٢٤ طبعة سنة ١٩٥٥م.

(٢) دراسات في العقيدة الإسلامية، تأليف د/ عوض الله حجازي صـ٣٧، طبعة أولى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

في شرح المواقف عقب الانتهاء من مسلك الحكماء «أن في هذا المسلك طرح لمؤنات كثيرة كانت في المسلك الأول من بيان حدوث العالم، وإمكانه، وما يتوجه عليه من الأسئلة والأجوبة عنها، فإنها سقطت هاهنا»(١).

٢- ما في طريق المتكلمين من غموض في العبارة مما يجعل الأمر غير واضح بالصورة التي يجب أن يكون عليها طريقة الاستدلال على وجود الله تعالى، يقول الدكتور محمود قاسم: «إن هذا الدليل يمتاز عن أدلة الأشاعرة بأنه يدعو إلى المعرفة الصحيحة لا إلى الجدل العقيم، فهو يحفز إلى التعمق في البحث والكشف عن أسرار الكون دون أن يثير شبهات أو مشاكل»(٢).

٣- ما ظهر في طريقة الصوفية من أنها لا تصلح لجميع الناس، وأن صفاء النفس البشرية لا يكون سهلاً لأي أحد، وقد أشرت فيما سبق على ذلك بما ورد في مناهج الأدلة.

٤- إن هذا الدليل صالح لمخاطبة جميع العقول على حد سواء، فهو صالح للعامة التي تشاهد وجود الغايات في المخلوقات، وصالح للعلماء الذين كلما زادوا تبحرًا في العلوم زاد إيمانهم بوجود حكمة وعناية إلهية في جميع الظواهر الطبيعية، إضافة إلى أنه برهان ديني استخدمه القرآن في كثير من آياته(٣).

وأخيرًا لا ينبغي أن نجعل سعي العلماء في الاستدلال على وجود الله ضربًا من الهباء المنثور، بل نلمس العذر لكل من اضطرته أحوال عصره إلى الإتيان بطريقة يلزم بها الناس ويعلمهم بوجود الله تعالى.

---

(١) شرح المواقف صـ٨.

(٢) مقدمة د/ محمود قاسم لمناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد صـ٢٦، طبعة سنة ١٩٥٥م.

(٣) الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد، تأليف د/ محمود قاسم صـ٨١، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، بتصرف.

المبحث الثاني

منهج القاسمي في الاستدلال على وجود الله

ويشتمل على:

تمهيد:

١- الدليل الأول: (دليل الفطرة) والتعقيب عليه.

٢- الدليل الثاني: (دليل نظام الأكوان وما فيه من الإحكام والإتقان) والتعقيب عليه.

٣- الدليل الثالث: (أخذ العقل السليم في الخشية والإشفاق والخروج من الحيرة) والتعقيب عليه.

تمهيد

يرى القاسمي أن معرفة الله تعالى أولى الواجبات التي ينبغي على المكلف معرفتها، وفي سوقه للأدلة على وجود الله تعالى ذهب ينتقي من درر الحكماء المحققين، ومما اشتقه الفكر من غرر ذوي الألباب، وقد جمع أدلة كثيرة على وجود الله تعالى، وفي ذلك يقول: «اعلم أن البراهين في هذا المقام تفوق الحصر[١]، وتفوق السَّبْرَ[٢]، كما قيل: إن لله طرائق -أي للاستدلال عليه- بعدد أنفاس الخلائق».

وفي كـــل شيء لـــه آيـــة تـــدل عـــلى أنـــه واحـــد[٣]

وسأتناول ثلاثة منها أعرض فيها ما أراه إن شاء الله تعالى:

---

(١) لا شيء يفوق الحصر سوى علمه تعالى ومعلوماته وكماله وكمالاته ونعيم الجنة وعذاب النار للكفرة، وربما أراد القاسمي بقوله ذلك اعتبار مخلوقات الله وأفعاله الدالة على وجود الله تعالى وهي تفوق الحصر.

(٢) السَّبْرُ: التجربة... وهي استخراج كنه الأمر. ينظر: لسان العرب لابن منظور المجلد الثالث صـ١٩١٩، طبع دار المعارف سنة ١٩٧٩، وفي التعريفات للجرجاني: السبر والتقسيم: هو حصر الأوصاف في الأصل وإلغاء بعض ليتعين الباقي للعلية، ينظر: التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ويليها رسالة في بيان اصطلاحات رئيس الصوفية سيدي محي الدين بن عربي الواردة في كتابه الفتوحات المكية صـ١٠٣، طبع مصطفى الباب الحلبي سنة ١٣٥٧/ ١٩٣٨م.

(٣) دلائل التوحيد للشيخ محمد جمال الدين القاسمي صـ٢٢، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت طـ١، سنة ١٩٨٤م، والبيت في ديوان أبي العتاهية صـ١٢٢، نشر دار صادر، بيروت، طبع سنة ١٩٨٠م.

الدليل الأول

برهان الفطرة[١]

صدَّر القاسمي أدلته على وجود الله تعالى بـ«برهان الفطرة» جريًا على عادة المؤلفين الذين يؤثرون هذا الدليل على غيره ويصدرون به مؤلفاتهم.

وفي هذا البرهان يرى القاسمي أن الشعور بوجود الله تعالى أمر غرزي[٢]

---

(١) المقصود بالفطرة: الطبيعة السليمة التي لم تُشَبْ بعيب، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾، وهي في اصطلاح الفلاسفة: استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل، ينظر المعجم الوسيط جـ٢، صـ٧٢٠، يقول القاسمي: إنما جعلنا الفطرة برهانًا مع أنها ضرورية؛ لأنا نعني بالبرهان هنا كل قاطع محتج به، والضروري وإن لم يبرهن عليه فإنه يبرهن به ويشار إليه، ينظر دلائل التوحيد صـ٢٢.

(٢) قد يسأل سائل فيقول: إذا كانت الفطرة ناطقة بوجود الله تعالى فلم استدل المتكلمون وغيرهم على وجود الله تعالى؟

والجواب على السؤال: يرى الدكتور محمد بيصار بأنه ما احتاج المفكرون من فلاسفة الإسلام ومتكلميه إلى سوق هذه الأدلة إلا لإزالة ما عساه أن يكون حال بين الناس وفطرتهم السليمة التي فطرهم الله عليها من معوقات أو مغريات تصرفهم عن طبعهم وتنحرف بهم عن فطرهم، ويفسر هذا الكلام د/ سعد الدين صالح فيقول: «إن الفطرة قد تنحرف لأسباب منها اتباع الظن والهوى والشيطان، والتقليد الجاهل للأجداد والآباء، والطاعة العمياء للسادة والكبراء، والغفلة واتباع الشهوات والسير وراء الملذات، والغرور والعناد واللجاج، وحب الدنيا وعدم الخوف من عذاب الآخرة، فكل هذه الأسباب ألجأت المفكرين إلى إثبات وجود الله تعالى بالبراهين».

ينظر: بحث إثبات العقائد الإسلامية بين النصيين والعقليين للدكتور بيصار ضمن بحوث التوجيه التشريعي في الإسلام جـ٤ صـ٣٠، طبع مجمع البحوث الإسلامية في ضوء العلم الحديث تأليف د/ سعد الدين صالح جـ١ صـ٧٩، ٨٣، طبع ونشر دار الصفاء القاهرة طـ٢، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، وينظر مدخل إلى الاستدلال القرآني

جُبل عليه الإنسان، وعُقد عليه جنانه[1]، وتأثر به لسانه، لا يغيره ريب المرتابين، فلا توجد أمة من الأمم إلا وهي معترفة بوجود الله تعالى وإن كان منهم من انحرف في دينه إلا أن معرفة الله مغروسة في قلوبهم، وهذا الشعور لا يمكن أن يكون وليد عقل بشري؛ لأنه سبق كل تقدم علمي، ولا يمكن للمرء أن ينتزعه من فؤاده ؛ لامتزاجه به امتزاجًا يغلب على كل الوساوس، وما يزعمه زاعم من أن بعض الأمم لم يعرفوا الخالق إنما هو ادعاء باطل.

وليس أدل على رسوخ هذه الفطرة من لجوء الإنسان عند حدوث النوازل إلى الله تعالى والتضرع إليه لدفع الضر الذي لا يدفعه أحد إلا الله تعالى.

وهذا الشعور الذي دفع الإنسان إلى التضرع إليه تعالى أمر لا دخل للإنسان فيه بتقليد ولا نظر، بل هو لازم من لوازم إنسانيته، يسري فيه سريان الدم في الجسد[2]، يقول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

ثم ساق القاسمي نصوصًا كثيرة للعلماء في هذا الدليل «كسراج العقول للقزويني[3]»،

=

تأليف د/ عبد الله يوسف الشاذلي صـ٣٦ طـ١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(١) الجَنان: بالفتح، القلب، وسمي بذلك لاستتاره في الصدر، وقيل لوعيه الأشياء وجمعه لها، وقيل الجنان: رَوْعُ القلب، وذلك أذهب في الخفاء، ينظر: لسان العرب لابن منظور المجلد الأول صـ٧٠٢.

(٢) دلائل التوحيد صـ٢٣، ٥٩، ٦٠، بتصرف.

(٣) القزويني: هو الشيخ العلامة البارع، شيخ المعتزلة وفاضلهم، أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني المفسر، نزيل بغداد، ولد سنة ٣٩٣هـ.

قال السمعاني: كان أحد الفضلاء المقدَّمين، جمع التفسير الكبير الذي لم يرَ في التفاسير أكبر منه، ولا أجمع للفوائد، لولا مزجه بالاعتزال، أقام بمصر، وحصل أحمالاً من =

والذريعة للإمام الراغب الأصفهاني[١]، وربيع الأبرار للزمخشري[٢]».

ومفاد هذه النصوص هو: أن معرفة الله تعالى واجبة؛ لأنها من الأمور التي تصل العقول إليها، مهما اختلفت مللها، وتباعدت أماكنها عن مصادر الدين العلم والدين والرسل -صلوات الله عليهم أجمعين- لم يأتوا ليخبروا الناس بوجود الصانع، وإنما جاءوا ليدعوهم إلى التوحيد، فمعرفة الله تعالى أمر مركوز في الجبلة لا يمنعها عن الاعتراف به إلا معارضتها لسلطان الهوى، فإذا نجحت في مخالفته لم يكن بينها وبين الاعتراف بالله تعالى حجاب، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ويرجع سبب وقوع بعض الناس في الشرك: إما لاعتقادهم في التعدد، وإما لإنكارهم صفات الله الواجبة، وإما لإثباتهم المستحيل منها، وإما لإنكارهم النبوات، أو لغير ذلك.

=

الكتب وحملها إلى بغداد، وكان داعية إلى الاعتزال، توفي -رحمه الله- في ذي القعدة سنة ٤٨٨هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٨ صـ٦١٦، المنتظم جـ٩ صـ٨٩-٩٠، طبقات السبكي جـ٥ صـ١٢١-١٢٢.

(١) الراغب: هو العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، وله "الذريعة في مكارم الشريعة" " والمفردات في غريب القرآن»... وغيرها الكثير، توفي سنة نيف وخمسمائة.

ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٨ صـ١٢٠، كشف الظنون جـ١ صـ٣٦، الأعلام جـ٢ صـ٢٥٥.

(٢) الزمخشري: سبق ترجمته صـ١٣١.

واستدلال العلماء بالفطرة على وجود الله تعالى إنما هو لقطع أطماع كل من تسول له نفسه لإضلال الناس عن الحق وإيقاعهم في الشرك، فإيقاف الحادث على المحدث أمر لا يحتاج إلا إلى النظر الصحيح، يدل على ذلك الاستفهامات التقريرية التي وردت في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [النمل: ٦٤]، وقال: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١]، فالله تعالى يقرر الخلق بشيء قد فطرهم عليه، يقول تعالى مصورًا لعهده الأول على الخلق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فبنوا آدم شهدوا على أنفسهم ولكن الشياطين حولتهم عن هذه الشهادة وأنستهم، يقول القاسمي -رحمه الله- عقب تفسيره لهذه الآية: «... والقصد من الآية الاحتجاج على المشركين بمعرفتهم ربوبيته تعالى معرفة فطرية، لازمة لهم لزوم الإقرار منهم والشهادة... ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد أنه فطرهم على التوحيد... حتى من خُلِقَ مجنونًا مطبقًا مصطلمًا[(١)]، لا يفهم شيئًا، ما يحلف إلا به، ولا يلهج لسانه بأكثر من اسمه المقدس، فطرة بالغة»[(٢)]، وينطق بهذا الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم[(٣)] عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في

---

(١) صلم الرجل صلمًا من باب تعب «استؤصلت أذنه» المصباح المنير جـ١ صـ٤٧٢.

(٢) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، تصحيح فؤاد عبد الباقي جـ٧ صـ٢٨٩٧-٢٩٠٣، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٣) هو الإمام الحجة الثبت الحافظ الثقة الصادق أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري، الحافظ صاحب الصحيح المعروف، تلميذ البخاري، ولد سنة أربع ومائتين.

قال محمد بن بشار: حفاظ الدنيا أربعة: وذكر منهم مسلم بن الحجاج، وقال ابن أبي

خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته[١] عبدًا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا...»[٢].

ثم ذكر القاسمي بأن الناس في تذكر هذه الشهادة على ضربين:

ضرب أدركوا حقائقها في خواطرهم فكانوا كمن حملوا شهادة فنسوها ثم تذكروها، قال تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقال: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وضرب تركوا أنفسهم في ظلمات الجهل، ولم يكلفوا أنفسهم أن يتذكروا ما سبق من عهد مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ [الصافات: ١٣].

=

حاتم: كان مسلم ثقة من الحفاظ، كتب عنه بالري، وسئل عنه أبي فقال: صدوق، توفي عليه رحمه الله في شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور عن بضع وخمسين سنة.

ينظر: السير للذهبي جـ١٢ صـ٥٥٧-٥٨٠، تهذيب الكمال جـ١٠ صـ١٢٦-١٢٨، تاريخ بغداد جـ١٣ صـ١٠٠.

(١) نحلته: أي أعطيته ورزقته.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» ضمن حديث طويل باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ينظر: مسلم بشرح النووي جـ١٧ صـ١٩٧، طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها.

ووجه الدلالة في هذا الحديث: «أنهم ظلوا على التوحيد قرونًا، ورد في بعض الروايات أنها عشرة، حتى اجتالتهم الشياطين فأوقعتهم في الشرك، فهذا الجنس البشري عامة، أما الفرد الواحد فإنه يولد على الفطرة لكن أبويه هما اللذان يصرفانه عنها».

ينظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي إعداد د/ صفر بن عبد الرحمن الحوالي، إشراف أ.د/ محمد قطب جـ١ صـ٢٥، نشر مكتبة الطيب، القاهرة سنة ١٤١٧هـ.

ثم ختم القاسمي هذا البرهان بقول نقله عن الإمام علي يدل دلالة واضحة على أن وجود الله تعالى مستقر في القلوب، عن علي: «أنه قيل له: هل رأيت ربك؟ قال: أفأعبد ما لا أرى؟ فقيل: كيف تراه؟ قال: لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان»(١).

تعقيب:

وضح من عرض هذا الدليل أن وجود الله تعالى أمر مستقر في قلوب الخلائق يهتدي الإنسان إلى معرفة ربه بفطرته، فليس وجوده تعالى من المسائل المعقدة التي يحتاج الإنسان فيها إلى كد الذهن ونصبه، فالرجل الأعرابي عندما سئل عن وجود الله تعالى قال بلسان فطرته: البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على وجود العليم الخبير.

وكذلك الجن لما سمعوا القرآن قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢].

حتى هدهد سيدنا سليمان -على نبينا وعليه السلام- توصل إلى أن لهذا الكون إلهًا موجودًا يستحق السجود له، غير الشمس التي رأى بلقيس وقومها يسجدون لها من دون الله، ونسب هذا الصنيع بلسان فطرته إلى تحسين الشيطان، فقال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) يراجع في ذلك «الذريعة إلى مكارم الشريعة» لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق د/ أبو اليزيد العجمي صـ١٩٩-٢٢٧، نشر دار الوفاء بالمنصورة ودار الصحوة بالقاهرة، طـ١ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، بتصرف، ودلائل التوحيد صـ٢٢-٣٢.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ [النمل: ٢٤، ٢٥، ٢٦].

وكذلك نجد علماء الطبيعة يعترفون بوجود الله تعالى بطريق الفطرة، يقول موريس بيدج[(١)]: «إن الإيمان بوجود الله في الأمور الخاصة التي تنبت في شعور الإنسان وضميره، وتنموا في دائرة خبرته الشخصية»[(٢)].

«وهذا الفطرة السليمة هي التي يدرك الإنسان بها إدراكًا مباشرًا أن له ربًّا قويًّا يرعاه، وإذا أخفقت هذه الفطرة في ساعات الرخاء فسرعان ما تعود إلى الظهور عند نزول البلاء، وسرعان ما ينكشف المعدن الأصيل للنفس فتعود إلى ربها متضرعة»[(٣)].

ومما يقوي هذا الدليل تلك الإثباتات العلمية الكثيرة التي بنيت على الفطرة مما لا يدع مجالاً للشك في وجوده تعالى ويفتح الباب لإلزام الملاحدة بوجود الله تعالى، ومثل هذه الأبحاث توجد بكثرة في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم»، وكتاب «تعريف عام بين الإسلام»[(٤)].

---

(١) د/ موريس بيدج عالم من علماء الطبيعة، كان أول من اكتشف الرادار في العالم سنة ١٩٣٤م، سَجَّل نحو ٣٧ بحثًا معظمها في الرادار، وألف الكثير من الكتب.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم، المرجع السابق ، تعريف عام بدين الاسلام تأليف الشيخ على طنطاوى ، نشر مطابع دار الوفاء المنصورة ص ١٣ سنة ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكان، أشرف على تحريره جون كلوفر، وترجمه إلى العربية د/ الدمرداش عبد المجيد سرحان، وراجعه وعلق عليه د/ محمد جمال الدين الفندي صـ١٤ نشر مؤسسة الحلي، القاهرة، طـ٣، سنة ١٩٦٨م.

(٣) الإيمان الحياة للدكتور/ يوسف القرضاوي صـ٢٤، نشر مكتبة وهبة، القاهرة طـ٩، سنة ١٤١٠هـ، بتصرف.

(٤) الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكان، أشرف على تحريره جون كلوفر، وترجمه إلى العربية د/ الدمرداش عبد المجيد سرحان، وراجعه وعلق عليه د/ محمد جمال الدين الفندي صـ١٤، نشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، طـ٣، سنة١٩٦٨م.

وفي نهاية هذا التعقيب أشير إلى أن هذا الدليل الذي استدل به القاسمي قد اعترف به كثير من العلماء منهم بعض المعتزلة، وابن تيمية، وكثير من الصوفية، وبعض المحدثين مثل الشيخ محمد عبه والفيلسوف كارليل، وغيرهم[1].

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية، تأليف د/ عوض الله جاد حجازي صـ٢٧-٣٠، طبع دار الطباعة المحمدية، القاهرة، طـ١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الدليل الثاني

نظام الأكوان

وما فيه من الإحكام والإتقان

في هذا الدليل يثبت القاسمي أن صاحب القلم السليم يرى أنوار الحق تتجلى على كل المظاهر الكونية الناطقة بوجود إله بديع، أحكم صنعها ودبر أمرها، وتوضيح ذلك عند القاسمي: «إن ما نشاهده في هذا الكون من مخلوقات كلها على حالة من الترتيب والإحكام، وسيرها بنظام ترتبط فيه الأسباب بالمسببات، وما نراه من خدمة بعض الموجودات لبعض، كل ذلك يشهد بالضرورة على وجود خالق مريد لها، فهل يمكن أن يتصور منزل صنع بلا صانع؟ فبالضرورة لا بد من وجود صانع رسم صورته وحد حدوده، فما بالنا بالكون الذي هو أعلى وأعظم من صنع البشر»[(١)].

وهناك أدلة أخرى ذكرها القاسمي كانت بمثابة تفصيل لما أجمل في هذا الدليل.

من هذه الأدلة:

١- دليل اضطرار العالم إلى ممسك، والذي يقرر فيه أن الناس اتفقوا على أن العالم كله بما فيه من أرض وسماء وبحار وجبال، معلق في الفضاء، والعقل لا يسلم بأن الشيء الثقيل لا يقف في الهواء إلا بممسك له، وهذا الإمساك الدائم للكون لا يستطيع أحد القيام به إلا الله تعالى، ولا يعقل أن يكون الرياح هي الممسك له؛ لأنها تحتاج إلى من يرسلها ويدبر أمرها، والقرآن قرر هذه الحقيقة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر: ٤١][(٢)].

---

(١) دلائل التوحيد صـ٥١، بتصرف.

(٢) من دلائل التوحيد صـ٤٦. بتصرف.

٢- ومنها دليل الحياة الحيوانية والنباتية على وجه الكرة: فيقرر فيه القاسمي بأن الإنسان نفسه يعلم أن له خالقًا بالضرورة ؛ إذ يستحيل أن يُوجد الإنسان نفسه، وقد زعم بعض الملاحدة أن الحي وجد من المادة، وهذا باطل؛ لأن المادة خالية من الحياة وخاضعه للنظام الذي وضعه لها خالقها والحي لا يولد إلا من حي[١].

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي توضح ما أجمل ما في هذا الدليل.

تعقيب:

إذا كانت الفطرة السليمة تهتدي بنفسها إلى وجود الله تعالى فكذلك العقل إذا ابتعد عن الهوى والتعصب لأي فكرة فإنه لا بد وأن يصل إلى وجود إله خالق لهذا الكون، وأصح مقام يجد فيه العقل هذه الحقيقة هو مقام النظر والتأمل في الآفاق وفي الأنفس، ولم لا، وقد وعد الله عباده أن يريهم في هذا المقام من الآيات ما يجعلهم يشهدون له بأنه هو الحق خالق هذا الكون وموجده، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

ودليل كهذا يدعو الإنسان لكي يقلب بصره في هذا الكون، ويتملى في مشاهده وعجائبه، فيجده آية في التكوين، وهو دليل قرآني، والقرآن يتخذ من آيات النظر في الكون طريقًا لعرض أصول الإيمان، وقد عنى القرآن بالحديث عن هذا الكون وما فيه من الآيات، وقد أحصى بعض العلماء سبعمائة وخمسين آية موضوعها كوني، مما يدل على أهمية النظر في الكون وما فيه، ولا يقف الأمر عند ذلك، بل يتعدى إلى الأوامر الصريحة بالتفكير والنظر[٢]، قال تعالى: ﴿ قُلِ

(١) دلائل التوحيد صـ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٢) كتاب «دراسات في العقيدة الإسلامية» د/ محمد عبد الله الشرقاوي صـ٥٤، نشر مكتبة

﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تخاطب الناس كلهم، على اختلاف أحوالهم فمن عالم يعمل عقله ومن غير عالم، كل يجد بغيته في هذه الآيات، مما يوضح أن هذا الترتيب والإحكام في الكون من تقدير العليم الحكيم، وما أروع إشارة أحد الأساتذة إلى ذلك ؛ فيقول: «والشمس لا يمكنها أن تخرج عن المدار الذي أمرها الله أن تدور فيه، ولو خرجت زاوية واحدة عن محورها لتحطمت وحطمت الكثير، وكذلك القمر والأرض، وهذا هو ناموس الله في هذا الكون لكل خلق عدا الثقلين، الإنس والجن»[١].

وفي كلام الملاحدة ما يؤكد أن التأمل في الكون دليل على وجود الله، من ذلك ما يقوله الفيلسوف «باسكال»: «إن هذا الصمت الأبدي لذلك الفضاء اللانهائي ليقذف في قلبي روعة ورهبة»، ومنه أيضًا ما يقوله «كانت»: «شيئان يملآن قلبي إعجابًا وإكبارًا يتجددان وينموان كلما أعملت فيهما تأملي: السماء المزدانة بالنجوم من فوقي، وقانون الأخلاق في ضميري»[٢].

=

الزهراء طبعة سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل د/ عبد الله عزام صـ٢٩ نشر وتوزيع دار الإسراء، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) الدين د/ عبد الله دراز هامش صـ١١٩، نشر وتوزيع دار القلم، الكويت سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

الدليل الثالث

أخذ العقل السليم في الخشية والإشفاق والخروج من الحيرة

هذا الدليل هو آخر الأدلة التي ساقها القاسمي لإثبات وجود الله تعالى، وأشار القاسمي إلى أن أصل هذا الدليل وخلاصته تكمن في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٣، ١٤، ١٥][(١)].

وبيان هذا الدليل كما يرى القاسمي هو أخذ ما جاء على ألسنة الرسل -عليهم السلام- من التخويف بالعذاب، والوعيد الأكيد لكل مكذب في الاعتبار حتى تأخذ النفس حذرها، فمما طبعت عليه النفس هو حصول الخوف عند التخويف، فإذا خافت ترددت في موقفها، وبالتالي يجب عليها عقلاً تصديق كل ما غلب الظن بصدقه، وعضدته بالبراهين، وهذه هي إحدى طرق الإقناع التي أشار إليها المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠][(٢)].

---

(١) والتحري في الآية معناها الدقة في طلب الدليل عن معرفة وقصد.

(٢) والأسلوب في هذه الآية «أسلوب جدلي يراد به زعزعة الإصرار والعناد في نفوس أهل مكة وإثارة التخويف في نفوسهم والتحرج عن المعنى في التكذيب، ما دام أن القرآن يحتمل أن يكون من عند الله حقًا... ومن الأحوط إذًا أن يتريثوا في التكذيب قبل التعريض للعاقبة الوخيمة، وبخاصة إذا أضيف إلى ذلك الاحتمال أن واحدًا أو أكثر من أهل الكتاب يشهد بأن طبيعته من طبيعة الكتاب قبله، ويتبع هذا التذوق بالإيمان، بينما هم الذين جاء القرآن لهم، وبلغتهم، وعلى لسان رجل منهم يستكبرون ويكفرون...

فيترتب على ذلك الوقوع في الحيرة، وأنفع ما تدفع به هذه الحيرة هو الإسلام؛ إذ أنه ليس هناك ما هو أهدى منه للعقول، وأشفى لما في الصدور، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ ﴾ [القصص: ٤٩]؛ أي: ولا أهدى من الإسلام، فوجب اتباعه، ولو فرضنا بأن الحيرة ملازمة للإسلام فهي لغيره ألزم، والذي لا يقبل الإيمان المبني على البرهان والقرآن، يقبل الكفر بغير ذلك.

ثم انتقل القاسمي إلى بيان أصل وقوع الإنسان في الوساوس، وبين بأن أصله هو عُجْب الإنسان بعلمه وعقله، وأن كل ما لا يعرفه فهو باطل، مع أن الله قال فيه: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقد يوصله هذا العجب إلى الكفر، ولا ينبغي أن نجعل الكفر والجفاء برهانًا أو شبه تعارض براهين الحق ؛ إذ أن الكفر يزول بتعرض النفس للشدائد والأهوال، وليس أدل على ذلك مما ذكره الله تعالى وفي شأن قوم سيدنا يونس -عليه وعلى نبينا السلام- وفي شأن فرعون حينا عاين الغرق، وإلى ذلك أشار المولى بقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾ [ص: ٨].

وقد أشار القاسمي لذلك أيضًا بأبيات لأبي العلاء المعري[(١)]:

=

فمع أن اليقين الجازم بأن القرآن من عند الله فقد استخدم أسلوب التشكيك لا أسلوب الجزم... ويعد هذا الأسلوب واحدًا من أساليب الإقناع في بعض الأحوال».

من كتاب «في ظلال القرآن» جـ٦ صـ٣٢٥٨.

(١) المعري: هو الشيخ العلامة شيخ الآداب أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن أحمد التنوخي المعري، يلقب بالساطع لجماله، ولد سنة ٣٦٣هـ رحل في طلب العلم فبزغ فيه وصنف العديد من الكتب، مرض في آخر عمر، وتوفي سنة ٤٤٩هـ.

ينظر: السير جـ١٨ صـ٢٣، تاريخ بغداد جـ٤ صـ٢٤٠، ٢٤١، ميزان الاعتدال جـ١ صـ١١٢.

إذا كنت من فرط السفاة معطلاً فيا جاحدًا اشهد أنني غير جاحد
أخاف من الله العقوبة آجلاً وأزعم أن الأمر في يد واحد
فإني رأيت الملحدين تعودهم ندامتهم عند الأكف اللواحد(١)

وفرعون وغيره لو أقيمت لهم أعظم البراهين بدون أن يروا العذاب ما آمنوا، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ [غافر: ٨٤].

والقرآن الكريم به الكثير من الجمع بين الأدلة والوعيد سيما في قصص المعذبين، وتأثير ذلك في القلوب أقوى، وعلى كل فالقرآن يظهر بأن الأمن مع الإيمان بالخالق، والخوف في عدم الإيمان به، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٥٢].

ثم سرد القاسمي علاجًا للشك نقله عن الإمام أبي حامد الغزالي وضح فيه أنه يمكن معالجة الشاك بعلم يناسب عقله «ويقال له: هل ما جاءت به الرسل وصدقته المعجزات ممكن أو محال؟ فإن قال بأنه محال فهو شخص معتوه(٢)، وإن قال: أنا شاك فيه، فيقال له: لو قال لك شخص مجهول: بأن حية ولغت في طعامك الذي أعددته فهل تأكل منه أو تتركه؟ فيقول: سأتركه لا محالة؛ لأنه إن كذب فلا يفوتني إلا الطعام والصبر عليه، وإن صدق فتفوتني الحياة، فنقول له: يا سبحان الله، كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما أُيدوا به

(١) اللزوميات لأبي العلاء المعري، جمعتها جماعة من الأخصائيين صـ٢٤٠، القصيدة رقم ٨٦، طبع ونشر دار الكتب العلمية.

(٢) معتوه: من عته عتهًا وعتاهًا وعتاهية؛ أي: نقص عقله من غير مس جنون، المعجم الوسيط جـ٢ صـ٦٠٤، طبع مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٥م.

من المعجزات وتصديق الحكماء والعلماء لهم، عن صدق رجل واحد مجهول، ربما يكون له غرض فيما يدعيه، وهؤلاء العلماء والحكماء مصدقون بالله واليوم الآخر، إن صدقوا وصدقتهم فزت معهم بالنعيم المقيم، وإن كذبوا وصدقتهم لا يفوتك إلا بعض متاع الدنيا وشهواتها الفانية، فإن كان عاقلاً لا يبقى له توقف إلا ويفضل النعيم الباقي على المتاع الزائل، فلا نسبة بين هذا وذاك»[١].

تعقيب:

بعد عرض هذا الدليل كما صوره القاسمي أرى:

أولاً: أن دليلاً كهذا يعد دليلاً خاصًّا بالموحدين؛ إذ أن مقدمته الأولى بنيت على أخذ ما جاء على ألسنة الرسل فسيق لكي يحافظ على عقولهم من الشطط عن الحق، ولبيان المخرج إذا تعرضوا لحيرة في أمره بثتها الشياطين داخلهم، وعلاج من وقع منهم في شك.

ثانيًا: أنه من الأحرى ألا يكون هذا الدليل في مصاف الأدلة التي تثبت وجود الله تعالى كما فعل القاسمي؛ إذ أنني وجدت فيه منتهى ما وصلت إليه الأدلة من إظهار الحق والذهاب إلى الإيمان اليقيني الخالص، وبهذا يعد نتيجة للأدلة لا دليلاً منها، ويؤيد هذا ارتباط إحدى مقدماته بالأدلة السابقة، يتضح هذا في قوله: «فكيف إذا جاء الثقة مع ظن صدقه المعجز القاهر، وعضدته البراهين المتقدمة»[٢]، وهو يقصد الإشارة إلى الأدلة الكثيرة التي سبقت هذا الدليل.

ثالثًا: كل الأدلة التي ساقها القاسمي لإثبات وجود الله تعالى لا تحتاج إلا إلى عقل سليم، يعرف الحق ويقدره، ويستطيع إنصاف أي مذهب يستحق

---

(١) دلائل التوحيد صـ٦٩-٧٢، بتصرف.

(٢) دلائل التوحيد صـ٦٩.

الإنصاف، ولديه من المعرفة ما يعينه على تفهم هذه الأدلة، فإن تعارض ما هو عليه مع ما أثبتته هذه الأدلة أذعن للحق، وقبله ومن كان فاسد العقل ضعيف القريحة، فهذا لا تجدي مع الأدلة وإذا عرفها ضيعها، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٤٦].

رابعًا: لاحظت من خلال عرض القاسمي لأدلته على وجود الله تعالى أنه اعتمد على أدلة كثيرة، وسار في هذه الأدلة مخاطبًا جميع الناس على اختلاف أحوالهم، فساق أدلة عقلية نظرًا؛ لأن من الناس من لديه القدرة على النظر في الأدلة العقلية، ومنهم من لا يتقبل عقله ويعتمد على ما يراه بحواسه، فساق لذلك ما يناسبه، ومنه منهم أصحاب قلوب سليمة يتوصلون بها إلى خالقهم، فساق لذلك أيضًا ما يناسبهم، وهو في ذلك متبع لأسلوب القرآن الكريم في مخاطبة الناس على اختلاف أحوالهم[(١)].

---

(١) «في الفكر الإسلامي الحديث والتحديات المعاصرة» د/ عبد المقصود عبد الغني صـ١٩٢، ١٩٣، طبع المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، نشر مكتبة الزهراء سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

المبحث الثالث

إثبات الصفات إجمالاً

ويشتمل على:

١ - تمهيد.

٢- آراء أشهر الفرق الكلامية في الصفات.

٣- رأي القاسمي في الصفات.

تمهيد

كان حال الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- هو التسليم بما جاء في كتاب الله تعالى وبما جاء به سنة نبيه ﷺ من صفات الله ﷻ من غير أن يشبهوه بخلقه، أو يعطلوا صفاته، وقد بين المقريزي ذلك فقال: «من أمعن النظر في دواوين الحديث، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة -رضي الله عنهم- على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه وتعالى به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك فسكتوا عن الكلام في الصفات، ولا فَرَّق أحد منهم بين كونها صفة ذات[(١)] أو صفة فعل[(٢)]، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية، من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة، وساقوا الكلام سوقًا واحدًا، وهكذا أثبتوا -رضي الله عنهم- بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى شيء من هذه، ورأوا بأجمعهم إجراءات الصفات كما وردت»[(٣)]، وكذلك كان الحال لدى كبار الأئمة أمثال أبي حنيفة[(٤)]،

---

(١) الصفات الذاتية: هي ما يوصف الله بها ولا يوصف بضدها، نحو القدرة والعزة والعظمة وغيرها.

(٢) الصفات الفعلية: هي ما يجوز أن يوصف الله تعالى بضده كالرضا والسخط والغضب... ونحوها، ينظر: «التعريفات» تأليف السيد علي بن محمد الجرجاني صـ١١٧، طبع ونشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

(٣) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تأليف أحمد بن علي المقريزي جـ٢ صـ٣٥٧ نشر دار صادر، بيروت.

(٤) أبو حنيفة: هو إمام العراق وفقيهها النعمان بن ثابت التيمي، كان إمامًا ورعًا، عالمًا عاملاً

ومالك[١]، والشافعي[٢]، وأحمد[٣]، إذا كان رائدهم في ذلك هو التوحيد الخالص، وتنزيه المولى ﷻ هو الفكرة الأساسية التي تحدد فهمهم لعقائد الدين[٤]، وما لبث الحال إلا وتغير وأصبحت مسألة الصفات من المسائل التي اضطربت فيها أقوال العلماء، وانقسموا تجاهها إلى أقاسم، لذا أردت أن أبين آراء الفرق الكلامية في المسألة ثم أعقبه برأي القاسمي.

=

متعبدًا، قال عنه الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال أبو داود: إن أبا حنيفة كان إمامًا، ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى ذلك، وقال أبو معاوية الضرير: حُبُّ أبي حنيفة من السنة، ينظر: السير جـ٦ صـ٤٠١، التذكرة جـ١ صـ١٦٨، تاريخ بغداد جـ١٣ صـ٣١٣.

(١) الإمام مالك: هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة ومحدثها الأشهر، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ، وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ، تلقى العلم عن ربيعة الرأي، فأخذ عن كبار الفقهاء من التابعين، صاحب المذهب المشهور، وله الموطأ وغيره، ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف د/ مصطفى السباعي صـ٤٣٠، طبع ونشر المكتب الإسلامي بيروت طـ٤، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الشافعي: هو الإمام العلم محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي، نزيل مصر، المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، عالم العصر، وناصر الحديث، فقيه الملة، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، ينظر: السير جـ١٠ صـ٥-٩٩، تاريخ بغداد جـ٢ صـ٥٦، الوافي بالوفيات جـ٢ صـ١٧١.

(٣) أحمد بن حنبل: هو الإمام الجليل أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله، شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الفقيه، قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل، توفي سنة ٢٤١هـ، ينظر: السير جـ١١، صـ١٧٧، الحلية جـ٩ صـ١٦١، التهذيب جـ١، صـ٧٣.

(٤) مقدمة د/ محمود قاسم لمناهج الأدلة لابن رشد صـ٣٦.

آراء أشهر الفرق الكلامية في الصفات

أولاً الجهمية[١]:

مذهب الجهمية هو: نفي الصفات عن الله ﷻ بحجة التنزيه المطلق ؛ إذ أن جهم بن صفوان رأى أن إثبات الصفات الواردة في كتاب الله تعالى يفضي إلى التشبيه بينه وبين خلقه، وهذا ينافي في نظره قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، فأنكر جهم أن يكون لله عين وسمع وبصر، إلى غير ذلك من جميع الصفات «ورغم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حَدَّث عنه رسوله، كان كافرًا، وكان من المشبهة»[٢]، ولم يثبت من الصفات إلا كونه خالقًا قادرًا فاعلاً ؛ إذ ليس من خلقه من هو متصف بهذه الصفات؛ لأن الإنسان في نظره مجبور على فعله فلا يوصف بشيء من ذلك، وفي ذلك يقول الشهرساتاني حاكيًا قول جهم: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي تشبيهًا، فنفى كونه حيًّا عالمًا، وأثبت كونه قادرًا، فاعلاً،

---

(١) الجهمية: هم أصحاب هم بن صفوان، من أهل خراسان، ينسب إلى سمرقند ترمذ، ومحتده الكوفة، ويكنى أبا محرز، وكان مولى لبني راسب من الأزد، وأخذ الكلام عن جعد بن درهم، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم (أو سالم) ابن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية.

ينظر: ترجمته تاريخ الجهمية والمعتزلة، تأليف: جمال الدين القاسمي صـ١٠، طبعة مؤسسة الرسالة طـ٣ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، السير جـ٦ صـ١٩٨٥م، السير جـ٦ صـ٢٦، تاريخ الطبري جـ٧ صـ٢٢٠، ميزان الاعتدال جـ١ صـ٤٢٦.

ينظر لنفيه الصفات ورأيه فيها كتاب «جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي» تأليف د/ خالد العسلي رسالة ماجستير صـ٧٤، ٧٥، نشر المكتبة الأهلية، بغداد سنة ١٩٦٥، التنبيه والرد للملطي صـ١١٨، ١١٩، ١٢١.

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل، ضمن مجموعة عقائد السلف صـ٦٦.

خالقًا؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق»[١].

ثانيًا المعتزلة[٢]:

ذهب أكثر المعتزلة إلى نفي الصفات عن الله ﷻ بمعنى أنه ليس لله تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته، فالله تعلى عندهم قادر، حي، عالم بذاته لا بقدرة وحياة وعلم، وهكذا شأن باقي الصفات[٣]، ومن المعتزلة من أثبت الصفات لله تعالى، ولكنهم اختلفوا فمنهم من جعلها عين ذاته، كأبي الهذيل العلاف[٤]، ومنهم من جعلها أحوالاً للذات لا هي موجودة ولا هي معدومة، كأبي هاشم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني تحقيق الأستاذ أحمد فهمي، جـ١ صـ٧٣ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، طـ٢، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، الفرق بين الفرق للبغدادي، تحقيق محمد محيى الدين صـ٢١١، ٢١٢، طبع المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال أبو حذيفة، ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة، المتكلم البليغ، قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر المنزلة بين المنزلتين، وقد اعتزل عن الحسن البصرى لما خالف ، وجلس اليه عمرو بن عبيدة وقيل لهما ولأتباعهما معتزلون ، له كتاب فى التوحيد وكتاب المنزلة بين المنزلتين ، توفي سنة ١٨١هـ، ينظر: السير جـ٥ صـ٤٦٤، وفيات الأعيان جـ٦ صـ١١٠٧، لسان الميزان جـ٦ صـ٢١٤.

(٣) الزمخشري تأليف د/ أحمد الحوفي صـ١٢٠، طبع الهيئة المصرية للكتاب طـ٢ سنة ١٩٨٠ بتصرف، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيى الدين جـ١ صـ٢٤٤، طبع المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م بتصرف، فلسفة وفرق المعتزلة، تأليف د/ علي سامي النشار والأستاذ عصام الدين محمد علي ضمن كتاب فرق وطبقات المعتزلة صـ١٣٧ طبع دار المطبوعات الجامعية سنة ١٩٧٢م.

(٤) أبو الهذيل: هو محمد بن الهذيل العبدي، الملقب بالعلاف، شيخ المعتزلة ومقدمهم ومقرر طريقتهم والمناظر عليها، توفي سنة٢٢٧هـ، ينظر: فرق وطبقات المعتزلة صـ٥٤-٥٨ مقالات الإسلاميين جـ١ هامش صـ٢٣٦.

الجبائي[١]، وبهذا لا يكون لهذه الصفات وجود إلا في الذهن فقط[٢]، فالله تعالى قادر بقدرة هي ذاته، وعالم بعلم هو ذاته، وكذا باقي الصفات، ولكنهم استثنوا من الصفات صفتي الإرادة والكلام، فقالوا: إنهما زائدتان على الذات ولا يقومان بها الذات، فالإرادة لا تقوم بمحل لأنها حادثة، والحادث لا يقوم بالذات القديمة، وكذلك الكلام لا يقوم بالذات وإنما يقوم في جماد[٣]، فالله تعالى عندما كلم سيدنا موسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- خلق الكلام في شجرة سمع منها موسى كلام الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وحجة المعتزلة في نفيهم لصفات الله تعالى: امتناع تعدد القديم؛ لأن هذه الصفات لو شاركت الله تعالى في القدم -الذي هو أخص صفات الألوهية- للزم أن تكون آلهة، وحينئذ يتعدد الإله، والنصارى قد كفرت بإثبات ثلاثة من القدماء، فكيف الحال فيمن أثبت أكثر منها[٤]، وفي ذلك يقول واصل: «من

---

(١) أبو هاشم: هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، المتكلم المشهور، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولد سنة ٢٤٧هـ، وتوفي سنة ٣٢١هـ، ينظر: فرق وطبقات المعتزلة صـ١٠٠.

(٢) الفرق بين القولين: إن الذين قالوا إن الله عالم بذاته لا بعلم، قد نفوا الصفة عنه تعالى، بينما أوجد أبو الهذيل صفة هي بعينها ذات، ينظر: المعتزلة، تأليف د/ زهدي جار الله صـ٦٥، ٧٤، نشر النادي العربي، القاهرة، واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية، تأليف سليمان الشوايشي صـ١٦٠، نشر وطبع الدار العربية للكتاب بليبيا سنة ١٩٩٣م.

(٣) تيسير الاقتصاد في الاعتقاد، تأليف د/ صالح شرف جـ٢ صـ٥، نقلاً عن تيسير الاقتصاد في الاعتقاد تأليف د/ نشأت عبد الجواد ضيف صـ٣٤، بتصرف.

(٤) شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا صـ٣٧ طبع الكليات الأزهرية طـ١ سنة ١٤٠٧هـ، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، =

أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين»[(١)].

ويعلق أستاذنا/ عوض الله حجازي على هذا فيقول: «... ليس هناك إجماع يكفر من قال بتعدد القدماء!! كيف وقد قال الأشاعرة بقدم صفات المعاني السبعة وزيادتها على الذات، وقد زاد عليها الماتريدية صفة التكوين، وأما كون النصارى قد كفروا بإثبات ثلاثة من القدماء فإنهم لم يكفروا بإثبات ثلاثة من القدماء؛ لأنها صفات، بل لأنهم جوزوا عليها الانتقال، وقالوا: إن أقنوم[(٢)] العلم قد انتقل إلى بدن عيسى عليه السلام، والانتقال من خواص الأجسام لا من خواص الصفات، وأيضًا إنهم قد جعلوا هذه الأقانيم آلهة يجب لها الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، فهم قد جعلوها آلهة، والآلهة ذوات لا صفات»[(٣)].

ظهر مما سبق أن المعتزلة أرادوا بنفيهم للصفات تصحيح التوحيد ونفي التعدد، ولكن يؤخذ عليهم أنهم حَكَّموا العقل في كثير من القضايا «وليس ذلك

=

تأليف د/ عمر سليمان الأشقر صـ١٧٠ طبع دار النفائس، الأردن طـ٢، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ٤٠.

(٢) أقنوم: كلمة سريانية معناه شخص أساسي، أو شخص رئيسي، وهي قريبة من الكلمة اليونانية nomos ومعناها: قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص؛ لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي، أو في الذات، ينظر: دراسات في الكتاب المقدس «إنجيل يوحنا» صـ٤٣ ط دار العالم العربي بمصر ١٩٧٥ نقلاً عن «أقانيم النصارى» كتاب يتحدث عن أصل الديانة النصرانية وتطولها ونقدها بأدلة من أسفار التوراة والإنجيل وكتب التاريخ، تأليف د/ أحمد حجازي السقا صـ٩، وشرح العقائد النسفية صـ٣٧.

(٣) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي، تأليف د/ عوض الله حجازي صـ١٣١، ١٣٢ طبع دار الطباعة المحمدية، القاهرة، طـ٣ سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال»(١).

ثالثًا الفلاسفة:

ذهبت الفلاسفة إلى نفي زيادة الصفات على الذات، وقالوا: بأن صفات الباري هي عين ذاته، فالله تعالى عندهم سميع بذاته، مريد بذاته، واستثنوا من قولهم هذا صفة الكلام، فقالوا: بأنها زائدة على الذات غير قائمة بها (الذات)؛ لأن هذه الصفة حادثة، ومعنى أن الله تعالى متكلم؛ أي: أنه خلق الكلام في ذات النبي ﷺ(٢).

ومعنى قولهم: إن الصفات عين الذات؛ أي: أنه ليس وراء الذات معنى زائدًا لا في الذهن ولا خارج الذهن.

وحجة الفلاسفة على وجهة نظرهم: أن إثبات الصفات لله تعالى يستلزم

---

(١) مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون صـ٥٠٩، طـ دار الجيل، بيروت.

(٢) لبيان مذهبهم ينظر: تيسير الاقتصاد في الاعتقاد، تأليف د/ نشأت عبد الجواد ضيف صـ٣٦، دراسات في علم التوحيد، إعداد أ. د/ عوض الله حجازي، د/ حبيب الله حسن أحمد صـ٦، ٧، ٨.

والفرق بين مذهب الفلاسفة والمعتزلة من وجوه:

أ- الفلاسفة جردوا الإله عن الصفات والأحوال، فليس له أحوال كما يقول المعتزلة.

ب- الفلاسفة استثنوا صفة الكلام فقط، بخلاف المعتزلة فإنهم استثنوا مع الكلام صفة الإرادة.

جـ- الكلام عند الفلاسفة ليس مخلوقًا في شجرة، وإنما هو مخلوق في ذات النبي ﷺ إما في النوم أو في اليقظة، وهذه الأصوات ليس لها وجود خارجي.

ينظر: المرجع السابق.

أن يكون الباري مركبًا، وأن يكون جسمًا مؤلفًا، وفي هذا نفي لإثبات الوحدانية لله تعالى، وفي ذلك يقول صاحب المواقف: «احتج العلماء بأنه لو كان له صفة زائدة على ذاته لكان هو فاعلاً لتلك الصفة لاستناد جميع الممكنات إليه، وقابلاً لها أيضًا لقيامها بذاته»(١).

ويمكن الرد عليهم: بأن المستحيل هو تعدد الذات، لكن وجود ذات قديمة لها صفات غير مستحيل، وفي ذلك يقول السعد: «المستحيل هو تعدد الذوات القديمة وهو غير لازم، ويلازمكم كون العلم مثلا قدرة وحياة، عالمًا، وحيًّا، قادرًا، وصانعًا للعالم ومعبودًا للخالق، وكون الواجب غير قائم بذاته، إلى غير ذلك من المحالات»(٢).

رابعًا الأشاعرة:

يرى الأشاعرة أن لله سبحانه وتعالى صفات زائدة على ذاته، وهي موجودة وقديمة ومختلفة فيما بينها، فهو سبحانه وتعالى عالم بعلم زائد على ذاته، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع، ومتكلم بكلام، إلى غير ذلك من صفات المعاني(٣).

وقد احتجوا لمذهبهم هذا بحجج منها:

١- قياس الغائب على الشاهد؛ أي: أن الصفات الإلهية تفهم من صفات

---

(١) شرح المواقف الموقف الخامس صـ٨١.

(٢) شرح العقائد النسفية صـ٣٧، ويراجع في الرد عليهم مفصلاً كتاب «أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة» تأليف د/ عمر سليمان الأشقر صـ١٧٥-١٩٣.

(٣) صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بموصوف، موجبة له حكمًا كالقدرة، والإرادة، والعلم، والبصر، والحياة.

ينظر في ذلك: تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجورى صـ٧٦ طبع الإدارة الأزهرية سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م.

الشاهد، وقد ثبت في الشاهد أن كون الواحد منا حيًّا، وعالمًا، وقادرًا، معللاً بأن له حياة وعلم وقدرة تقوم به، فكذا في الذات الإلهية.

٢- لو كان المفهوم من صفة العلم هو نفس الذات، والمفهوم من صفة القدرة كذلك، لكان العلم نفس القدرة، وهذا باطل، وكذا القول في باقي الصفات التي يدعى فيها بأنها عين الذات.

٣- لو كان المفهوم من الحياة والعلم والقدرة نفس الذات، لم يفد حمل هذه الصفات على ذاته، وكان القول: بأن الله العالم أو القادر، إلى غير ذلك من الصفات، يعد من باب حمل الشيء على نفسه، وهذا باطل؛ لأن وصف الله بهذه الصفات يقتضي زيادة واضحة على ذاته، فمن هنا قلنا بأن هذه الصفات زائدة على الذات[(١)].

ويمكن الرد على الأشاعرة بالآتي:

١- تناقض الأشاعرة في الصفات، حين أثبتوا بعض الصفات (صفات المعاني) بدون تأويل، وأولوا بعضها (الصفات الخبرية).

٢- قولهم بأن لله صفات قديمة زائدة على ذاته (مغايرة لها) أوقعهم في التناقض، إذ كيف تكون مغايرة للذات وقديمة؟!

٣- قياسهم للغائب على الشاهد حجة لم تسلم لهم في إثبات الصفات لله تعالى؛ إذ أن نسبة الصفات إلى الله تعالى ليست هي نسبة صفات الإنسان إلى صاحبها.

٤- الوجهان الثاني والثالث لهم لم ينهضا بالاحتجاج على أن الصفات مغايرة للذات، بل إنهما أفادا المغايرة بين مفاهيم الصفات، ليس أكثر من ذلك[(٢)].

---

(١) شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس صـ٧٨، ٧٩، ٨٠.

(٢) مقدمة د/ محمود قاسم لكتاب «مناهج الأدلة في عقائد الملة» لابن رشد صـ٤٢، ٤٣،
=

خامسًا الكرامية[(١)]:

أثبتت هذه الطائفة للخالق تعالى جميع الصفات من القدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، إلى غير ذلك من الصفات التي ورد بها الشرع، ولقد بالغوا في ذلك حتى أطلقوا عليه سبحانه وتعالى أنه جسم له حد ونهاية من تحته.

وقالوا: إن الخالق تعالى محل للحوادث، كما زعموا أن أقواله وإرادته، وإدراكاته للمرئيات والمسموعات، أعراض حادثة فيه، وهو محل لها، كما وصفوه بالثقل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار: ١]، فقالوا: بأنها انفطرت من ثقل الرحمن عليها، وقالوا: أن كل اسم له مشتق من أفعاله، يكون ذلك الاسم ثابتًا له في الأزل، مثل الخالق، والرازق، والمنعم، وقالوا: إنه كان خالقًا قبل أن خلق، ورازقًا قبل أن رزق، ومعنى خالقيته؛ أي: قدرته على الخلق، ورازقيته؛ أي: قدرته على الرزق، والقدرة قديمة، والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته[(٢)].

=

وأيضًا شرح المواقف الموقف الخامس صـ٨٠، ٨١.

(١) هم أصحاب محمد بن كرام أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم، كان من سجستان، وكان يتعبد ويظهر التقشف والتقلل من الدنيا، وكذلك أصحابه، وأكبر ظهورهم في نيسابور، ومن مقولاته: إن الإيمان قول باللسان دون اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، فمن أقر بلسانه فهو مؤمن حقًّا، وإن اعتقد بقلبه ما شاء من الشرك... "البرهان في عقائد الأديان" ، تأليف/ عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج صـ١٨، طبع دار التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٠م.

وينظر: الفرق بين الفرق صـ٢١٥.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي صـ٢١٦-٢٢٠ بتصرف، ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي صـ١٣٥.

ومذهب الكرامية مردود من أصله؛ لأنهم جعلوا من إثبات الصفات للخالق تعالى وسيلة لتجسيده، ولحلول الحوادث فيه، وهذا يتنافى مع قدسيته، ويتعارض مع قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

رأي القاسمي في مسألة الصفات

يثبت القاسمي للمولى ﷻ كل صفة تصفه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص، وهو في ذلك ليس بدعًا من العلماء، فهذا ما أقره سلف الأمة، ويرى كذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك الصفات، وفي ذلك يقول القاسمي: «كل من تعرض لمعرفة الذات بعقله، فقد تعرض لأمر يعجز عنه، ولا يمكنه بلوغ الأرب منه، والمرء إذا عجز عن معرفة كنه نفسه، بل عن اكتناه أبسط الأشياء لديه، فعن معرفة اكتناه الحق بالأولى، فمعرفتنا به سبحانه إنما هي علمنا بوجوده وبأسمائه الحسنى، وأنه ليس كمثله شيء»(١).

ويرى القاسمي أن الصواب في مسألة الصفات هو مذهب السلف الصالح(٢) -رضوان الله عليهم أجمعين- ومؤداه: وصف الله تعالى بما وصف به

---

(١) دلائل التوحيد للقاسمي صـ٧٨.

(٢) السلف: هم القوم المتقدمون، ويطلق هذا اللفظ على الصدر الأول من التابعين للسلف الصالح، ينظر: لسان العرب لابن منظور جـ٣ صـ٢٠٦٨، ٢٠٦٩.

ومن الناحية التاريخية: يطلق على الذين عاشوا قبل القرن الخامس الهجري، والبعض يحددون السلف بالصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ومن الناحية العقدية: يطلق على الصحابة والتابعين وتابعيهم، دون من رُمي ببدعة أو شهر بلق غير مرضي كالخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهم العلماء بأصول السنة وطرائقها، وهم حراس الشريعة الواعون لأصولها، العاملون بها قولاً وعملاً واعتقادًا ظاهرًا وباطنًا، وقيل: هم الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهو أعلم الناس بأقواله وأفعاله وأحواله، وهذا الرأي هو ما أميل إليه في تعريف السلف، ينظر: دراسات علمية في المسائل العقدية، تأليف د/ آمنة محمد نصير صـ٣٣، ٣٤، مطبعة الصديق ط٢ سنة ١٤١٦/ ١٩٩٦م، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، تأليف الشيخ/ محمد السفاريني صـ٢٠، طبع المكتب الإسلامي،

نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ في سنته من غير تكييف ولا تأويل ولا تعطيل(١)، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشابه بينها وبين صفات المخلوقين، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واستدل القاسمي على رأيه بنصوص نقلها عن الإمام أحمد، وأبي حامد الغزالي، والبيهقي، وابن القيم، وابن تيمية.

من ذلك ما نقله عن الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام» في بيان أن مذهب السلف هو الحق، قال: ولهذا برهانان؛ عقلي وسمعي:

=

بيروت ط٣ سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(١) التكييف: هو أن يقال: الصفة على هيئة كذا، وكيفية كذا.

التمثيل: هو تشبيه الخالق بالمخلوق، ينظر: التحف في مذاهب السلف للإمام الشوكاني، تقديم وتعليق/ سليم بن عبد الهادي، علي حسن عبد المجيد، هامش صـ٣٥، ط مكتبة الوعي الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن تيمية ضمن رسائل في العقيدة، تأليف الشيخ/ محمد بن عثيمين صـ٥٤، ٥٥ نشر دار الصفوة الطبعة الأولى.

التأويل: هو نقل ظاهر اللفظ عن وصفه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.

التعطيل: هو التفريغ والإخلاء، ويطلق في الاصطلاح على نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله تعالى.

لسان العرب جـ١ صـ١٧٢، جـ٤ صـ٢٩٩٨، الإيمان ونواقضه تأليف د/ محمد نعيم ياسين صـ١٢ نشر مكتبة الزهراء، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم تحقيق سيد إبراهيم صـ٢٣ طـ١ دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

أولاً: البرهان العقلي:

وهو إما كلي وإما تفصيلي؛ والكلي يظهر بأربعة أصول مُسَلَّمَة لكل عاقل:

أ- إن أعرف الخلق بصلاح العباد في معاشهم ومآلهم هو النبي ﷺ.

ب- إن النبي ﷺ أخبر العباد بما يصلح به أحوالهم ولم يكتمهم شيئًا مما أوحي إليه، والقرائن دالة على ذلك، فما ترك شيئًا يقربهم إلى الجنة إلا ودلهم عليه، ولا شيء يقربهم من النار إلا ونهاهم عنه.

جـ- إن أعرف الناس بمعاني القرآن الكريم هم الذين شاهدوا نزوله وعاصروا النبي ﷺ وصاحبوه ولازموه آناء الليل والنهار ؛ لأجل أن يفهموا هذه المعاني، وينقلوها إلى من بعدهم تقربًا إلى الله تعالى وهم صحابته رضوان الله عليهم أجمعين-.

د- إن هؤلاء الصحابة على طول حياتهم لم يدعوا الخلق إلى البحث والتفتيش والتأويل لمثل هذه الأمور، بل كان الظاهر منهم زجر من تحدث في مثلها، فترتب على هذه الأصول أن الحق في قولهم والصواب ما رأوه.

والعقلي التفصيلي: يقوم على أمور يجب على الخلق الالتزام بها وهي:

أ- تقديس الحق عن التشبيه ومشابهة الأجسام.

ب- التصديق والإيمان بما قاله الرسول ﷺ بالمعنى الذي أراده.

جـ- الاعتراف بالعجز عن درك حقيقة تلك المعاني.

د- السكوت عن السؤال وعن الخوض فيما وراء طاقة العقل.

ه – إمساك اللسان عن تغيير هذه الظواهر بالزيادة أو النقصان والجمع والتفريق.

و- كف القلب عن التفكر في ذات الخالق وحقيقة صفاته وقصر تفكيره على آلائه.

ز- التسليم لأهل المعرفة من الأنبياء والأولياء والعلماء الراسخين.

ثانيًا: البرهان السمعي:

وطريقه أن نقيض مذهب السلف بدعة، والبدعة مذمومة وهي ضلالة، والخوض في التأويل من جهة العوام والعلماء بدعة فيكون نقيضه وهو الكف عن الخوض في التأويل سنة محمودة، وإذا سلم ذلك نتج أن الحق هو مذهب السلف(١).

ومن ذلك أيضًا ما نقله عن ابن القيم، ومؤداه أن طريق السلف ومن تبعهم هو الأولى بالاتباع؛ ذلك أن من يتأمل الأحاديث النبوية يجدها في غاية بيان المتكلم وفصاحته وحسن تعبيره عن المعاني، وكمال معرفته وعلمه بما يعبر عنه، وكمال نصحه وإرادته لهداية الخلائق، فيستحيل عليه ﷺ أن يخاطب الناس بشيء وهو لا يريد منهم ما يدل عليه خطابه، بل يريد منهم أمرًا بعيدًا، فكيف يليق بالنبي أن يعدل عن مقتضى البيان الرافع للإشكال والإبهام ويوقع الأمة في أودية التأويلات والاحتمالات، إن من يقول مثل هذا الكلام لا يُقَدِّرُ الله حق قدره، وكذلك رسوله.

والمسلك الصحيح في هذه المسألة ينبني على:

أ- عدم مشابهة صفات الله تعالى بصفات المخلوقين؛ لأن ذاته تعالى ليست كذواتهم، فكذلك صفاته، والنفاة ما نفوا هذه الصفات إلا لاعتقادهم القاصر أن صفات الله تعالى تشبه صفات المخلوقين، وعدم معرفتهم بأن لوازم الصفات تختلف باختلاف محلها، فلازم الفرح مثلاً بالنسبة للإنسان يختلف عن لازمه بالنسبة لله تعالى.

---

(١) تفسير القاسمي محاسن التأويل ط١ صـ٣٣٩، ٣٢٤ بتصرف، ويراجع في «إلجام العوام عن علم الكلام» تأليف/ حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي صـ٢٤-٢٧ عُني بنشره محمد علي عطية الكتبي ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م.

ب- الحق إثبات ما أثبته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تحريف ولا تمثيل[١].

وبذلك ظهر لنا من خلال رأي القاسمي في الصفات أنه أثبت جميع صفات الجلال والكمال لله تعالى ولم يتأثر بآراء الفرق الكلامية السابقة عليه، وكان عمدته في ذلك ما ورد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ.

---

(١) تفسير القاسمي جـ٢ صـ٣٤٣، صـ٣٤٥ بتصرف، طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن قيم الجوزية، تعليق/ محمود غانم غيث صـ٣٢٩-٣٣٣ نشر دار الطباعة المحمدية مصر الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

المبحث الرابع

الصفات الخبرية

ويشتمل على:

١ - تمهيد.

٢- آراء أشهر الفرق في الصفات الخبرية.

٣- رأي القاسمي في الصفات الخبرية.

٤ - تعقيب.

الصفات الخبرية

تمهيد

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة تثبت لله تعالى كثيرًا من الصفات التي يوهم ظاهرها التشبيه كاليد والعين والقدم والاستواء على العرش إلى غير ذلك، ولكن هل هذه الأمور المنسوبة إلى الله تعالى -في القرآن والسنة، صفات لله تعالى- وفق حقيقة ألفاظها المتَصَوَّرة في أذهان الناس؟ أو صفات لله تعالى وفق حقيقة كلية تدل عليها الألفاظ بالإطلاق العام، والجانب الأعلى منها يليق بجلال الله تعالى لا تشبيه فيه ولا تجسيم؟ أو صفات لله تعالى مستعملة في حقائق أخرى مسماة في لسان الشرع بهذه الأسماء، ولا نعلم حقيقتها على وجه التحديد؟ أو أنها مستعملة لمعانٍ غير المعاني الظاهرة منها على وجه المجاز، ونحن نستطيع أن ندرك هذه المعاني[١]؟

فهذه وجوه تمثل آراء العلماء في مسألة الصفات الخبرية.

والصفات الخبرية من الصفات التي اختلف الفرق في إثباتها لله تعالى وكثرة الجدل حولها ؛ لذا رأيت إفرادها بالبحث وهي تعني:

تلك الصفات التي كان طريق معرفتها والاستدلال عليها هو القرآن الكريم وخبر الرسول ﷺ من غير استناد إلى دليل عقلي، ومنها الاستواء، والنزول، واليد، والعين، والفرح، والرضا، والغضب، والمجيء إلى غير ذلك[٢].

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها تأليف/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، صـ٢١٦ في (ط) دار القلم دمشق بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(٢) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي ت د/ عوض الله حجازي صـ١٣٧ ط٣ سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ط دار الطباعة المحمدية بتصرف.

وهي تنقسم إلى قسمين:

أ- صفات فعلية تتجدد بحسب مشيئة الله تعالى وهي:

١- النزول. ٢- الاستواء على العرش.

٣- المجيء لفصل القضاء بين عباده سبحانه يوم القيامة كما يليق به.

٤- الغضب. ٥- الفرح.

٦- الضحك كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

ب- صفات ذاتية قائمة بذاته العلية وهي قديمة قدم الذات مثل الوجه، واليد والقدم[(١)].

وقبل التعرض لرأي القاسمي في هذه المسألة نذكر آراء الفرق فيها:

١- الكرامية:

هذه الفرقة تثبت جميع الصفات التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى وتجريها على ظاهرها، ولكن هذا الإثبات ينتهي بهم إلى التجسيم والتشبيه[(٢)] بصفات المخلوقين، وفي ذلك يقول الشهرستاني حينما تعرض لبيان مذهبهم في هذه الصفات ما نصه: نص أبو عبد الله على أن معبودهم على العرش استقرارًا، وعلى أنه بجهة فوق ذاتًا، وأطلق عليه اسم الجوهر... وأنه مماس للعرش من

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، تأليف الدكتور/ محمد أمان بن علي الجامي، طبعة دار الإيمان صـ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) ذكر البغدادي أن المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الله بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفات الله بصفات غيره «الفرق بين الفرق» للبغدادي صـ٢٢٥، والمشبهون لذات الله بغيره كالنصارى الذين شبهوا عيسى بالله، ومن شبه صفات الخالق بصفات المخلوق الكرامية، «التنبيهات الثنية على العقيدة الواسطية» تأليف/ عبد العزيز بن ناصر الرشيد، نشر دار الرشيد للنشر والتوزيع، طبع دار الأصفهاني بجدة صـ١٣.

الصفحة العليا، وجوز الانتقال، والتحول، والنزول، وقال محمد بن الهيصم[١]: إنه بينه وبين العرش بعدًا لا يتناهى، وأنه مباين للعالم بينونة أزلية... وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه[٢].

فهذه الفرقة لا يختلف رأيها في الصفات الخبرية عن الصفات الكمالية، فالنتيجة: هي التجسيم والتشبيه على الكلية.

لذلك كان الرد مثل الرد السابق عليهم، وهو أن قولهم هذا يؤدي إلى تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وهذا ما لا يقوله أحد ؛ إذ أنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢- مذهب متقدمي الأشاعرة[٣]:

ذهب متقدموا الأشاعرة: إلى إثبات جميع الصفات الخبرية لله تعالى، ووصفه بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله[٤] ﷺ وفي ذلك يقول أبو الحسن الأشعري في الإبانة: عندما ذكر قول أهل الحق مثبتًا هذه الصفات ما نصه: وأن الله استوى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وأن له وجهًا بلا كيف كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينًا بلا كيف كما قال: « [القمر: ١٤][٥]،

(١) محمد بن الهيصم: هو ابن أمين الدين إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم بن الهيصم متكلم الكرامية مات سنة ٨٧٣هـ، ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ٦/ ٢٥٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ٩٩، ١٠٠.

(٣) كأبي الحسن الأشعري وأبي بكر الباقلاني.

(٤) بتصرف من كتاب ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي صـ١٦٠.

(٥) وينظر في ذلك كتاب الإبانة من أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري طبع الطبعة المنيرة صـ٩.

وبمثل هذا القول: قال أبو بكر الباقلاني: بإثبات جميع الصفات الخبرية لله تعالى، ورد على من زعم بأن الاستواء هو الاستيلاء؛ يعني: أن هذا لا يجوز؛ لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قاهرًا عزيزًا مقتدرًا، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن؛ فبطل ما قالوه، ثم قال: (باب) فإن قال قائل: ففصِّلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله لأعرف ذلك؟ قيل له: صفاته ذات هي: التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها، وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضا، وصفات فعله هي: الخلق والرزق والعدل والإحسان والتفضل والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر.

وكل صفة كان موجودًا قبل فعله لها[١]، وهذا الذي قرره الإمامان الأشعري والباقلاني هو بعينه ما قرره الإمام أحمد بن حنبل[٢] مما جعل الأشعري يعترف له بالفضل في كتابه "الإبانة "[٣].

وهذا المذهب لا اعتراض عليه مطلقًا من جهة العقيدة، ولا من جهة العقل، وهو الأحق بأن يُسْتَمْسَك به، وهو الذي نصره الإمام ابن تيمية وابن القيم ومن تبعهما، وهي طريقة المحدِّثين وكثير من أهل السنة والجماعة، ورأوا أنه هو الحق الذي لا يصح العدول عنه، وهو مذهب السلف؛ حيث قالوا: هذا ما يدل عليه إثبات أن الله سميع بصير[٤]، بعد نفي مماثلة شيء له، في قوله تعالى:

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، ط دار الحديث صـ١٥٧، صـ١٥٨.

(٢) لبيان مذهب الإمام أحمد بن حنبل ينظر في ذلك الملل والنحل للشهرستاني جـ صـ٨٠.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة صـ٨.

(٤) العقيدة الإسلامية وأسسها صـ٢١٧، صـ٢١٨، وينظر الحموية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموع فتاويه، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ح(٥/ ١٠-

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- مذهب المعتزلة:

ذهبت المعتزلة: إلى نفي الصفات الخبرية، وتأويل ما ورد فها بمعان تليق بذات الله تعالى كما نفوا صفات المعاني، وحينما تعرض الشهرستاني لبيان مذهبهم: ذكر بأن المعتزلة فرق اتفقت على نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، ونفي كل ما يؤدي إلى التشبيه، من أي باب، سواء الجهة أو المكان أو الصورة أو الجسم أو التحيز أو الانتقال أو الزوال أو التغيير أو التأثر، وذهبوا إلى وجوب تأويل الآيات المتشابهة ؛ وادَّعوا: أن هذا هو التوحيد[(١)].

ومما يؤيد هذا نفي الزمخشري لرؤية الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣][(٢)]، فالمعتزلة بقولهم هذا زعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق فأبطلوا الصفات[(٣)].

وهذا الزعم لم يسلم للمعتزلة؛ إذ أنهم بالغوا في التنزيه فوقعوا في

=

٥٠) في ط -ابن تيمية وكتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية جـ١ صـ٣٠.

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ صـ٣٩ بتصرف، وينظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان صـ٢٦ والفرق بين الفرق للبغدادي صـ١١٤.

(٢) وينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر، جـ٢ صـ١١٥، صـ١١٦، ولزيادة البيان لمعرفة رأيهم في الصفات الخبرية ينظر المعتزلة د/ زهدى جار الله صـ٨٣-٨٦.

(٣) الاختلاف في الفظ، والرد على الجهمية والمشبهة للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ضمن مجموعة عقائد السلف، جمع د/ علي سامي النشار، وعمار الطالبي صـ٢٣٢، نشر منشأة المعارف الإسكندرية.

التعطيل، ولو أنهم أثبتوا الله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ لهداهم الله إلى الحق[١].

٤- مذهب متأخري الأشاعرة:

أمثال: الغزالي والرازي والإيجي، وهؤلاء لم يقروا بالصفات الخبرية، بل أولوا النصوص التي وردت فيها؛ فالرازي في كتابه «أساس التقديس» أوّل جميع الصفات الخبرية بحجج عقلية، والأمثلة على ذلك كثيرة، أُكتفي منها بما قاله في تأويله لصفة العين إذ يقول: اعلم أن النصوص من القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه:

الأول: أن ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩]، يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقرًا على تلك العين، ملتصقًا بها، مستعليًا عليها، وذلك لا يقوله عاقل.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود: ٣٧] يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين.

الثالث: أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح، فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل؛ وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة[٢] وبمثل تأويله لهذه الصفة، ذهب إلى تأويل جميع الصفات الخبرية وتبعه في ذلك صاحب المواقف[٣].

---

(١) في العقيدة تأليف د/ عبد الفتاح الفاوي صـ١٣٥، طبع ونشر دار أسامة القاهرة سنة ١٤٠٥، ١٩٨٥، المقالات العشر في منهج علم الكلام، تأليف د/ عبد الفتاح الفاوي صـ١١، نشر مكتبة الزهراء القاهرة سنة ١٩٩٣.

(٢) أساس التقديس للإمام/ محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا صـ١٥٨، نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٦هـ سنة ١٩٨٦م.

(٣) ينظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، تحقيق الشيخ/ محمد مصطفى أبو العلا صـ٥٢-٥٨ =

وهذا المذهب ينطوي على ضعف واضح، وليس أدلُّ على ذلك من تراجع معظم المتحدثين به عن أقوالهم فيه إلى ما أقره السلف الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين- ومن ذلك قول الرازي في كتابه «أقسام اللذات»: واعلم أن بعد التوغل في هذه المضايق، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيت الأصوب والأصلح في هذا الباب طريقة القرآن الكريم... من غير خوض في التفاصيل[(١)]، والغزالي -رحمه الله- في آخر عمره أشاد بمذهب السلف، وبين أنه الصواب؛ لأنه مأخوذ عن النبي ﷺ مباشرة، وأن غيره ابتداع وضلال[(٢)]، يقول ابن عساكر -رحمه الله- عن الغزالي: وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم[(٣)].

وكذلك الجويني[(٤)] في كتابه العقيدة النظامية إذ يقول: اختلف مسالك

=

طبع مطبعة الجندي سنة ١٩٧٢م، وشرح المواقف في علم الكلام «الموقف الخامس» صـ٣٧-٣٩.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية صـ١٥٩-١٦٠ ومقال الشيخ مصطفى عبد الرزاق في تصديره لكتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي مراجعة د/ النشار صـ٢٢-٢٥، نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٥٦، ١٩٣٨.

(٢) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي صـ٢٧ بتصرف.

(٣) الصفات الإلهية بين السلف والخلف، تأليف/ عبد الرحمن الوكيل صـ٩٧ نقلاً عن تبين كذب المفتري لابن عساكر صـ٢٩٦، نشر مؤسسة قرطبة مصر، توحيد الصفات بين اعتقاد السلف وتأويلات الخلف، تأليف د/ محمود عبده عبد الرزاق صـ٢٣٤-٢٤١، مطبعة التقدم ط١ سنة ١٩٩١م.

(٤) الجويني: هو شيخ الإسلام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ٤١٩هـ، تفقه على والده في صباه، واشتغل به مدة، ثم أخذ في تحقيق المذاهب والخلاف، وسلك طريقة المباحثة والمناظرة، وجمع الطرق بالمطالعة، حتى أربى على المتقدمين، صنف الشامل في أصول الدين، والإرشاد، والعقيدة النظامية،
=

العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة... وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل... والذي نرتضيه رأيًا وندين لله به عقدًا اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع..(١).، وبمثل ذلك قال في كتابه «غياث الأمم»(٢).

=

وغيرهم كثير، وكان على رفعة قدره له حظ وافر من التواضع، توفي سنة ٤٧٨هـ.
ينظر المنتظم (٩/ ١٩)، الشذرات (٣/ ٣٥٨)، طبقات السبكي (٥/ ١٦٥، ٢٢٢).

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تأليف/ إمام الحرمين الجويني، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا صـ٣٢، نشر الكليات الأزهرية طبعة سنة ١٩٧٨م، أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية المجلد الثاني جـ٤ صـ٢١٣-٢١٤، طبع دار الحديث القاهرة.

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم للجويني تحقيق د/ عبد العظيم الديب صـ١٩٠-١٩١، طبع نهضة مصر، ط الثانية ١٤٠١هـ.

رأي القاسمي في الصفات الخبرية

ذهب القاسمي إلى إثبات هذا النوع من الصفات كما أثبت الصفات عمومًا، ويرى أن صفات الله ﷻ التي يتصف بها المخلوق لا يراد منها تشبيه المولى بخلقه، وظاهر هذه الصفات إنما هو كمال يليق بالخالق تعالى، وهذا هو مذهب السلف، وفي ذلك يقول: «أعدل المذاهب مذهب السلف؛ فإنهم أثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوقات، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل، فمثلوا أولاً وعطلوا آخرًا، فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته تعالى بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات اللائقة به ﷻ بخلاف سلف الأمة وأجلاء الأئمة فإنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصف نبيه من غير تحريف ولا تشبيه»[١].

من أجل ذلك ردَّ القاسمي على الفرق التي ذهبت إلى غير ما ذهب إليه السلف وينجلي لنا ذلك واضحًا في رده على الجهمية التي نفت الصفات عن الله تعالى، وحجتها في ذلك أن إثباتها يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوقين فيرد عليهم بأنه لو كان ذلك هو المقصود لما ارتد أحد عن نفيها، لكن الواقع والظاهر هو غير ذلك[٢]، وعلى هذا المنهج سار القاسمي في تفسيره للآيات الواردة في الصفات الخبرية، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) محاسن التأويل جـ٤ صـ٥٢٢٧.

(٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي صـ١٩، ٢٠ بتصرف.

إن للاستواء عدة معانٍ منها: الاستقرار، والقصد، والإقبال، والعلو والاستيلاء، لكن المعنى الموافق لتفسير الاستواء في الآية هو العلو، وأن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو مذهب الخلف، ثم أخذ يستدل على ما ذهب إليه بأدلة كثيرة نقلها عن أئمة أعلام أمثال: البخاري(١)، والحافظ الذهبي(٢)، وابن قتيبة(٣)، وأبو زرعة الرازي(٤)، وابن عبد البر(٥)، وابن فورك(٦)، وغيرهم،

---

(١) البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أمير المؤمنين في الحديث، وصاحب الكتاب المشهور «صحيح البخاري» كان آية في الحفظ والفهم والإتقان، توفي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٥)، حياة البخاري للقاسمي.

(٢) الذهبي: هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الذهبي، ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ، وسمع بها ورحل كثيرًا، وبلغ الغاية في الرجال والجرح والتعديل، كأن الأمة جمعت له في صعيد واحد، وكان صاحب أسلوب بديع، وله كثير من المصنفات، توفي سنة ٧٤٨ في ذي القعدة، ينظر: الدر الكامنة (٣/ ٣٣٧)، النجوم الزاهرة (١٠/ ١٨٢)، الشذرات (٦/ ١٥٣).

(٣) ابن قتيبة: هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صاحب التصانيف، نزل بغداد وصنف وجمع، وبعد صيته، قال الخطيب: كان ثقة دينًا فاضلاً، ينظر: السير (١٣/ ٢٩٦)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، المنتظم (٥/ ١٠٢).

(٤) أبو زرعة الرازي: هو عبد الله بن عبد الكريم بن الزيد القرشي، كان من أفراد الدهر حفظًا وذكاءً، توفي سنة ٢٦٤، ينظر التهذيب (٧/ ٣٠)، سير (١٣/ ١٦٥)، الجرح والتعديل (١/ ٣٢٨).

(٥) ابن عبد البر: هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، حافظ المغرب، مولده سنة ٣٦٨هـ. صنف «التمهيد» فأبدع حتى قال فيه ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه، وله «الاستيعاب» وجامع العلوم، توفي سنة ٤٦٣، ينظر الصلة (٦١٦)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٢٨-١١٣٢).

(٦) ابن فورك: هو الإمام العلامة الصالح الأصولي الأديب النحوي الواعظ، شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني كان أشعريًا ورأسًا في فن الكلام.

ونظرًا لكثرة ما نقله نكتفي بما نقله عن هؤلاء الأئمة عن البخاري وأبي زرعة الرازي، ونحيل على الباقي.

فمن ذلك قوله عن البخاري: قال البخاري في آخر صحيحه في كتاب الرد على الجهمية في باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

قال مجاهد: استوى: علا على العرش[١]... ثم قال: روى أبو إسماعيل الأنصاري[٢]، عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن تفسير: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ =

صاحب التصانيف الكثيرة، توفي قبل الحاكم بسنة، ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٤)، شذرات الذهب (٣/ ١٨١)، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٤٠).

(١) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٧٠٤-٢٧٥١ وتحقيق ما نقله عن الأئمة، ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء جـ١٣ صـ٤١٤، مختصر العلو للذهبي، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني صـ١٦٧-١٦٨ طبع المكتب الإسلامي بيروت ط١، سنة ١٤٠١، ١٩٨١، تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق/ محمد الزهري النجار صـ٢٧١، ٢٧٢، طبع دار الجيل، بيروت سنة ١٤٠١، ١٩٨١، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، تحقيق/ عبد الله بن الصديق جـ٧ صـ١٢٨-١٢٩، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، مشكل الحديث وبيانه للإمام أبي بكر بن فورك، تحقيق/ موسى محمد علي صـ٢٨٠-٢٨١، مطبعة دار الكتب الحديثة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

(٢) أبو إسماعيل الأنصاري: الإمام القدوة الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، شيخ خراسان، من ذرية صاحب النبي أبي أيوب الأنصاري، ولد سنة ٣٩٦هـ.

قال الذهبي: كان يدري الكلام على مذهب الأشعري، وكان شيخ الإسلام أثريًا، وكان عالمًا بحار في جميع العلوم، يقول: إذا ذكرت التفسير فإنما أذكره من مائة وسبعين تفسيرًا، له: ذم الكلام، ومنازل السائرين، والفارق في الصفات، والأربعين في التوحيد وغيرهم... وقد امتحن وأوذي ونفي من بلده، ينظر: سير (١٨/ ٥٠٣)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٨٣، ١١٩١)، طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٧/ ٢٤٨).

ٱسْتَوَىٰ﴾ فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير ذلك فعليه لعنة الله، وأسند عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه، بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا[١].

ثم قال القاسمي بعد أن ساق جميع أقوال العلماء السابقين مبينًا كثرة نقوله عن هؤلاء جميعهم: وإنما أشبعنا الكلام في هذا المقام؛ لأنه من أصول العقائد الدينية، ومهمات المسائل التوحيدية، وقد كثر فيه تعارك الآراء، وتصادم الأهواء، ولم يأت جمهور المتكلمين المؤولين بشيء يعلق بقلب الأذكياء، بل اجتهدوا في إيرادات التمحلات التي تأباها فطرة الله أشد الإباء، فبقت نفوس أنصار السنة المحققين مائلة إلى مذهب السلف الصالحين، فإن الأئمة منهم، كان عَقْدهم ما بيناه فلا تكن من الممترين والحمد لله رب العالمين[٢].

المثال الثاني: صفة المجيء والإتيان:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، في تفسير هذه الآية نجد القاسمي -رحمه الله- بعد أن انتهى من تفسيرها يذكر تنبيهات منها: وصفه تعالى بالإتيان في ظلل من الغمام كوصفه بالمجيء في آيات أخر ونحوهما، مما وصف به نفسه في كتابه أو صح عن رسوله ﷺ، والقول في جميع ذلك من جنس واحد، وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها: إنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٧٠٩.

(٢) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٧٥٠.

والقول في صفاته، كالقول في ذاته، ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلو سأل سائل: كيف يجيء أو كيف يأتي؟ فليقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: لا أعلم كيفية ذاته! فليقل له: وكذلك لا تعلم كيفية صفاته... فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف..[١]، ثم ذكر القاسمي كلامًا لأئمة السلف يبين فيه صحة ما ذهب إليه ولا داعي لذكره؛ لأنه لا يخرج عما ذكره[٢].

المثال الثالث: صفة المحبة:

في هذه الصفة نجد القاسمي -رحمه الله- يثبتها كعادته في إثبات جميع الصفات، ولكنه لا يكتفي بإثباتها، بل يردُّ على الزمخشري كلامه في تأويلها، فعند القاسمي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. يقول: مذهب السلف في المحبة المسندة له تعالى أنها ثابتة له تعالى بلا كيف، ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها... فتأويل مثل الزمخشري لها بإثابته تعالى لهم أحسن الثواب، وتعظيمهم والثناء عليهم، والرضا عنهم تفسير باللازم، منزع كلامي لا سلفي[٣]، ثم رد عليه في ادعائه بتأويل محبة العباد لله، وهكذا نجد القاسمي -رحمه الله- في تفسير جميع آيات الصفات يذكر رجحان مذهب السلف وتفنيد ما عداه معتمدًا على ذلك بأقوال الأئمة من القرآن والسنة[٤].

---

(١) محاسن التأويل جـ٣ صـ٥١٨.

(٢) المرجع السابق جـ٣ من صـ٥١٨، ٥٢٠.

(٣) ينظر في ذلك محاسن التأويل للقاسمي جـ٦ صـ٢٠٣٧، ٢٠٣٨.

(٤) ينظر في ذلك تفسير قوله تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا» محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٧٢١، وتفسيره لقوله تعالى: «وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا» محاسن التأويل جـ١٧

ولكن قد يقع الإنسان فيما لا يرجوه، فعند تفسير القاسمي لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، نجده يقول: أي بنفسي من غير توسط كأب وأم[١]، وهو بتفسيره هذا لم يجر النص على ظاهره كعادته في جميع آيات الصفات.

وقد تلقف هذا التفسير الشيخ الكوثري ليثبت به دعواه بأن من سلف المتأخرين -القاسمي- مُؤَوِّل، ليؤيد مشروعية التأويل[٢].

وأرى أن القاسمي في هذه الآية لم يقصد تأويلاً لليد، وإنما شغل بشيء آخر مهم، وهو نفي أن يكون آدم مخلوق بواسطة أب أو أم، فصرف همه إلى نفي ذلك، ومما يدل على عدم تأويله لصفة اليد في مواضع أخرى من تفسيره، ورده على من أولها، نكتفي من ذلك بما قاله عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ [المائدة: ٦٤]، يقول: ما زعمه الزمخشري ومن تابعه أن إثبات اليد لا يصح حقيقة له تعالى، فإنها نزعة كلامية اعتزالية، واستدل على ذلك بما قاله ابن عبد البر في (شرح الموطأ): أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدُّون فيه صورة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية كالمعتزلة كلها والخوارج فكلهم يذكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعم أن من أقر بها شبة، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق

=

صـ٦١٥٤، ٦١٥٥، وتفسيره لقوله تعالى: «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم» محاسن التأويل جـ١٥ صـ٥٤٠١.

(١) محاسن التأويل جـ١٤ صـ٥١٢٢.

(٢) ينظر ذلك في دفع شبه التشبيه بأكف التنـزيه، تأليف/ عبد الرحمن الجوزي، تحقيق/ محمد زاهر الكوثري، مراجعة د/ أحمد حجازي السقا، طبع الكليات الأزهرية القاهرة سنة ١٤١٢، ١٩٩١، هامش صـ١٤.

به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة[(١)]، ولم يكتف القاسمي بهذا القول، بل ذكر أيضًا قول الإمام أبي يعلى، والإمام أبي الحسن الأشعري، وابن تيمية، وأبي بكر الباقلاني[(٢)] في إثبات جميع هذه الصفات[(٣)].

تعقيب:

ظهر لي بعد عرض هذه المسألة الآتي:

أ- إن الكلام في الصفات كما يراه القاسمي فرع عن الكلام في الذات يحتذى فيها حذو الذات، فكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك الصفات، فكما أن الذات منزهة عن التشبيه والتمثيل والتكييف فكذلك الصفات.

ب- إن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بصفات يتصف بها البشر من قدرة، وإرادة، وسمع، وعلم، وبصر، وكلام، ويد، وعين، ووصف نفسه أنه الأول والآخر، وقد وصف بعض المخلوقين بذلك[(٤)]، ووصف نفسه أنه واحد، ووصف بعض المخلوقين بذلك[(٥)] إلى غير ذلك من الصفات من علو، وعظم، وملك، وجبار، ومتكبر، وعزيز، وقوي، وغفور، ورحيم، وحليم، وقد

---

(١) لمعرفة أقوال هؤلاء العلماء ينظر محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٠٥٨-٢٠٦١.

(٢) أبو بكر الباقلاني: هو الإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، صاحب التصانيف، كان يضرب به المثل بفهمه وذكائه، وكان ثقة إمامًا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية وانتصر لطريقة الأشعري، قال القاضي عياض: الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق أبي الحسن، مات في ذي القعدة سنة ١٤٠٣هـ، وكانت جنازته مشهودة، ينظر: سير (١٧/ ١٩٠)، تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩).

(٣) لمعرفة أقوال هؤلاء العلماء ينظر محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٠٥٨-٢٠٦١.

(٤) كما في قوله تعالى: «ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين» [المرسلات: ١٦، ١٧].

(٥) كما في قوله تعالى: «يسقى بماء واحد» [الرعد: ٤].

وصف المولى ﷻ بها بعضًا من مخلوقاته، وكل ذلك أثبته الكتاب الكريم وهو حق، فلله جميع الصفات اللائقة بجلاله وكماله، كما أن للمخلوق أيضًا هذه الصفات مناسبة لحالة من فقره وفنائه وعجزه وجهله(١).

جـ- يستحيل في حقه تعالى أن يصف نفسه بما يلزمه نقص، فإنه سبحانه وتعالى لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ في الشرف والعلو والكمال مع قطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات خلقه(٢) على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

د- ما سبق هو مذهب السلف والقاسمي في هذه المسألة رجح مذهب السلف وأتى بالأدلة والبراهين على أن مذهبهم هو أعدل المذاهب، وهو في ذلك غير مشبه ولا فجسم وليس أدل على هذا ما ذكره فى تفسيره للآيات الدالة على الصفات وهو فى ذلك متبع لمتقدمي الأشاعرة.

هـ- قد يقول قائل: إن السلف أولوا تأويلاً إجماليًا، وبهذا يكونوا قد اتفقوا مع الخلف في أصل التأويل فيرد عليه بأن: التأويل فى اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث مرادهم به معنى التفسير والبيان... وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره(٣) وشتان بين معنى التأويل عند كل منهما.

وبهذا ظهر لي أن مذهب السلف هو أعدل المذاهب كما قال القاسمي، إذ أنه هو الحق الذي عليه أهل السنة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات صـ٧، ٨، ٩ بتصرف.

(٢) والمرجع السابق صـ٣١.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم الجوزية جـ١ صـ٢٣، ويراجع هذا البحث كاملاً في تحفة الإخوان في صفات الرحمن، إعداد الدكتور/ أبو الهمام محمد بن محمد بن عبد العليم صـ٣٠- ٧٤، نشر مكتبة الصحوة الإسلامية.

ومن تبعهم بإحسان من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ مع تنـزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين(١).

---

(١) لبيان مذهب السلف ينظر:

- كتاب الصفات، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق الدكتور/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي صـ٦٣، طبع ونشر دار إحياء السنة النبوية.

- وينظر في ذلك كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، تأليف/ محمد بن إسحاق بن خزيمة، مراجعة الدكتور/ محمد خليل هراس صـ١٠، ١١، طبعة دار الجيل، بيروت، لبنان، ومكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- وكتاب التحف في مذاهب السلف للشوكاني صـ٤٧، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق د/ ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع صـ١٦١، ١٦٢، طبع دار العاصمة للنشر والتوزيع بالسعودية ط١ سنة ١٤١٥هـ.

- وكتاب «منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين» تأليف الدكتور/ مصطفى حلمي صـ١٨٩-١٩٩، طبع ونشر دار الدعوة، ط الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

- وعلم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة لابن حزم الأندلسي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا صـ٧٣، ٧٤، نشر المكتب الثقافي ط١٩٨٩م.

- والتوحيد الخالص د/ عبد الحليم محمود صـ١٣٩-١٤٣، مطبعة حسان نشر دار الكتب الحديثة.

المبحث الخامس

صفة الكلام

ويشتمل على:

١- تمهيد.

٢- آراء أشهر الفرق الكلامية في صفة الكلام.

٣- رأي القاسمي في صفة الكلام.

تمهيد

صفة الكلام من أشهر الصفات التي دار حولها الجدل والنزاع في علم الكلام، بل إنها من أسباب تسمية هذا العلم بعلم الكلام(١)، ونظرًا لاتساع هوة الجدل بسببها فقد عاش الناس في زمن بعض خلفاء الدولة العباسية -المأمون(٢) ثم المعتصم(٣) والواثق(٤)- فتنة كبرى عذب فيها بعض أهل الحق كالإمام أحمد ابن حنبل(٥)، ....

(١) شرح العقائد النسفية صـ١٠.

(٢) المأمون: الخليفة أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، ولد سنة سبعين ومائة، قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وكان عالمًا فصيحًا مفوهًا، بويع للخلافة بعد مقتل أخيه الأمين، توفي في ١٢ من رجب سنة ٢١٨ وله ٤٨ سنة، ينظر: سير (١٠/ ٢٧٢-٢٨٩)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٨).

(٣) المعتصم: الخليفة أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن منصور العباس، ولد سنة ١٨٠هـ، بويع بعهد من المأمون في ١٨ رجب سنة ٢١٨هـ، امتحن الناس في خلق القرآن، قال إسحاق المصعبي: والله ما رأيت مثل المعتصم رجلاً، لقد رأيته يملي كتابًا ويقرأ كتابًا ويعقد بيده، وإنه لينشد شعرًا يتمثل به، توفي يوم الخميس ١١ ربيع الأول سنة ٢٢٧، ينظر: سير (١٠/ ٢٩٠-٣٠٦)، شذرات الذهب (٢/ ٦٣، ٦٤)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢).

(٤) الواثق: هو الخليفة أبو جعفر وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله بن أبي إسحاق محمد ابن هارون الرشيد أمه رومية اسمها قراطيس، أدركت خلافته، ولد سنة ١٩٦هـ، ولي الأمر بعد أبيه سنة ٢٢٧، وكان يقول بخلق القرآن ثم تاب منه، قال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى الطالبين ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير، توفي بسامر لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢، وكانت خلافته خمس سنين ونصف.

ينظر: سير (١٠/ ٣٠٦)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢١٥).

(٥) سبق ترجمته صـ١١٥.

ومات البعض كمحمد بن نوح[١]، بل إنها كانت سببًا في تكفير بعض علماء الكلام لبعضهم، ومحورًا لتبادل السباب بينهم، وكان ذلك لتعصب كل ذي رأي لرأيه، الذي راح يعضدّه بالأدلة التي استمال بها بعض الناس لصفّه، لهذا رأيت أن أفردها بالبحث موضحًا لرأي القاسمي فيها، وهل هو صاحب وجهة نظر خاصة فيها، أم أنه موافق لأحد المذاهب، ومن الجدير بالذكر أن القاسمي لما تعرض لتأويل قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، أظهر اعتناء بهذه الصفة حتى قال: إنها من أعظم مسائل الدين، وقد تحيرت فيها آراء أهل الأهواء من المتقدمين والمتأخرين، واضطربت فيها الأقوال، وكثرت بسببها الأهوال وأثارت فتنًا، وجلبت محنًا، وكم سجنت إمامًا وبكّت أقوامًا، وتشعبت فيها المذاهب، واختلف فيها المشارب[٢].

ويرى بعض المحققين بأن السبب المباشر لظهور القول بخلق القرآن هو: أن النصارى يقول فريق منهم: إن الله ظهر في الجسد -وهم الأرثوذكس-، ويقول فريق منهم: إن الله غيرُ المسيح وهما غير الروح القدس -وهم الكاثوليك والبروستانت-، ويلقبون المسيح بلقب «كلمة الله» القديمة أو صفة علم الله القديم، ثم إنهم لما سمعوا أن القرآن يكفرهم جميعًا وسمعوا أيضًا: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، قالوا للمسلمين: إن لم تسلّموا بتفسيرنا للكلمة يلزمكم التناقض في القرآن، فإنه عبر بالكلمة كما نعتقد، فـ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾

---

(١) محمد بن نوح: الإمام الحافظ الثبت أبو الحسن الجنديسابوري الفارسي نزيل بغداد،وثقه الدارقطني، وقال: ما رأيت كتبًا أصح من كتبه، ينظر: تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٢/ أ- ٣٣/ أ) السير (١٥/ ٣٤، ٣٥)، تذكرة الحفاظ: (٣/ ٨٢٦).

(٢) محاسن التأويل جـ٥ صـ١٧٢٣، ١٧٢٤.

هي السبب لظهور مشكلة خلق القرآن[١].

- لذا أردت أن أبين آراء الفرق الكلامية في هذه المسألة موضحًا ما استند إليه كل مذهب ثم عقبته برأي القاسمي.

١- المعتزلة:

اتفقت المعتزلة بجميع فرقها على أن الكلام صفة لله تعالى خلقها الله في غيره لعدم قيام الحوادث به وبعضهم لم يثبت الكلام لله تعالى أصلاً كالإسكافي، وعباد بن سليمان وأنكرت هذه الفرقة كون الله تعالى متكلمًا في الأزل، وقالت بعض فرقها: بأن كلام الله جسم، وهو صوت مؤلف من ألفاظ وحرف، وبعضهم أبى ذلك، وقال: بأنه عرض[٢]، وقد قالوا: أن القرآن كلام الله تعالى مخلوق، وهو حادث؛ لأننا لو قلنا أن القرآن قديم، وهو يحتوي على أوامر، لم يكن لهذه الأوامر من قيمة ولا تستحق أن توصف بالقدم، ما دام أنه لم يكن هناك مأمور يأتمر بها، وأنه لو كان قديمًا لاستوت نسبته إلى جميع المتعلقات بمعنى

(١) مقدمة كتاب «خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة» للرازي، تحقيق/ أحمد حجازي السقا صـ١٧، نشر المكتب الثقافي ط١ سنة ١٩٨٩م، تاريخ الملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط١، الطبعة الحسينية بالقاهرة جـ١٠ صـ٢٨٨.

(٢) لبيان مذهب المعتزلة ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر، د/ عبد الرحمن عميرة جـ٣ صـ١١، نشر دار الجيل بيروت لبنان، وشرح العقيدة الطحاوية لعلي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ سنة ١٩٨٧، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر جـ١ صـ١٧٢، والفرق بين الفرق صـ١١٤، والأنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق، محمد زاهر الكوثري صـ٧٠، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣هـ، سنة ١٩٩٣، نشر مكتبة الخانجي والبرهان صـ٢٦، صـ٢٧، ومقالات الإسلاميين للأشعري جـ١ صـ٢٦٣، صـ٢٦٧.

أن يكون؟؟ كلامًا واحدًا إلى كل الرسل مثلاً، فتكون التوراة هي الإنجيل هو القرآن، وهذا باطل(١)، وقد استدلوا على زعمهم بخلق القرآن بأدلة من القرآن، منها قوله تعالى:

أ- ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢]، فقالوا: بأن قوله: «محدث»؛ أي: مخلوق.

ب- ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، فقالوا: بأن القرآن شيء وهو داخل في هذا العموم، إذن فهو مخلوق.

جـ- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]، فقالوا: بأن «جعل» بمعنى «خلق» بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

د- ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ [النحل: ١٠١]، قالوا: بأن ما يغير وما يبدل فهو مخلوق.

هـ- ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦]، قالوا: ما جاز عليه الذهاب والعدم فهو مخلوق، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي استندوا إليها، وكلها تدور على تأويل الآيات وفق مذهبهم.

وقولهم هذا مردود من أصله، إذ أن العلماء قد تصدوا لهذه الأدلة وفندوها دليلاً دليلاً، ونكتفي بالرد على دليل واحد وهو الدليل الثالث لهم حيث قالوا: بأن جعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] بمعنى: خلق، ويمكن الرد عليهم بثلاثة وجوه(٢):

---

(١) ينظر شرح المواقف، الموقف الخامس صـ١٥٣، ومقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة د/ محمود قاسم صـ٦٥.

(٢) لزيادة بيان الأدلة ينظر: الأنصاف صـ٧٠-٨٠، وشرح المواقف، الموقف الخامس صـ١٥٤-١٥٦.

الأول: أن المراد من الآية: «إنا سميناه» فالجعل بمعنى التسمية لورود ذلك في القرآن كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩١]؛ أي: سموه، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩]، فلا يتصور في هذه الآيات أن تكون جعل بمعنى خلق، بل تدور حول الحكم والتسمية.

الثاني: المراد بالجعل في الآية: إنا جعلنا التلاوة له والقراءة باللسان العربي وأفهمنا أحكامه والفائدة من ذلك هي التفريق بينه وبين غيره الكتب السماوية، فلم يكن بالعبرية مثلاً كالإنجيل.

الثالث: بالاحتكام إلى قواعد اللغة العربية واستعمالاتها نجد أن «جعل» إذا عُدِّي إلى مفعول واحد كان بمعنى الخلق، وإذا عُدِّي إلى مفعولين كان بمعنى الحكم والتسمية، وفي هذه الآية التي معنا نجد أن جعل تعدت إلى مفعولين[1]، وفي ذلك يقول القاسمي في معرض الرد عليهم عند حديثه عن هذا الدليل ما نصه «التفريع بالكلية إنما يصح في مادة: جعل، بمعنى: خلق كآية: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [النحل: ٧٨]، ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، لا في جعل بمعنى: صير، ففرق بين المعنيين الخلق والتصيير، فكما ورد في التنـزيل: جعل، بمعنى: خلق، فقد ورد: جعل، بمعنى صيَّر، ومنه آية: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]؛ أي: صيره قرآنًا عربيًّا، وأنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيره أعجميًّا فينـزله بلغة العجم، ومنه آيات: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، ﴿ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، و﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، و﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وأمثالها مما الجعل فيه بمعنى التصيير

---

(١) يراجع في ذلك الإنصاف للباقلاني صـ٧٦.

ألبتة»[١].

٢- الكرامية:

هذه الفرقة كعادتها لا ترى مانعًا من حلول الحوادث بذاته تعالى، وهم لما رأوا المخالفة التي ارتكبها المعتزلة في حق العرف واللغة في استدلالهم على خلق القرآن، أرادوا أن يتجنبوا هذه المخالفة فقالوا: بأن كلامه تعالى صفة له، مؤلفة من أصوات وحروف حادثة قائمة بذاته تعالى[٢]، وأن ذاته تعالى بها كثير من الحوادث منها الكتب السماوية[٣]، ومنهم من يقول: بأن كلامه تعالى حادث النوع؛ أي: أنه تعالى أصبح متكلمًا بعد أن لم يكن[٤]، وورد عنهم أنه تعالى لم يزل متكلمًا؛ أي: قادرًا على الكلام وقائلاً؛ أي: قادرًا على القول، والكلام قديم، والقول حادث[٥]، والقرآن عندهم قوله الله وليس بكلام الله[٦].

ومذهب هذه الفرقة مردود من أصله، فهم لما أرادوا تجنب المخالفة التي وقع فيها المعتزلة أوقعوا أنفسهم في شر مستطير، وراحوا يدعون أن كلامه تعالى

---

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة هامش صـ٦٦، وينظر أيضًا لزيادة التوضيح كتاب «الحيدة وانتصار المنهج السلفي» لعبد العزيز بن يحيى الكناني، نشر مكتبة التوعية الإسلامية صـ٤٩، و«التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» لمحمد بن أحمد الملطي الشافعي، تحقيق/ محمد زاهر الكوثري صـ١٢٩، ١٣٠، نشر المكتبة الأزهرية سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤٢٤٥.

(٣) السابق جـ١ صـ١٠١.

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية جـ١ صـ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥) الفرق بين الفرق صـ٢١٩.

(٦) العقيدة الإسلامية والأخلاق، تأليف د/ محي الدين الصافي، د/ علي معبد الفرغلي، د/ صلاح عبد العليم، د/ محمد عبد الفضيل صـ٩٢، نشر جامعة الأزهر سنة ١٤١٣، ١٩٩٢.

مؤلف من أصوات وحروف حادثة قائمة بذاته تعالى، وكيف للحوادث أن تحل بذات الله تعالى وأن تقوم بها؟ والكلام صفة من الصفات التي تدل على الكمال والجلال، ولو سلمنا بأنها حادثة كما تدعون للزم أن تكون ذاته تعالى قبلها على حالة من النقص لخلوها عنها، وهذا محال، فثبت قدم هذه الصفة، وأن ذات الله تعالى ليست محلاً للحوادث(١).

٣- الأشاعرة:

ذهب الأشاعرة إلى أن كلام الله تعالى قديم، غير مخلوق، وهو صفة قائمة بذاته تعالى، واستدل على ذلك بأدلة كثيرة منها:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم: ٢٥]، وأمر الله هو كلامه.

ب- قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والخلق هو كل ما خلقه الله، ولو كان الأمر مخلوقًا لما عطفه على الخلق، إذ العطف يقتضي المغايرة.

جـ- ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]؛ أي: من قبل أن يخلق ومن بعد ذلك، وهذا يدل على أن الأمر غير مخلوق، ثم استدل على أن الكلام قائم بذاته تعالى بأدلة أيضًا منها قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، فتأكيد الكلام بالمصدر يقتضي أن يكون الكلام صادر عن المتكلم والمتكلم المراد في الآية هو الله تعالى ولا يمكن أن نقول بأنه حل في غيره(٢).

ثم وصف الأشعري من زعم بأن القرآن مخلوق بأنه من رعاع الناس

---

(١) ينظر في ذلك: الرد على قولهم بجواز حلول الحوادث في الذات كتاب «الأربعين في أصول الدين» للإمام فخر الدين الرازي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا جـ١ صـ١٧١ سنة ١٩٨٦.

(٢) الإبانة صـ١٩، ٢٠، ٢١.

وجها لهم، ولا موقع لقوله وفي ذلك يقول بعد سوقه الكثير من الأدلة: وقد احتججنا لصحة قولنا أن القرآن غير مخلوق من كتاب الله ﷻ وما تضمنه من البرهان، وأوضحه من البيان ولم نجد أحدًا ممن تحمل عنه الآثار وتنقل عنه الأخبار ويأتم به المأمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن[١].

أما المتأخرون من الأشاعرة: فقد فرقوا بين نوعين من الكلام:

أحدهما: الكلام الحقيقي، وهو المعنى القائم بالنفس، القديم قدم الذات، وهو واحد لا يتغير، ولا ينحصر في ألفاظ، وله أقسام اعتبارية بحسب تعلقه، كالاستفهام، والأمر، والنهي، والخبر، والنداء، وهذا الكلام النفسي يختلف عن الإرادة والعلم.

الثاني: الكلام اللفظي، وهو الأصوات والحروف، وهم يتفقون مع المعتزلة في أن هذا النوع حادث وقائم بغير ذاته تعالى ويرون بأن هذا الكلام متغير؛ لأن عباراته تختلف باعتبار الأزمنه والأمكنة والأقوام[٢].

وقد كان دليلهم في إثبات الكلام لله تعالى قائمًا على نفي الكذب عنه، وثبت عندهم ذلك بثلاثة وجوه:

الأول: أن الكذب نقص، والنقص في حقه محال.

---

(١) المرجع السابق صـ٢٩، ويراجع ذلك أيضًا الفهرست لابن النديم ط سنة ١٨٧١، تحقيق/ فلوجل لسك صـ١٨١، إذ ذكر بأن أبي الحسن الأشعري أعلن في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة مناديًا بأعلى صوته: «من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان ابن فلان... كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع» نقلاً عن كتاب منهج علماء الحديث والسنة من أصول الدين، تأليف د/ مصطفى حلمي صـ١٦٧، دار الدعوة للطباعة والنشر ط٢ سنة ١٤١٣، ١٩٩٢.

(٢) شرح المواقف، الموقف الخامس صـ١٤٩، ١٥٠، ١٥٩.

الثاني: لو كان تعالى كاذبًا، لكان هذا الكذب قديمًا ولاستحال عليه الصدق، لكن ثبت قدم الصدق فاستحال عدمه، ويكون اللازم باطل وهو امتناع الصدق عليه.

الثالث: إخبار النبي ﷺ بثبوت الكلام لله تعالى وهو صادق في كلامه كله وذلك معلوم من الدين بالضرورة، بل التواتر عن الأنبياء جميعًا كونه تعالى صادقًا ومتكلمًا[١].

ظهر لي من خلال عرض مذهب الأشاعرة:

١- أن الأشعري ساق حديثه سوقًا واحدًا ولم يفرق بين الكلام النفسي واللفظي، وهو بعينه مذهب الإمام أحمد بن حنبل[٢][٣].

٢- أن التفريق بين الكلام النفسي واللفظي لدى المتأخرين من الأشاعرة يعود إلى سببين:

أ- محاولة التوفيق بين رأيهم ورأي المعتزلة[٤].

ب- فهمهم الخاطئ لكلام الأشعري عند تحقيقه لكلام الله تعالى بأنه هو الكلام النفسي، فقد فهمه الأشاعرة بأن الشيخ يؤيد مدلول اللفظ وحده، وهو

---

(١) شرح المواقف، الموقف الخامس صـ١٦١، ١٦٢.

(٢) ينظر في ذلك: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل، ضمن مجموعة عقائد السلف صـ٧٥-٧٧.

(٣) هو أحمد بن حنبل الشيباني، ولد في بغداد سنة ١٦٤ وبها نشأ، كان من تلامذة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وطلب الحديث وحفظ السنة وأخذ الفقه عن الشافعي ومن تلاميذه البخاري ومسلم، تعرض لمحنة خلق القرآن وصبر عليها منذ عهد المأمون حتى المتوكل، توفي في بغداد سنة ٢٤١ ومشى في جنازته خلق لا يحصون، ينظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف د/ مصطفى السباعي صـ٤٤٢، نشر المكتب الإسلامي ط٤ سنة ١٤٠٥هـ سنة ١٩٨٥م.

(٤) منهج الأشاعرة في العقيدة تأليف د/ سفر الحوالي صـ٢٣، نشر مكتبة العلم.

القديم، أما العبارات فهي حادثة؛ لأنها تسمى كلامًا من ناحية المجاز، وصرحوا بأن هذا هو مذهب الأشعري، لكنه ليس كلامه حقيقة، ونظرًا لما يترتب على هذا الفهم من لوازم فاسدة[١]، وجب حمل كلام الأشعري على أنه أراد به الكلام النفسي واللفظي معًا، وكلاهما قائم بذات الله تعالى، وفي ذلك يقول الجرجاني بعد أن بين الفهم الفاسد لدى المتأخرين ما نصه: فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني، فيكون الكلام النفسي عنده أمرًا شاملاً للفظ والمعنى جميعًا قائمًا بذات الله، وهو مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن، محفوظ في الصدور، وهو غير الكتابة، والقراءة، والحفظ الحادثة... وهو الذي ذكرناه، وإن كان مخالفًا لما عليه متأخروا أصحابنا إلا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته[٢].

٤- مذهب الإمام أحمد بن حنبل:

يعتبر الإمام أحمد بن حنبل أول من أوذي في مسألة خلق القرآن، وهو في جملة كلامه لا يخرج عما عليه سلف الأمة، بل إن رأيه يمثل مذهب السلف في هذه المسألة[٣]، وهو أن القرآن هو الوحي المنزل على سيدنا محمد ﷺ وهو قديم غير مخلوق والكلام صفة قديمة قائمة بذاته تعالى وكلامه تعالى يليق بذاته، من غير جوف ولا فم ولا لسان، وهو يرى كفر من قال: بأن القرآن مخلوق[٤].

---

(١) كعدم إكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف، وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي وكعدم كونه المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة، ينظر في ذلك: شرح المواقف، الموقف الخامس صـ١٦٣-١٦٤.

(٢) المرجع السابق صـ١٦٤.

(٣) ينظر الملل والنحل جـ١ صـ٦٧.

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية، ضمن مجموعة عقائد السلف صـ٩٩-١٠٤، وترجمة الإمام أحمد، ضمن مجموعة طلائع المسند للإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر صـ٥٩، ٦٠، نشر مكتبة التراث الإسلامي.

والإمام أحمد بن حنبل[١] أمسك بدفة الدفاع عن هذا المذهب، فقد كان له ردود كثيرة على من قالوا بخلق القرآن مثل: جهم بن صفوان[٢]، وكان يعتمد في الرد عليهم على القواعد الصحيحة للغة العربية والفهم السليم للآيات، ونكتفي للتدليل على مذهبه برده على الجهم حينما استدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]، على أن «جعل» بمعنى: خلق.

فرد بأن الجعل في القرآن يَرِدُ بمعنى التسمية، والفعل، والخلق، وغير الخلق، وساق لذلك أمثلة من الكتاب على كل نوع، وهي في الآية بمعنى التسمية[٣].

وقد آثرت الاستدلال بهذه الآية مع سبق الرد عليها عند الكلام على مذهب المعتزلة، وذلك للرد على من ذهب إلى أن الإمام أحمد لم يستطع الرد على من استدل بهذه الآية على خلق القرآن[٤]، ورمى عقلية أمثاله بأنها عقلية عوام، وأجدر بهم أن يقعدوا عن الكلام في مثل هذه المسألة، ويقولوا بأن الكلام فيها من الابتداع كما يقول السلف[٥].

والحق أن هؤلاء جانبوا الصواب في دعواهم بدليل أن الإمام أحمد فند هذا الدليل وغيره من الأدلة الكثيرة ورد عليها ردًّا مقنعًا كان الصواب حليفه فيها، مما ينفي أن تكون عقلية مثل هذا الإمام عقلية عوام، ودعواهم بأنه لم يقل بها قال به السلف، فهو مردود بقول الشهرستاني[٦]: أجمعت السلف على أن

---

(١) سبق ترجمته صـ١٥٣.

(٢) سبق ترجمته صـ١١٦.

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية صـ٦٩-٧٣.

(٤) مثل الدكتور: محمود قاسم، وأحمد أمين.

(٥) مقدمة مناهج الأدلة صـ٦٧.

(٦) الشهرستاني: الأفضل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح شيخ أهل

القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال هو مخلوق فهو كافر، ولا نعرف من القرآن إلا ما هو بين أظهرنا فنسمعه ونقرؤه ونكتبه... فنحن نعتقد أن ما بين الدفتين كلام الله أنزله على لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب في المصاحف، وهو في اللوح المحفوظ وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من الباري تعالى بغير حجاب ولا واسطة، وذلك معنى قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، وهو قوله تعالى لموسى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠][١].

ولقد وجدت نصًّا من الإمام أحمد ذكره ابن قيم الجوزية[٢] عن إبراهيم الحربي[٣] يقول: كنت جالسًا عند أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال: يا أبا عبد

=

الكلام والحكمة، كان كثير المحفوظ قوي الفهم مليح الوعظ، عالمًا كيسًا متفننًا، برع في الفقه والأصول، وله كتب كثيرة منها: نهاية الإقدام، والملل والنحل، مات سنة ٥٤٩هـ، ينظر السير جـ ٢٠ / صـ٢٨٦، طبقات السبكي جـ٦ صـ١٢٨، وفيات الأعيان جـ٤ صـ٢٧٣.

(١) الملل والنحل صـ٩٧.

(٢) ابن قيم الجوزية: هو الإمام الحافظ الفقيه الأصولي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المشهور بابن القيم، نسبة إلى المدرسة التي أنشأها أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن الجوزي، نشأ في بيت علم وفضل، ولازم ابن تيمية حتى عرف بأنه من أشهر تلاميذه والذاب عن مذهبه، ألف وحرر في جميع العلوم والفنون.

توفي ليلة الخميس ٢٣رجب سنة ٧٥١هـ، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ينظر: ذيل طبقات الحنابلة جـ٢ صـ٤٤٧، البداية والنهاية جـ١٤ صـ٢٣٤، شذرات الذهب جـ٦ صـ١٦٨.

(٣) إبراهيم الحربي: هو الشيخ الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي، صاحب التصانيف، مولده في سنة ثمان وتسعين ومائة، قال إسماعيل القاضي: إبراهيم جبل نفخ فيه الروح، توفي سنة خمس =

الله، إن عندنا قومًا يقولون: إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة، قال أبو عبد الله: يتوجه العبد لله بالقرآن بخمسة أوجه، وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة، والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق، والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، والمكتوب غير مخلوق(١).

رأي القاسمي في صفة الكلام:

مذهب القاسمي في هذه المسألة لا يختلف عن مذهبه في الصفات عمومًا، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، وهو بعينه هو مذهب السلف الذي يراه القاسمي دائمًا بأنه هو الصواب، وفي ذلك يقول القاسمي في إثباته لهذه الصفة: والصواب في هذا الباب وغيره هو مذهب سلف الأمة وأئمتها، وأنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، وإنما ناداه حين أتى، لم يناده قبل ذلك، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته(٢)، فالقاسمي أثبت هذه الصفة قياسًا على صفتي العلم والقدرة.

ولم يكتفِ القاسمي بذلك، بل أبطل ما ذهبت إليه الطوائف الأخرى،

=

وثمانين ومائتين، وكانت جنازته مشهورة.

ينظر: سير جـ١٣ صـ٣٥٦، تاريخ بغداد جـ٦ صـ٢٨-٤٠، المنتظم جـ٦ صـ٣-٧، فوات الوفيات جـ١ صـ١٤-١٧.

(١) مختصر الصواعق المرسلة جـ٢ صـ٤٩١.

(٢) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤١٢٢.

وهو في هذا لا يختلف عن أئمة السلف كالإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم، بل إن كلامه في معظم مسائل الصفات معتمد على كتاباتهم[(١)].

أدلة القاسمي على مذهبه:

أ- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: خاطبه من غير واسطة ملك[(٢)].

ب- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]؛ أي: يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى[(٣)].

جـ- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]؛ أي: القرآن الذي نقرؤه عليه ويتدبره، ومطَّلع على حقيقة الأمر وتقوم حجة الله به[(٤)]، وقوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]؛ أي: خاطبه مخاطبة من غير واسطة، وأنه سمع كلامه تعالى بلا شك فأفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر[(٥)].

وبهذا يكون القاسمي -رحمه الله- متبعًا بإقراره لمذهب السلف وتعضيده بالأدلة الظاهرة، وإن كان أخذها عن غيره من علماء السلف مما يدل على ثقته الكبيرة فيهم، وله الحق في ذلك وإلا فمن أي شيء نأخذ عقديتنا إن لم نأخذها من الكتاب والسنة والعلماء الثقات العاملين بهما والمستنيرين بالعلم الذي فيهما؟

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض هذه المسألة أمور منها:

أ- أن مسألة خلق القرآن كانت محنة كبرى أشعلها ابن أبي داؤد

---

(١) المرجع السابق جـ٥ صـ١٧٢٣ إلى صـ١٧٥٢، جـ١١ صـ٤٢٤٥ إلى صـ٤٢٤٨.

(٢) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٥٠.

(٣) محاسن التأويل جـ١١ صـ٥٢٥٤.

(٤) محاسن التأويل جـ٨ صـ٣٠٧٧.

(٥) محاسن التأويل جـ٥ صـ١٧٢٣.

المعتزلي[١].

ب- أرجع بعض المتكلمين -كالماتريدي- الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة إلى اللفظ، فالمعتزلة نظروا إلى ناحية اللفظ والأشاعرة نظروا إلى المعنى[٢].

جـ- دلت النصوص النبوية على أن الله تعالى تكلم بالقرآن على الحقيقة حروفه ومعانيه، تكلم بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته، وليس هذا القرآن العربي مخلوقًا من جملة المخلوقات، وأما أصوات العباد، وقراءتهم، وتلاوتهم وما قام بهم من أفعالهم وتلفظهم بالقرآن وكتابتهم له فهي مخلوقاته[٣].

د- اعتماد المذاهب القائلة بالخلق، وبالحدوث بالنسبة للكلام، على تأويل النصوص القرآنية خطر عظيم؛ لأن دفعها إلى غير محلها يعتبر دفعًا للرسالة كلها، ولو قيل فيها بأنها مجاز لكان الوحي كله مجازًا، ولم الإرهاق والتعب في صرف الظاهر الواضح إلى غير الواضح؟![٤]

هـ- مذهب السلف في هذه المسألة هو الصواب؛ لاعتماده على الفهم الدقيق لألفاظ القرآن الكريم، ولذا فالقاسمي محق في تأييد هذا المذهب الذي

---

(١) ابن أبي دؤاد المعتزلي: هو أحمد بن أبي دؤاد، واسمه الفرج المعتزلي، ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم الموثق، وكان موصوفًا بالجود والسخاء وحسن الخلق، ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله تعالى لا يُرى في الآخرة، وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع بقين من المحرم سنة ٢٤٠هـ، وولادته كانت في سنة ١٦٠هـ، ينظر: البداية والنهاية المجلد الخامس صـ٨٧٠.

(٢) مقدمة مناهج الأدلة د/ محمود قاسم صـ٧٢.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة جـ٢ صـ٤٩٠ بتصرف.

(٤) المرجع السابق جـ٢ صـ٤٧٩.

قاله به أئمة العلماء من المحدثين والفقهاء وبعض المتكلمين[١].

و- الخلاف في هذه المسألة لا يوجب الحكم بتكفير من قال «بخلق القرآن»؛ لأن هؤلاء يُقرون بالشهادتين ويصلون صلاتنا وأحسن به من قول ذهب إليه الغزالي حين قال: كف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله، غير مناقضين لها، والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر أو غير عذر، فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه[٢].

ز- أميل إلى ما ذهب إليه د/ عبد الكريم عثمان من أن المعتزلة سجلوا بموقفهم في هذه المسألة ومحاولتهم أخذ الناس بالعنف على القول برأيهم أسوأ مثال على التدخل في الحرية الفكرية مع أنهم روادها الأوائل[٣].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف/ حافظ بن أحمد حكيمي جـ١ صـ١٤٩-١٥٦ نشر دار حميد، وشرح المواقف الموقف الخامس صـ١٦٣-١٦٤.

(٢) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة لأبي حامد الغزالي، تحقيق د/ سليمان دنيا صـ١٩٥، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١ سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

(٣) شرح الأصول الخمسة، هامش صـ٥٢٧، معالم الثقافة الإسلامية ت د/ عبد الكريم عثمان صـ٣٣٦.

الفصل الثاني

النبوات عند القاسمي

ويشتمل على:

تمهيد، وثلاث مباحث:

المبحث الأول: بيان مفهوم النبي والرسول والعلاقة بينهما وحاجة البشرية إلى الرسالة.

المبحث الثاني: إثبات النبوة.

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء.

تمهيد

إن أمر النبوة من الأمور الهامة في حياة البشرية، والأحرى بباحث العقيدة أن يتعرض لها، ويثبتها بالدليل والبرهان، حتى لا يترك المجال فارغًا أمام المشككين في أمور العقيدة؛ فيردوا الناس عن الإيمان والاعتراف بها، فهي على أهمية قصوى إذ أنها تبحث فيما يجب للرسل والأنبياء، وما يجوز وما يستحيل في حقهم، وتبحث في المعجزات التي أيد الله بها رسله، وجعلها دالة على صدقهم، والقاسمي كأحد الباحثين في مجال العقيدة نجده قد أولى أمر النبوات اهتمامًا لا بأس به.

المبحث الأول

ويشتمل على:

١- تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

٢- حاجة البشر إلى الرسالة ورأي القاسمي فيها.

٣- آراء أشهر الفرق في حكم إرسال الرسل.

المبحث الأول
النبي والرسول الفرق بينهما
وحاجة البشر إلى الرسالة

النبوة هي:

كون الإنسان مبعوثًا من الحق إلى الخلق[١].

والنبي في اللغة:

أ- إما أنه مأخوذ من مادة: نبأ، فيكون هو المخبر عن الله ﷻ، والاسم منه: نبيء، والنبأ هو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

ونبيء بالهمزة لغة رديئة ويجمع على أنبياء.

ب- وإما أن يكون مشتقًّا من النباوة وهو الشيء المرتفع، والنبي: العلم من أعلام الأرض التي يهتدي بها، ويشتق منه النبي؛ لأنه أرفع خلق الله تعالى، وسمي بذلك لارتفاع قدره وشرفه على سائر الخلق، فالنبي على هذا هو الرفيع المنزلة عند الله.

جـ- وإما أن يكون من النبي، وهو الطريق والأنبياء طرق الهدى[٢].

أما الرسالة فهي: سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم عن مصالح الدنيا والآخرة[٣].

والرسول في اللغة:

المتابع، وهو مأخوذ من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً؛ أي: متتابعة، ومعناه: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسالة[٤].

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني جـ٢ صـ١٢٨.

(٢) لسان العرب، المجلد السادس صـ٤٣١٥، ٤٣٣٣، وأصول الدين للبغدادي صـ١٥٤.

(٣) شرح العقائد النسفية صـ٨٥.

(٤) لسان العرب، المجلد الثالث صـ١٦٤٥.

والرسول أخص من النبي؛ لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً[١].

ويتضح المفهوم الاصطلاحي لكل منهما ببيان آراء العلماء في التفريق بينهما.

١- هناك من العلماء من لم يفرق بين النبي والرسول كسعد الدين التفتازاني؛ إذ يقول: النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول[٢]، وممن ذهب إلى عدم التفريق بينهما وأنهما أيضًا بمعنى واحد القاضي عبد الجبار من المعتزلة إذ يقول: إن هذه من الألفاظ المتساوية فيصدق كل منهما على كل ما يصدق عليه الآخر، فكل نبي رسول، وكل رسول نبي[٣]، ثم علل عدم التفريق بقوله: «والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معًا ويزولان معًا في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثبات كلتا اللفظتين المتفقتين في الفائدة»[٤]، وبناءً على ما سق فلا فرق بين النبي والرسول إلا من حيث الوصف العنواني، وحينما يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ نعلم أن المخاطب رسول، وحينما ينبئ الخلق نعلم أنه نبي، وحينئذٍ تكون الرسالة والنبوة شيئًا واحدًا[٥].

---

(١) لسان العرب، المجلد السادس صـ٤٣١٦.

(٢) شرح المقاصد صـ١٢٨.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (١٥/ ١٢) ط المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، تحقيق/ نخبة من العلماء سنة ١٩٦٥.

(٤) شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة/ عبد الجبار بن أحمد، تعليق الإمام/ أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان صـ٥٦٨، نشر مكتبة وهبة، ط٣ سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٥) القول السديد في علم التوحيد، تأليف د/ محمود أبو دفيقة، تحقيق د/ عوض الله حجازي جـ٢ صـ١٥٧. الطبعة الأولى، طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة١٤١٥هـ

٢- أ- وهناك من العلماء من فرق بينهما بأن النبي: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه ولم يخص بشريعة وكتاب، والرسول من خص بشريعة وكتاب(١)، وحينئذٍ يكون الرسول أخص من النبي، والنبي أعم، وتكون النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ حيث يجتمعان في الرسول، وينفرد الأعم وهو النبي بمن ليس له شريعة وكتاب(٢).

ب- وهناك من فرق بينهما أيضًا، لكن من ناحية أخرى وهي التبليغ وعدمه، فعرفوا النبي: بأنه إنسان أنبأه الله تعالى بخبر السماء ولم يأمره بتبليغ غيره، والرسول: إنسان أنبأه الله بخبر السماء وأمره بتبليغ غيره، فالنسبة بينهما أيضًا عموم وخصوص مطلق، لكن جهة العموم تختلف عن السابقة؛ حيث يجتمعان في التبليغ، وينفرد الأعم وهو النبي بعدم التبليغ، فالرسالة أعم من جهة نفسها؛ لأن النبوة جزء منها، وأخص من جهة أهلها(٣).

جـ- وقد سلك ابن تيمية طريقًا آخر في التفريق بينهم، فعرف النبي بأنه: هو الذي أوحي إليه ويخبر عن الله ما أخبر به، ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، ولكنه يعمل بشريعة من قبله، والرسول: هو الذي أوحي إليه ويخبر به وأرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغهم رسالات الله تعالى، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢].

=

١٩٩٥م بتصرف.

(١) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨ بتصرف.

(٢) قضايا النبوات د/ محمود عبد المعطي بركات، صـ١٨، نشر دار الهدى للطباعة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

(٣) ينظر شرح الطحاوية جـ١ صـ١٥٥ بتصرف.

فكل من النبي والرسول يقع تحت عموم قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، لكن قد خص أحدهما بأنه رسول والثاني نبي، ولا يشترط في الرسول أن يأتي بشريعة جديدة بدليل أن سيدنا يوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة سيدنا إبراهيم يقول تعالى في شأنه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤][1].

بعد هذا العرض في الفرق بين النبي والرسول، فإني أميل إلى القول بالتفريق بينهما لأمور:

١- موافقة ذلك لما عليه اللغة، وقد أسلف الكلام عن أصلهما اللغوي.

٢- إخبار القرآن عن التفريق بينهما؛ إذ يستحيل في حق القرآن أن يكون شيء من ألفاظه ملقى بلا فائدة، ونلمس التفريق الواضح في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

٣- التنويه بشأن بعض الأنبياء في القرآن وأنهم لم يأمروا بتبليغ رسالة إلى قومهم، كما أنهم لم يذكروا في عداد الرسل؛ يقول تعالى في شأن أحدهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦][2].

٤- تصريح بعض العلماء بأن القول بالتفريق هو الصحيح، وهو الذي عليه الجماء الغفير[3]، فظهر بذلك أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وهذا هو رأي كثير من علماء التوحيد[4].

---

(١) ينظر: النبوات لابن تيمية صـ١٧٢، ١٧٣، نشر دار الفتح بتصرف.

(٢) ينظر العقيدة الإسلامية وأسسها صـ١٧٢، ١٧٣ بتصرف.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض جـ١ صـ٣٤٧.

(٤) أمثال ابن تيمية في النبوات صـ١٧٢، ١٧٣، وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية

حاجة البشر إلى الرسالة

إن حاجة البشر إلى إرسال الرسل لا تقل في أهميتها عن حاجتهم إلى الهواء الذي يتنفسونه، ولو انقطع لفترة بسيطة لهلكوا؛ ذلك لأن إرسالهم فيه إيفاء لحاجات البشر الاجتماعية والروحية وغيرها، وهي مطالب ضرورية لاستقامة حياة هذا النوع على هذه الأرض ولو أردنا التماس أطراف من هذه الحاجة نجدها يمكن أن تتلخص في جانبين:

الجانب الأول:

من المعلوم أن الكائن البشري مدني بطبعه، يحتاج إلى غيره، والغير يحتاج له، ولو ترك هذا الإنسان يعيش على هذه الصورة لوجدناه يبحث إلى ما يصلح حاله وحده من غير نظر إلى غيره، وذلك لتفاوت هذا النوع في إدراك حاجاته، وربما أفسد في هذا الكون وأضر بمن حوله لتحقيق لذته وشهوته مثلاً، فكان لا بد من وجود قوانين تنظم هذه العلاقات الاجتماعية بين الإنسان والكون، وبينه وبين من حوله من البشر، فتأتي هذه القوانين على لسان أناس من بني جلدته يفضلونه بمراتب من القوة العقلية، والشخصية، وهم مع ذلك مؤيدون من قبل الله تعالى خالقه بأمور تذهله وتجعله يحيد عن الوحشية والإجرام ويعيش في سلام اجتماعي مع كونه وبني جنسه، يقول القاسمي في بيان افتقار الناس إلى الرسالة: كل من لحظ بعين الحكمة والاعتبار، ونفذت بصيرته إلى مكنون الأسرار، علم حاجة البشر كافة إلى رسالة خاتم النبيين، وأكبر منة الله به على العالمين، فقد بُعث صلوات الله عليه وسلامه على حين فترة من الرسل... وفساد

=

جـ١ صـ١٥٥، والسعد قال بهذا الرأي في شرح العقائد النسفية صـ١٩، وحافظ بن أحمد حكيمي في معارج القبول جـ٢ صـ٦٤، والشيخ رشيد رضا في الوحي المحمدي صـ٣٧، نشر مكتبة القاهرة، الطبعة السادسة سنة ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.

عام، وانتهاب للأموال والأرواح، واغتصاب للحقوق، وشن الغارات، ووأد للبنات، وأكل للدماء والميتات، وقطع للأرحام، وإعلان بالسفاح، حتى دعا داعي الفلاح وأذن الله بالإصلاح، أرسل إلى البشر رسولاً ليخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التفكير إلى نور الإيمان وينقذهم من النار والعار ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال(١).

الجانب الثاني:

معلوم أن الله تعالى زود الإنسان بالعقل، ولم يجعله مسخرًا لغيره، بل سخر الكائنات من حوله له، وهو مزود كذلك بحواس تساعد هذا العقل في استكشاف هذا الكون كالسمع والبصر، وكل هذه أمور جعلت منه كائنًا مفكرًا يشخص بصره إلى السماء لكي يدرك ما فيها، ثم يتطاول ويحاول أن يعرف ما وراءها، ومع هذا فالنقص يتتبعه، والقصور يلاحقه، فمعالم هذا الكون أعظم من أن يدرك كل مكوناتها هذا العقل، ونجده عندما نبحث عن إله يدين له، لم يصل في غالب أحيانه إلى الصواب، وكثيرًا ما سمعنا عن عباد النجوم، والشمس والقمر وغيرها، وتتميمًا لنعمة الله تعالى على هذا المخلوق، أرسل له الرسل، المؤيدين بكل وسائل إقناعه، فيخبروه بأن للكون إلهًا خلقه، ولم يكن هكذا من قبيل المصادفة وغيرها، وبهذا الإله أوجده في هذا الكون لغاية عظيمة يؤديها، وهو قد كفل له الرزق ووسائل الحياة، ويخبروه كذلك بأن لعقله حدودًا ينبغي أن يقف عندها، ولا يتطاول إليها، ولو فعل فضل وأضل، فهناك أمور غيبية كالبعث والنشور والجنة والنار وغيرها، سيكشف عنها بعد انتهاء حياته على هذه الأرض، ولكل هذه الأمور كان إرساله الرسل ضروريًا لإخراج هذا الإنسان صاحب العقل القاصر من متاهة هذا الكون العظيم، وربما لو ترك على

---

(١) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤٣١٤، ٤٣١٥.

حاله الأول لعاش قمة الشقاء، وربما لم يكن له بقاء أو عيش على هذه الأرض، ومن هنا كان الرسل مبشرين ومنذرين، وكانت رسالتهم فيها الهدى والرحمة لهذا الإنسان، وكان إرسال محمد ﷺ رحمة للعالمين، يقول تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف: ٥٦]، ويقول تعالى أيضًا: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف: ١٢]، ويقول لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] [١].

وهكذا يتبين أن في إرسال الرسل انتظام لأمور الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥]، فهذه هي الأمور التي يتم بها الكمال الشخصي للفرد، والكمال النوعي لمجتمع البشر، وبهذا ينتظم الكون كله، ونفوس الناس على نوعين: إما خيرة تنقاد لأوامر الشرع، وإما شريرة على غير ذلك، فيكفي الأولى اللطف والسلوك الطيب، والثانية لا بد من قصرها وأخذها بعصا الشدة وسياسة الملك، والرسل قد جاءت بذلك كله [٢].

آراء أشهر الفرق في حكم إرسال الرسل:

١- ذهبت المعتزلة إلى القول بوجوب إرسال الرسل على الله وبنوا قولهم هذا على القاعدة المشهورة عندهم (التحسين والتقبيح العقليين) [٣].

٢- ذهب جمهور الأشاعرة إلى القول بأن إرسال الرسل لطف من الله

---

(١) وينظر في ذلك: محاسن التأويل جـ٥ صـ١٧٥٤ بتصرف، ورسالة التوحيد، تأليف/ الشيخ محمد عبده صـ٧٢-٨٤، طبع مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٥هـ ٢٩٦٥م، والقول السديد جـ٢ صـ١٦١-١٦٤.

(٢) ينظر محاسن التأويل جـ١٦ صـ٥٦٩٣، ٥٦٩٤ بتصرف.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ٥٦٣.

تعالى ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح لا تعد ولا تحصى[(١)].

٣- ذهب الفلاسفة إلى القول بلزوم إرسال الله للرسل، وعللوا ذلك بأن النظام الأكمل الذي تقتضيه العناية الأزلية لا يتم بدون وجود النبي المبين لقوانين العدل[(٢)].

٤- ذهبت الماتريدية إلى القول بأن إرسال الرسل من مقتضيات حكمة الباري، فيستحيل أن لا يوجد لاستحالة السفه عليه كما أن ما علم الله وقوعه يجب أن يقع لاستحالة الجهل عليه[(٣)].

وبهذا ظهر لنا من خلال حاجة البشر إلى الرسل أن القاسمي رحمه الله ذهب إلى ما ذهبت إليه الأشاعرة من أن إرسال الرسل منة من الله تعالى لعباده، واستدل على ذلك بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨.

(٢) القول السديد جـ٢ صـ١٦٠، وشرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨، وشرح الخريدة البهية لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير صـ٣١٣-٣١٥ سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٣) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨.

المبحث الثاني

إثبات النبوة

ويشتمل على:

١- إثبات النبوة عند القاسمي.

٢- تعقيب.

المبحث الثاني

إثبات النبوة عند القاسمي

بعد أن تعرضت لمعنى النبوة والرسالة، والفرق بين الرسول والنبي، كان لزامًا عليَّ أن أتناول النبوة من ناحية إثباتها بالأدلة والبراهين القاطعة؛ ذلك لأن هناك من ينكرها أصلاً ويدعي عليها ادعاءات باطلة، سأتناول منها إن شاء الله، وإذا أردنا أن نقيم الحجج التي تثبت النبوة لوجدناها كثيرة، ولكيلا نقع تحت طائلة الاستطراد يمكن أن نتحدث عن بعض منها من خلال نظرة القاسمي إليها وهي كالآتي:

١- التركيب البشري للنبي دليل على النبوة:

والقاسمي يقرر فيه أنه يجب في حق النبي أن يكون من أكرم مكان في الأرض(١)، ومن عنصر كريم وبين فضل(٢)، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤]، ولا بد للنبي أن يكون له سمت خاص،

---

(١) من تفضيل الله تعالى للنبي محمد ﷺ أن اختاره من خير البلاد وأشرفها، وهي البلد الحرام، فقد جعلها الله تعالى بلدًا لنبيه، ومقصدًا لأمته يؤدون فيها مناسكهم، ويدخلونها متخشعين متذللين متواضعين، متجردين عن لباس أهل الدنيا، ولقد جعل الله تعالى زيارة هذا المكان من آكد فروض الإسلام وأقسم به في كتابه.

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق/ شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط، صـ٤٦-٥٦، نشر/ مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، توزيع دار الريان للتراث، الطبعة الخامسة عشر، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) وليس أدل على ذلك مما قال ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [صحيح مسلم، شرح النووي جـ١٠ صـ٣٦].

ونور يروق له كل من يراه[١]، وأخلاق يعلو بها على سائر البشر كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤][٢]، ولا بد له أيضًا أن يكون كلامه ذا حجة على من سمعه، وهذا يكون بتأييد الوحي له يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢][٣]، ومن رأى النبي ﷺ على هذه الصورة المكتملة، ولديه من العقل ما يساعده على إدراكها كان عليه أن يوقن بأن من كان فيه هذه الصفات مرسل من عند الله تعالى، وهذا ما كان من سيدنا أبي بكر ﷺ عندما عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام تلقاه بالقبول[٤]، وكل هذه خصائص وصفات بشرية إذ دان بها شخص النبي الكريم، بلغ فيها الذروة والكمال، ولقد نقل

---

(١) ففي الأثر: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر... له نور يعلوه» مختصر الشمائل المحمدية للترمذي وبهامشه العطر الشذى في شرح مختصر شمائل الترمذي للشيخ عبد الحميد الشرنوبي صـ٩، ١٠. طبع مكتبة الآداب.

(٢) وفي الأثر عن أنس ﷺ قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أفٍ قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبي ﷺ» المرجع السابق صـ١٠٩، ١١٠.

(٣) وليس أدل على ذلك قاله الصحابة -رضوان الله عليهم- له: «ما رأينا الذي هو أفصح منك؟ فقال: وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين»، وقال مرة أخرى: «بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد»، فجمع له بذلك ﷺ قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مرده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي جـ١ صـ١٠٦ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٧٧م.

(٤) دلائل التوحيد للقاسمي صـ١٤٢، نقلاً عن الراغب الأصفهاني من كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة د/ أبو اليزيد العجمي صـ٢٠٥، ٢٠٦، نشر دار الصحوة، ودار الوفاء. الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م بتصرف.

القاسمي عن الماوردي[(١)] نصًا يبرهن به على النبوة -من خلال خصائص النبي ﷺ- وفضائله، ومؤداه: أن كمال الاختصاص بالفضل في ذاته ﷺ من أمارات النبوة، ولما كان الكمال محتاجًا إليه في ذلك صار كالشيء المعجز؛ إذ هو موجب للصدق، الموجب للقبول، فيكون من دلائل النبوة، فهذا الكمال معتبر من أربعة أوجه: كمال الخَلْق، وكمال الخُلُق، وفضائل الأقوال، وفضائل الأعمال[(٢)].

٢- العلوم التي أتى بها الأنبياء دليل على نبوتهم:

وفيها يقرر القاسمي من خلال ما نقله عن العلماء مثل ابن تيمية أن من طالع كتب الفلاسفة المتقدمين، والمتأخرين منهم يجد أن كلامهم في الألهيات والعلوم الكونية كلام قاصر جدًّا، وفيه خلط واضطراب ويورث أتباعهم حيرة؛ نظرًا لأن شريعتهم غير واحدة، وآراءهم مختلفة، بينهما يجد إجادتهم في الأمور الطبيعية، أما الأنبياء فهم على العكس من ذلك فشريعتهم واحدة، وكلهم ينهل

---

(١) الماوردي: أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري، الشافعي، أقضى القضاة، وكان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدة من أجلها وأطولها كتاب الحاوي وله كتاب في التفسير مطبوع واسمه النكت والعيون. توفي سنة ٤٥٠هـ.
ينظر شذرات الذهب جـ٣ صـ٢٨٥، لسان الميزان جـ٤ صـ٢٦٠، الأحكام السلطانية للماوردي صـ٦٩.

(٢) ينظر في ذلك دلائل التوحيد صـ١٧٥ نقلاً عن أعلام النبوة للإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ خالد عبد الرحمن العك صـ٣٠٩-٣١١ ط١، دار النفائس سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. ومن منطلق قول الشاعر:

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

ما قاله البروفسور بورسورث سميث عن رسول الله ﷺ عندما ألقى نظرة إجمالية استعرض فيها صفاته وبطولاته ما كان منها في بدء نبوته، وما حدث منها بعد ذلك: «أجده أقدس الناس، وأعلاهم مرتبة حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً».
الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان صـ١٦٥.

من منبع واحد، فمصدرهم هو الوحي الذي لا يمكن لأي مخلوق غيرهم أن يشرق عليه نوره، وبالتالي نلمس صدق أقوالهم في العلوم الكونية، واتحادها أيضًا(١)، وحينئذ فكل من ينفي الوحي الذي ألهم الأنبياء بهذه العلوم، فقد نفى شيئًا لا حجة له في نفيه، يقول تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: ٣٩]، وحينئذ فإرسال الرسل رحمة للناس، وإنقاذ لهم من متاهة الاختلاف بين الفلاسفة في مثل هذه العلوم(٢)، وكل هذا دليل على ثبوت نبوتهم -صلوات الله عليهم أجمعين.

٣- الإخبار عن الأمور المستقبلة:

وهذا مما تثبت به نبوة الرسول ﷺ فإخباره عن مثل هذه الأمور يأخذ صورة خاصة؛ إذ أن خبره عنها يكون مفصلاً، وكأنه رآها، وهذا يختلف عن ما عُهد عن الكهنة المنجمين، فأخبارهم عادة ما تكون بجمل غير مفصلة، وكثيرًا ما تكون كاذبة، وأخبار الولاية والصلاح لا تصل إلى درجة الدقة والتفصيل التي يكون عليها خبر الأنبياء، والأمثلة على إخبار الرسول ﷺ بالأمور المستقبلة كثيرة منها خبره عن هزيمة الروم وانتصارهم بعد ذلك في بضع سنين(٣)، وخبره عن عدم استطاعة العرب لمعارضة القرآن والإتيان بمثله(٤)، وخبره عن

---

(١) مثل هذه العلوم العلم بالخالق تعالى، وأصل الإنسان وأطوار تكوينه، وأصل السماوات والأرض إلى غير ذلك.

(٢) ينظر في ذلك دلائل التوحيد صـ١٤٤، ١٤٥، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، تحقيق/ عبد الأعلى عبد الحميد حامد صـ١٩٠. نشر الدار السلفية بومباي، الهند. توزيع/ دار الريان للتراث، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٣) يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم: ١-٤]، وينظر تفسير القاسمي لهذه الآيات جـ١٣ صـ٤٧٦٥.

(٤) يقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ

فتح مكة ودخول البيت الحرام[(١)]، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي أخبر عنها الرسول ﷺ، وقد كان لها وقوع بالفعل[(٢)]، وإخباره ﷺ أيضًا عن الأمور الماضية يعد دليلاً على نبوته، كإخباره عن الرسل السابقين كموسى، ونوح، وإبراهيم، وإخباره عن الأمم السابقة كعاد، وثمود من غير معرفة سابقة، على حد قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩][(٣)].

٤- انتصار دعوة الرسول ﷺ:

ويقيم القاسمي انتصار دين الإسلام دليلاً على نبوة الرسول ﷺ؛ إذ أنه أتى إلى قوم غلاظ لا يدينون لأحد، همهم أن يعيشوا ولو على حساب ضعفائهم نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم، فدعاهم إلى الإسلام، فآذاه قومه وظل معهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى انقاد أكثرهم، وتغيرت طبائعهم من ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام، ومن عادات السلب والنهب والثأر إلى عادات الإسلام السليمة التي هذبت الطباع، وعدلت العقول، ومن تدبر سيرة الرسول ﷺ يجد أن كثيرًا من الملوك انقادوا لدعوته طوعًا؛ مثل ملك اليمن وعمان، والمنذر بن ساوى ملك الحيرة، والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم الكثير[(٤)]، ويقول القاسمي: «إن انقياد الملوك المذكورين له -صلوات الله وسلامه عليه- وإيمانهم به منقول بالنقل

=

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

(١) يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

(٢) وينظر شرح المقاصد صـ١٣٨.

(٣) ينظر شرح المقاصد، ص١٣٨.

(٤) دلائل التوحيد صـ١٦٤، والفصل لابن حزم جـ٢ صـ٢٢٤، ٢٣٢.

الذي لا يشوبه شائبة تردد، وهو خبر التواتر... وقد روي إسلام النجاشي[١] من طرق كثيرة، وروايات متنوعة، وكلها متجاوبة الأطراف في تحقيق إسلامه، ولو لم يكن منها إلا ما صح عنه ﷺ من صلاته عليه لما جاء نعيه لكفى»[٢].

٥- إخبار الأنبياء عن نبوته ﷺ:

وهذا أيضًا مما استدل به القاسمي على إثبات نبوة النبي ﷺ؛ إذ ذكر نصوصًا كثيرة من كتب الأنبياء المتقدمين تبين أنهم بشروا بالنبي ﷺ منها:

أ- ما ورد في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية:

١- وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته.

٢- فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. ثم علق القاسمي فقال:

«لا غموض بأن مجيء الله جل وعلا من سيناء عبارة عن إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء -هكذا يفسرها أهل الكتاب- والأمر كذلك فيجب أن يكون إشراقه من سعير عبارة عن إنزاله الإنجيل على المسيح، وكان المسيح

---

(١) النجاشي: هو أصحمة ملك الحبشة، وأصحمة بالعربية عطية، معدود في الصحابة -رضي الله عنهم-، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحبي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أن صلى على أحد سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلي عليه، وكان لبيبًا حازمًا، توفي في شهر رجب سنة تسع من الهجرة.
ينظر في ذلك: سير أعلام النبلاء جـ١ صـ٤٢٨، أسد الغابة جـ١ صـ١١٩، نسب قريش (٨١، ١٢٣، ١٢٤، ٢٥١، ٣٢٢).

(٢) ينظر هامش دلائل التوحيد صـ٢٦٦.

يسكن أرض الجليل من سعير بقرية تدعى ناصرة واسم النصارى مأخوذ منها، واستعلاؤه من جبل فاران عبارة عن إنزاله القرآن على محمد في جبل فاران، وفاران هي مكة، لا يخالفنا في ذلك أهل الكتاب»[1]، ثم ذكر أدلة كثير من التوراة اكتفينا منها بالسابق.

ب- وذكر أيضًا أدلة كثير من الإنجيل نكتفي منها بما نقله القاسمي عن إنجيل يوحنا في الباب الرابع عشر: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه، ولا يعرفه وأنتم تعرفونه؛ لأنه مقيم عندكم، وهو ثابت فيكم»، وعلق القاسمي على ذلك بقوله: «هذه بشارة من المسيح عليه السلام بأن الله سيبعث للناس من يقوم مقامه، وينوب في تبليغ رسالته وسياسة خلقه منابه، وتكون شريعته باقية مخلدة أبدًا، وهل هذا إلا محمد ﷺ والأب هنا بمعنى الرب والإله؛ لأنه اصطلاح أهل الكتابين، وقد أشار عيسى بكونه (روح الحق) إلى أن الحق قبل مبعثه يكون كالميت لا حراك ولا انتعاش، وأنه إذا بعث يكون كالروح له، فيرجع حينئذ قائمًا في الأرض، ولا خفاء أنه -عليه الصلاة والسلام- هو الذي أحيا الله به الحق بعد عيسى -عليه السلام- بعد ما اندرس... ومن أمعن النظر في العبارات السابقة جزم بأن الفارقليط هو محمد ﷺ[2]»، ثم ذكر القاسمي في نهاية كلامه بأن «من أسلم من علماء اليهود

(١) ينظر محاسن التأويل للقاسمي جـ٧ صـ٢٨٧٤، ٢٨٧٥. وفاران أحد العمالة السبعة الذين أقسموا الأرض فجعلوا لفاران الحجاز، ينظر في ذلك «النصحية الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية»، تأليف/ نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي صـ١٤٤ دار الصحوة.

(٢) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٧٧، ٢٨٧٨، هذا ولقد راجعت النص في نسخة لإنجيل يوحنا النص موجودًا بتمامه غير أنهم أبدلوا كلمة مغزى من كلمة فارقليط، وربما كان =

والنصارى في القرن الأول شهد بوجود البشارات المحمدية في كتب العهدين مثل عبدالله بن سلام[(١)]، والنجاشي[(٢)]، وبنيامين[(٣)]، ومخيريق[(٤)]، وكعب الأحبار[(٥)]،

=

ذلك بعد أن أدركوا أن معنى كلمة فارقليط يؤدي إلى أن يكون محمد ﷺ هو المقصود، واتخذه المسلمون دليلاً على إثبات بشارة عيسى من خلال أناجيلهم المحرفة فغيروه إلى مغزى، وهذا مما يصلح لأن يكون دليلاً على ثبوت بشارة عيسى عليه السلام بسيدنا محمد ﷺ.وضعف موقف النصارى في إنكار ذلك. ينظر إنجيل ربنا يوسع المسيح للقديس يوحنا الفصل الرابع عشر صـ٣٩، طبع دار السلام.

(١) عبد الله بن سلام: هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف حليف القوافلة، من بني عوف بن الخزرج، من الأنصار، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة.

قيل: كان اسمه الحصين فسماه رسول الله «عبد الله»، وشهد له بالجنة ونزل فيه قرآن يتلى، وشهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس والجابية. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين.

طبقات ابن سعد حـ ٢ ص٣٥٢، الاستيعاب حـ٣ ص٩٢١، سير أعلام النبلاء حـ٢ ص٤١٣.

(٢) سبق ترجمته ص٢٥٢.

(٣) بنيامين: بنيامين يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعًا السلام فهو أخو سيدنا يوسف لأبيه، وأمه راحيل بنت لبان بن ناهر. وماتت أمه حين ولادته. وقصتهما بالشهرة بمكان. تاريخ الطبري (جـ١ ص٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٤٨) البداية (جـ١ ص٢٩٩) الكامل في التاريخ (جـ١ ص٧١، ١٢٠، ١٤١، ١٥٧).

(٤) مخيريق: النضري الإسرائيلي من بني النضر، ذكر الواقدي: أنه أسلم واستشهد بأحد وقال: إنه من بني قينقاع ويقال من بني الفيطون، كان عالمًا، وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ وهي سبع حوائط، فجعلها ﷺ صدقة. قتل يوم أحد. ولما قتل قال النبي ﷺ: مخيريق خير يهود.

الإصابة جـ٣ ص٣٩٣، الطبقات جـ١، ص٥٠١، ٥٠٥.

(٥) كعب الأحبار: هو كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار من آل ارُعَيْن، أدرك النبي ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ويقال في خلافة عمر، ويقال: أدرك الجاهلية. توفي سنة اثنين أو أربع وثلاثين.

=

وغيرهم[١]. وقد اعترف بصحة نبوته وعموم رسالته هرقل قيصر الروم والمقوقس صحابي مصر وابن صوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب وغيرهم ممن حملهم الحسد على الشقاء ولم يسلموا»[٢] ولم يكتف القاسمي بذكر البشارات فقط بل نقل جوابًا «لداود أفندي مجاعص» من كتاب «المسيحيين ونوابغهم» عندما سئل عن أعظم رجل في العالمين ولماذا؟ فقال: «أعظم رجال العالم على الإطلاق رجل وضع في عشر سنين دينًا وفلسفة وشريعة اجتماعية وقوانين مدينة وغيَّر شريعة الحرب وأنشأ أمة ودولة طاولت الدهر وكان أميًّا؛ ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي العربي نبي المسلمين...»[٣].

تعقيب:

بعد عرض الأدلة على إثبات النبوة، وجدنا أنها كثيرة؛ نظرًا لسعة الفكر لدى العلماء (علماء الإسلام)، فكما رأينا وجدناهم اتخذوا من كل شيء متعلق بفضائله وأخلاقه أدلة على نبوته[٤]، وهناك أدلة أخرى تعرض لها القاسمي كآية كمال الدين التي استنبطها من ابن القيم[٥]، وهناك أيضًا أعظم الأدلة على نبوته ﷺ وهو القرآن الكريم المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن الملاحظ أن القاسمي في استعراض أدلة إثبات النبوة كان يركز على سيدنا محمد ﷺ

=

تهذيب الكمال جـ٢٤ ص١٨٩، وطبقات خليفة بن خياط ص٣٠٨، سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٤٨٩.

(١) ينظر في ذلك النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص١٩-٢٣.

(٢) ينظر محاسن التأويل جـ٧ ص٢٨٨٠، ٢٨٨١ نقلاً عن إظهار الحق تأليف الشيخ/ رحمة الله الهندي جـ٢ ص٢٥٥ نشر مكتبة الثقافة ط١ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٣) ينظر دلائل التوحيد هامش ص١٧٤.

(٤) ينظر دلائل التوحيد ص١٧٥، ١٨٧.

(٥) المرجع السابق ص١٨٧، ١٨٨.

وأرى أنه لا بأس في ذلك؛ إذ أن إثبات رسالته ﷺ تعد إثباتًا لنبوة جميع الأنبياء عمومًا، إذ لا يكمل الإيمان به إلا بالإيمان بهم جميعًا.

ويرى القاسمي أن من ينظر لهذه الأدلة، يجب أن ينظر إليها بعين الإنصاف، ويجرد نفسه من نوازع الهوى والتعصب حتى يرى نور الحق واضحًا جليًّا، ثم يتخذ من نفسه شاهدًا على جهاد الرسول ﷺ في طرد الفساد، وعمله الدائب على طريق الحق[1]. صلوات الله وسلامه عليه.

(١) المرجع السابق هامش ص١٦٩.

المبحث الثالث

عصمة الأنبياء

ويشتمل على:

١- رأي القاسمي في عصمة الأنبياء.

٢- آراء أشهر الفرق في عصمة الأنبياء.

٣- تعقيب.

عصمة الأنبياء

قبل التعرض لرأي القاسمي في عصمة الأنبياء يجدر بنا أن نقف على تعريف العصمة في كلام العرب.

العصمة في كلام العرب المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه: منعه ووقاه. والعصمة: الحفظ[(١)].

أولاً: رأي القاسمي في عصمة الأنبياء:

قال القاسمي في تعريفها: «حقيقة عصمة الأنبياء هي نزاهتهم، وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها، لئلا يكونوا قدوة سيئة، مفسدين للأخلاق والآداب، وحجة للسفهاء على انتهاك حرمات الشرائع، وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشري»[(٢)].

ويعلل الراغب الأصفهاني[(٣)] القول بوجوب عصمة الأنبياء بقوله:

«ولما لا يكون الأنبياء كذلك ومنزلتهم من أممهم بمنزلة الشمس من القمر ومنزلة علمهم من علوم أممهم بمنزلة ضوء الشمس من نور القمر»[(٤)].

وأنبياء الله هم الذين اصطفاهم الله لرسالته قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] ووصفهم بالأخلاق العظيمة ونزههم عن السيئات والمعاصي صغيرها وكبيرها. ومنهم

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي جـ٢ ص٥٦٦ طبع المطابع الأميرية بالقاهرة ط السادسة سنة ١٩٥٠م. لسان العرب جـ٤ ص٢٩٧٦ مادة عصم

(٢) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٣٠.

(٣) الراغب الأصفهاني سبق ترجمته ص ٩٩.

(٤) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين تقديم د/ أسعد العمراني ص١٩٧ نشر دار النفائس ط١ سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

من اصطفاه الله لنفسه، ومنهم من اجتباه بعلمه. وهم وإن تفاوتوا في الفضل إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي والصلة بالله، ونصوص الكتاب الكريم شاهدة على وصفهم بالطهر والنزاهة ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين فلا يتركون واجبًا، ولا يفعلون محرمًا، ولا يقترفون ما يتنافى من الخلق الكريم[(١)].

ومن أجل ذلك نجد القاسمي -رحمه الله- أثبت العصمة لجميع الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام إذ قال إثر تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] أي ما صح وما تأتى لنبي من الأنبياء أن يخون في المغنم، بعد مقام النبوة وعصمة الأنبياء عن جميع الرذائل، وعن تأثير داوعي النفس والشيطان فيهم[(٢)] ولم يكتف القاسمي بإثبات العصمة إجمالاً بل أتى على جميع الآيات التي ظاهرها أنها تنافي العصمة بالتوضيح وبيان الحق فيها، ولتوضيح ذلك نذكر بعضًا من النماذج لنرى مدى تمكن القاسمي -رحمه الله- لنفي كل ما ظاهره إخلال بمكانة النبوة.

الأنموذج الأول:

ما رواه بعض المفسرين عقب قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠] من أن المراد بهذا السياق هو آدم وحواء ووقوع الشرك لآدم

---

(١) العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق ص١٥٧، ١٥٨، نشر دار الفتح للإعلام العربي سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م بتصرف.

(٢) محاسن التأويل جـ٤ ص١٠٢٤.

كان قبل البعثة.

موقف القاسمي -رحمه الله- من قول بعض المفسرين.

نجد القاسمي عند تفسيره لهذه الآية يبين أنها سيقت توبيخًا للمشركين في جنايتهم، بالشرك، ونقضهم ميثاقهم في جريهم على خلاف ما يعاهدون الله عليه. وذلك أنه تعالى ذكر ما أنعم به عليهم من الخلق من نفسٍ واحدة، وجعل أزواجهم من أنفسهم ليأنسوا بهن ثم إنشائه إياهم بعد الغشيان، متدرجين في أطوار الخلق من العدم إلى الوجود، ومن الضعف إلى القوة ثم بيَّن إعطاءهم المواثيق إن أتاهم ما يطلبون وولد لهم ما يشتهون ليكونن من الشاكرين. ثم أخبر عن غدرهم وكفرهم بهذه النعمة، التي امتن سبحانه بها عليهم، ونقضهم ميثاقهم في إفراده بالشكر حيث أشركوا معه غيره في ذلك(١)..

ولم يكتف القاسمي بذلك بل قال بأن ما ذكره المفسرون من أن المراد بالسياق آدم وحواء لا حاجة إلى ذكره للأسباب الآتية:

(أ) اعتمادهم على روايات واهية الإسناد ومعلولة.

(ب) الشرك في حق الأنبياء منتفٍ عنهم قبل البعثة وبعدها.

(ج) رواية بعض السلف لهذه الآثار لا يجدي في صحتها، لأنها مأخوذة من أهل الكتاب.

(د) قول بعضهم إن هذه الروايات مقتبسة من مشكاة النبوة لأنها رويت عن فلان وفلان، كله من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني، إذ أن المشكاة النبوية أجل من أن يقتبس منها إلا ما هو معروف بالجودة(٢).

وبعد تضعيف القاسمي -رحمه الله- هذا القول نجده يعضد قوله بما نقله

---

(١) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢٠ بتصرف

(٢) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢١ بتصرف

عن الحسن البصري[١] بقوله، «وقد قرر ما ارتضيناه في معنى الآية غير واحد. قال الحسن البصري، فيما روى عنه ابن جرير: إن الآية عُنِي بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده. وفي رواية عنه: كان هذا في بعض الملل ولم يكن بآدم»[٢] ثم ذكر القاسمي بأن إسناد الرواية إلى الحسن البصري صحيح وهو من أحسن التفاسير لهذه الآية[٣].

الأنموذج الثاني:

ما ورد في حق نبي الله يوسف عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] ذكر القاسمي بأن بعض المفسرين سردوا روايات كثيرة في المراد بهم يوسف عليه السلام: وهذه الروايات لا تستحق بأن تذكر، وأنزه تأليفي عن نقلها لأنها تنافي الأدب مع نبي من أنبياء الله تعالى وهذه الروايات أخذت من أهل الكتاب وهي مختلقة على سيدنا يوسف على نبينا وعليه السلام. وهي كلها خرافات وأباطيل، والويل كل الويل لمن لاكها[٤] ولفقها أو

(١) هو الحسن بن الحسن البصري، واسم أبيه يسار، إمام التابعين في الفقه والحديث، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ، سمع من خلق كثير. قال فيه ابن سعد: كان الحسن -رحمه الله- جامعًا، عالمًا، فقيهًا، ثقة حجة، مأمونًا، عابدًا، ناسكًا، كثير العلم فصيحًا، جميلاً وسيمًا، وما أرسله فليس بحجة. وقال قتادة: ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء إلا كان له فضل عليه. توفي في رجب سنة عشر ومائة. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣/ ، طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٦، أخبار القضاة ٢/ ٣.

(٢) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢١

(٣) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢١

(٤) أَلَكَ بين القوم أَلْكًا، وألوكًا: كان رسولاً بينهم، وفلان ألْكًا أي أبلغه رسالة. لفقها قال ابن منظور: أحاديث مُلَفَّقَة، أي أكاذيب مزخرفة ينظر المعجم الوسيط جـ١ ص٢٤، لسان العرب لابن منظور جـ٥ ص٤٥٦.

سمعها وصدقها[١].

وفي بيان القاسمي للمراد من الآية نجده يفسر الهم تفسيرًا لغويًا ثم قسم الهم إلى قسمين.

الأول: همٌّ ثابت معه عزم ورضا وهو مذموم مؤاخذ به.

الثاني: همٌّ بمعنى خاطر، وحديث نفس، من غير تصميم وهو غير مؤاخذ به.

ثم بيَّن العلة في عدم المؤاخذة بأن خطورة المناهي في الصدور، وتصورها في الأذهان لا مؤاخذة بها ما لم توجد في الأعيان. واستدل على ذلك بما رواه الشيخان وأهل السنن عن أبي هريرة[٢] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم بها أو تعمل به**»[٣].

ثم وضح القاسمي نوع همِّ امرأة العزيز بأنه من النوع الأول وهو همّ عزم وقصد جازم لا يلويها عنه صارف لأنها باشرت جميع مبادئه من المراودة، وتغليق الأبواب، ودعوته إلى الإسراع. أما معنى قوله تعالى ﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ «أي لولا رؤيته برهان ربه لهمَّ بها، كما همت به، لتوافر الدواعي. ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء»[٤].

---

(١) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٣٠، بتصرف.

(٢) هو محدث الأمة على الإطلاق: عبد الرحمن بن صخر الدوسي على أصح الأقوال في اسمه. أسلم سنة سبع، وروى عن النبي ﷺ ٣٧٤٠ حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ٤٢٥ منها وانفرد البخاري بـ٧٩، ومسلم بـ٩٣ حديثًا ينظر الاستيعاب جـ٤/ ١٧٦٨، الإصابة جـ٧/ ٤٢٥، خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي جـ٣/ ٢٥٢.

(٣) أخرجه البخاري بلفظ قريب منه في فتح الباري كتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه جـ٥ ص١٩٠ وأخرجه مسلم بلفظ قريب في كتاب الإيمان باب بيان تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، مسلم شرح النووي جـ٢ ص١٤٧.

(٤) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٢٨.

فالآية ناطقة بأنه لم يهمّ أصلاً وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ ثم ذكر القاسمي[1] بأن كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءته عليه السلام. فشهد الله تعالى بقوله: ﴿ لِنَصْرِفَ... ﴾ وشهد هو على نفسه بقوله: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ [يوسف: ٢٦] وشهدت امرأة العزيز بقولها: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف: ٣٢] وشهد سيدها بقوله: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٢٩] وإبليس بقوله: ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] فتضمن إخباره بأنه لم يَغْوه، ومع ذلك كله لم يبرئه أهل القصص. وهكذا اتضح أن لا شبهة على عصمة يوسف على نبينا وعليه السلام. وبأكثر من هذه الأقوال سار القاسمي -رحمه الله- في تبرئة ساحة سيدنا يوسف عليه السلام من جميع ما ألصقه أهل الكتاب به. من قولهم بوقوع الكذب منه واستدلالهم على ذلك بقوله تعالى ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠] وهم لم يسرقوا شيئًا، وقوله تعالى ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] إلى آخر هذه الآيات. ولقد فنّد القاسمي هذه الشّبه وأجلى ما فيها ولولا خشية الإطالة لذكرتها ولكن نحيل عليها[2].

الأنموذج الثالث:

ما ورد في حق سيدنا داود على نبينا وعليه السلام مما ذكره البعض من المفسرين عقب قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢١-٢٣]

---

(١) بكلام نقله عن الشهاب في محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٣١.

(٢) ينظر محاسن التأويل جـ٩ من ص٣٦٣١ إلى ص ٣٦٣٦.

من أن نبي الله داود عليه السلام كان يتنـزه فوق سطح بيته فنظر إلى بيت جاره فوجد امرأة جميلة تستحم فأعجب بها، وأرسل إلى زوجها، وجعله في مقدمة جيش المقاتلين حتى قتل، وضم زوجة هذا الرجل إلى زوجاته.

نجد القاسمي -رحمه الله- لم يقف على هذه القصة موقف المؤيد، لأنها تخدش بعصمة الأنبياء عليهم السلام بل وقف منها موقف الناقد البصير، وأبطلها بالآتي:

(١) ما ذكره القرآن في هذه الآيات على حقيقته من أن المتخاصمين من ولد آدم عليه السلام كما هو ظاهر النص ومن قال غير ذلك فقد زاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله ﷻ.

(٢) هذه الرواية لم تأت بطريق صحيح عن النبي ﷺ وأما الموقوف على الصحب والأتباع فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة، وأن هذا من كذب اليهود على نبي الله داود على نبينا وعليه السلام.

(٣) في سند هذه القصة ابن لهيعة[1]، ويزيد الرقاشي[2]، وكلاهما ضعيف

---

(١) ابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرحان، قاضي الديار المصرية ومحدثها، ولد سنة ست وتسعين ولم يكن على سعة علمه بالمتقن، حدث عن خلق كثير، منهم ابن المبارك، وابن وهب وغيرهم. وهو ضعيف في الحديث ضعفه الدارقطني، والنسائي، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم. مات سنة أربع وسبعين ومائة. الضعفاء الصغير للبخاري ص٦٩، والتذكرة جـ١/ ٢٣٧، والتهذيب لابن حجر جـ٥/ ٣٧٣.

(٢) يزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان الرقاشي البصري أبو عمرو الزاهد العابد، كان كثير البكاء، ترك حديثه النسائي، والدارقطني، وابن معين، وغيرهم. ينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٦٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٤١٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ١٨٣، الضعفاء والمتروكين للنسائي مع كتاب الضعفاء الصغير للبخاري تحقيق محمود أبو زيد ص٢٥١ طبع ونشر دار المعرفة بيروت ط١ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

عند أئمة الحديث.

(٤) الرجل الصالح من المسلمين يصون نفسه عن أن يعشق زوجة جاره ويعرض زوجها للقتل من أجل الوصول إلى شهوته، فمثل هذه الأشياء لا يفعلها إلا السفهاء وليست من أفعال أهل الصلاح والتقوى فكيف برسول من رسل الله أوحى الله إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه.

(٥) قول من قال بأن استغفار نبي الله داود كان من أجل ذلك. مجانب للصواب لأن استغفار نبي الله داود وسجوده، ومغفرة الله له. كل هذه الأشياء أفعال كريمة ولا تنكر من مذنب ولا من غيره وأولى بها أنبياء الله تعالى[١].

(٦) إضافة إلى الأقوال السابقة نجد أن أستاذنا الدكتور عوض الله حجازي قد أبطل هذه القصة بما يفهم من سياق الآيات فقال: «إن وصف الله تعالى له بالعبودية يفيد التكريم، ووصفه تعالى له بأنه (أواب) أي رجاع إلى الحق، يفيد أنه صاحب خلق كريم، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:١٨]».

فإن الآية الكريمة تفيد أن داود عليه السلام والجبال التي سخرها الله له، كانا يسبحان الله تعالى وينزهانه عن النقائص في الصباح والمساء، ولا يعقل ممن يعرف ربه هذه المعرفة أن يقع في الشر والإثم، أو يزني[٢].

الأنموذج الرابع:

وبه يكون مسك الختام بذكر بعض ما ورد في حق نبينا عليه السلام، وموقف القاسمي من الآيات التي ظاهرها ينافي عصمته عليه السلام.

---

(١) محاسن التأويل جـ١٤ ص٥٠٨٨، ٥٠٩١، بتصرف.

(٢) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام تأليف د/ عوض الله حجازي ص١٤٢، طبع دار الطباعة المحمدية ط٣ سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

أ- قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧] فظاهر الآية يفهم منه أن التوبة لا تكون إلا عن ذنب وقع. والنبي ﷺ بتوبة الله عليه يدل على أنه قد ارتكب ذنبًا.

ولكن القاسمي -رحمه الله- بعد أن ذكر سبب نزول الآية قال «وصدَّرها الله بتوبته على رسوله، وكبار صحبه جبرًا لقلوبهم وتنويهًا لشأنهم بضمهم مع المقطوع بالرضا عنهم وبعثًا للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والأنصار كل على حسبه»(١) وهكذا سار القاسمي في جميع الآيات التي ظاهرها أنها تنافي عصمة النبي ﷺ وأوضح مبهمها وأزال مشكلها.

وقال عقب قوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] «وما اشتهر من كون العفو لا يكون إلا عن ذنب - غير صحيح - فالواجب تفسيره في كل مقام بما يناسبه»(٢).

ب- أنموذج آخر به أختم هذا البحث وهو إبطال القاسمي -رحمه الله- تعالى لقصة الغرانيق.

وآثرت أن أذكر هذه القصة وما قاله القاسمي فيها لأنني وجدت للقاسمي رأيًا يخالف رأي شيخه ابن تيمية على غير عادته المعروفة من اتباعه لابن تيمية.

فقد قال القاسمي -رحمه الله- عقب تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى

(١) محاسن التأويل جـ٨ ص٣٢٨٥.

(٢) محاسن التأويل جـ٨ ص٣١٦٣.

ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٣].

قال ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ أي رغب في انتشار دعوته، وسرعة علو شرعته، ثم قال في قوله تعالى ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ أي بما يصد عنها ويصرف المدعوين عن إجابتها[1]... ثم قال «وهذا هو الصواب في تفسيره الآية... وهي غنية عن التطويل في التأويل، لولا ما أحوج المحققين إلى رد ما دسه بعض الرواة من الأباطيل[2].

ثم ساق القاسمي ما ذكره ابن جرير[3] في سبب نزول هذه الآية من أن رسول الله ﷺ جلس في ناد من أندية قريش، كثير أهله، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه. فأنزل الله عليه ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١-٢]» فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ألقى عليه الشيطان كلمتين «تلك الغرانيق العلى.وإن شفاعتهن لترتجى» فتكلم بها، ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعًا معه، ورضوا بما تكلم به. فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة. فلما بلغ الكلمتين المذكورتين قال: ما جئتك بهاتين. فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى يعزيه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا

---

(١) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٣.

(٢) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٤.

(٣) ابن جرير: هو الإمام محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، ولد سنة ٢٢٤هـ وقال عنه الذهبي أكثر الترحال،وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً، قلَّ أن ترى العيون مثله، له كتاب التفسير وتهذيب الآثار وغيرهم توفي سنة ٣١٠هـ *ينظر سير جـ١٤ ص٤٦٧، وفيات الأعيان جـ٤ ص١٩١، معالم الثقافة الإسلامية ت د/ عبد الكريم عثمان ص٣٥٠-٣٥٥ نشر وتوزيع مؤسسة الأنوار الرياض ط٥ سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

مِن قَبْلِكَ﴾ الآية[١].

ثم ساق القاسمي كلام القاضي عياض في الشفاء بتوهين أصل هذه القصة من ناحية أصلها ومن ناحية معناها[٢] ثم عقب كلام القاضي عياض[٣] بكلام ابن تيمية. ومفاده إثبات صحة هذه القصة لأنها منقولة عن السلف نقلاً لا يمكن القدح فيه والقرآن يوافق ما نقلوه فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته، إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق عن الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها. وبعد أن انتهى القاسمي من سوق كلام ابن تيمية فند كلامه بما يدل على فقه القاسمي للآيات وأنه ليس متبعًا لشيخه في كل ما يقول بل الحق دائمًا ضالته أنى وجده فهو أحق به.

يقول القاسمي وفي كلامه - ابن تيمية - نظر من وجوه:

أولاً:

دعواه أن المأثور يوافق القرآن فإنه ذهاب إلى أن الإلقاء إلقاء في الآيات ولا تدل الآية عليه لا مطابقة ولا التزامًا بل القول بذلك ينافي التنزيل[٤] والوحي منافاة النار للماء.

---

(١) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٤.

(٢) الشفا جـ٢ ص٧٤٨-٧٦٨.

(٣) القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب، وله المؤلفات النفيسة منها الإكمال في شرح صحيح مسلم، ومشارق الأنوار وغيرهما كثير، توفي سنة ٥٤٤هـ بمدينة سبتة * ينظر سير أعلام النبلاء جـ٢٠، ص٢١٢، وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٨٣.

(٤) لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فالنبي ﷺ معصوم من الشيطان بالإجماع ولاسيما في مثل أمور الوحي والتبليغ، فإن كان مع عباد الله المخلصين ليس له سلطان فكيف بسيد المرسلين.

ثانيًا:

دعوه أن تلك الرواية نَقْلُها ثابت لا يمكن القدح فيه. فقد قدح فيها من لا يحصى من المتقدمين والمتأخرين، ويكفي أن تلميذه الحافظ بن كثير(١) قال: قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق. ولكنها من طرق مرسلة. ولم أرها مسندة من وجه صحيح. وتعداد طرقها بعد ضعف أصلها، لا يفيد. وهذه شبهة يعتمدها كثير من الواقفين مع الروايات. يظنون أن الضعيف بكثرة طرقه يقوى. والحال أن الضعيف ضعيف كيفما جاء...

ثالثًا:

اعترافه بأن السؤال وارد على تقدير ثبوتها، وإلقاء الشيطان ذلك في مسامعهم، مما يبرهن أن فيها مغامز تنبذها العقول كما نبذتها صحة النقول»(٢) ولم يكتف القاسمي بذلك بل ذكر نقولاً كثيرة تبطل هذه القصة بالقرآن والسنة والمعقول وتبين أنها من وضع الزنادقة فمن القرآن قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] وقوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٣] وكلمة «كاد» معناها أنه لم يحصل وقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٤]

---

(١) الحافظ ابن كثير: هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري الدمشقي، الشافعي الفقيه المفسر المؤرخ. ولد سنة ٧٩٠هـ قدم دمشق وسمع من علمائها، ولزم ابن تيمية وامتحن بسببه، قال الداودي: كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ. وله مؤلفات نفيسة مثل التفسير، والبداية والنهاية وغيرهما.. توفي في شعبان ٨٧٤هـ. التفسير والمفسرون جـ١ ص٢٤٢، وطبقات المفسرين للداودي ص٢٧.

(٢) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٩، ٤٣٩٠ بتصريف.

وكلمة «لولا» في الآية تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره. فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي استدل بها.

أما من السنة:

أ- فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنه سئل عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة. وصنف فيه كتابًا. وقال الإمام البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ورواة هذه القصة مطعون فيهم.

ب- روى البخاري في صحيحه[1] أن النبي عليه السلام قرأ سورة «والنجم» وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق. «وأما المعقول» فمن وجوه.

أ- أن من جوّز على رسول الله ﷺ الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفيها.

ب- أنّا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوّزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه[2] إلى غير ذلك من الوجوه العقلية الكثيرة، ولم يكتف القاسمي بذلك بل رد على ابن حجر دعواه في صحة هذه القصة، وذكر أقوالاً كثيرة تبطل أصل هذه القصة[3]،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم - ٤ باب فاسجدوا لله واعبدوه.

(٢) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٦٠، ٤٣٦١.

(٣) لزيادة بيان ذلك ينظر محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٦٢، ٤٣٧٣.

ولولا خشية الإطالة لذكرتها لأنها مفيدة في بابها ولكن نحيل عليها[١]..

وقبل أن أنهي البحث في هذه القصة أحب أن أوضح معنى الآية.

فالمراد من الآية أن الله -سبحانه وتعالى- ما أرسل رسولاً من الرسل ولا بعث نبيًا من الأنبياء إلى أمته إلا وتمنى ذلك الرسول الإيمان لأمته وأحبه لهم ورغبهم فيه، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] ثم تختلف الأمة فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، فأما الكافر فقد ألقى الشيطان في نفسه الوساوس القادمة في الرسالة الموجبة لكفره. والمؤمن لا يخلو أيضًا من الوساوس ولكن هذه الوساوس تختلف في الناس بالشدة والضعف. فمعنى تمنى: أي أن الرسول يتمنى الإيمان لأمته وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم، ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم، ويحكم فيهم الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة، ويبقى ذلك في قلوب الكافرين والمنافقين ليفتنوا به، فالوساوس تلقى في قلوب الفريقين معًا ولكنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين. وصفوة القول في ذلك: أن التفسير الصحيح لهذه الآية هو الذي يجمع بين أمور ثلاثة.

العموم الذي في أولها، والتعليل الذي في آخرها من قوله تعالى ﴿ لِّيَجۡعَلَ

---

(١) المرجع السابق جـ١٢ من ص٤٣٥٩ إلى ص ٤٣٧٣. *ولزيادة البيان لتفنيد هذه القصة. يراجع في ذلك نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق تأليف محمد ناصر الدين الألباني ط٣ المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٩هـ سنة ١٩٨٩م *محمد رسول الله ﷺ تأليف د/ محمد الصادق عرجون ط٢ دار القلم بيروت سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م جـ٢ ص٣٠-١٥٢ فقد ساق الشيخ -رحمه الله- جميع روايات هذه الأكذوبة وفندها وكشف زيفها ورد على كل من تفوه بها أمثال ابن تيمية وابن حجر وغيرهم الكثير. وكان في رده ملتزمًا بأسلوب البحث العلمي.

﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ [الحج: ٥٣] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الحج: ٥٤] مع كونه يعطي للرسالة حقها[١]..

ثانيًا: آراء أشهر الفرق في عصمة الأنبياء:

بعد أن تعرضت لرأي القاسمي في عصمة الأنبياء وبيّنت أنه أثبت العصمة للأنبياء جميعًا على جهة الإجمال، وعلى جهة التفصيل بذكر بعض النماذج التي وضحت رأيه، أذكر بعد ذلك آراء أشهر الفرق لنرى إلى أي الفرق ينتمي القاسمي:

١- المعتزلة:

ذهبت إلى القول بوجوب عصمة الأنبياء وعدم جواز وقوع الكبائر منهم لا قبل البعثة ولا بعدها. وعللوا ذلك بأن الله -سبحانه وتعالى- لابد وأن يجنب رسوله ما ينفر عن القبول منه لأنه لو لم يجنبه عما هذا حاله لم يقع القبول منه والعصمة عندهم ثابتة عقلا[٢].. وهذا القول منهم خلافًا لأبي علي فإن كلامه يقتضي أنه يجوز على الأنبياء الكبيرة قبل البعثة، وإن كان لا يجوز بعدها[٣].

٢- جمهور الأشاعرة:

أجمع الأشاعرة على وجوب العصمة للأنبياء سمعًا بعد النبوة عن الذنوب كلها وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة وتأولوا كل ما حكي في القرآن من ذنوبهم[٤].

---

(١) حديث الغرانيق د/ يوسف الدجوي. مقال نشر بمجلة نور الإسلام جـ٨ المجلد ٤ ص٥٢٦-٥٣٠ عدد شعبان بتصرف سنة ١٣٥٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣.

(٣) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٣، شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣.

(٤) أصول الدين لأبي منصور البغدادي ص١٦٧، ١٦٨ نشر مكتبة الهلال بيروت ط٢ سنة ١٤٠٠، ١٩٨٠.

وهذا القول منهم خلافًا لإمام الحرمين الذي ذهب إلى تجويز وقوع الصغائر منهم عمدًا[١]..

٣- الأزارقة[٢] من الخوارج:

ذهبوا إلى جواز وقوع الكفر من الأنبياء بناءً على قولهم بأن كل ذنب كفر[٣]..

٤- الكرامية:

أجازوا وقوع الذنوب من الأنبياء من غير تفصيل وتمسكوا بأباطيل لا أصل لها[٤]. وقد ذكر صاحب المقاصد هذه الآراء واستدل لما ذهب إليه بأدلة قوية وناقش مخالفيه فيما ذهبوا إليه[٥].

تعقيب

ظهر لي من خلال هذا المبحث ما يأتي:

١- إثبات القاسمي لعصمة الأنبياء عليهم السلام إجمالاً وتفصيلاً.

٢- تفنيد القاسمي لجميع الشبه الواردة حول العصمة وخاصة ما ورد في قصة الغرانيق هذه القصة المزورة على نبينا ﷺ والتي أريد منها هدم أصل

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٣.

(٢) الأزراقة هي أحدى فرق الخوارج وتنسب إلى نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، من أهل البصرة صحب في أول أمره عبد الله بن عباس ولكنه خرج على علي أثناء التحكيم. قاتله المهلب بن أبي صفرة وقتل يوم دولاب عام ٦٥هـ *ينظر في ذلك الفصل لابن حزم جـ٤ هامش ص١٢٩ والفرق بين الفرق ص٨٥، ٨٦ والملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص١١١-١١٦.

(٣) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٣.

(٤) شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣، أصول الدين للبغدادي ص١٦٨.

(٥) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٢، ١٤٣.

الإسلام بالطعن في القرآن الكريم، والعبث بالسنة المطهرة بجعل النبي ﷺ ألعوبة في يد الشيطان وفي هذا دليل واضح على عدم تقليد القاسمي لشيخه ابن تيمية في كل أقواله، وفهمه الدقيق لمعاني كتاب الله ﷻ.

٣- موافقة القاسمي لرأي الأشاعرة فيما ذهبوا إليه من القول بوجوب العصمة هو ما أميل إليه وأرجحه إذ هو الحق الذي لا يجب العدول عنه.

الفصل الثالث

السمعيات عند القاسمي

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

الأول: الملائكة.

الثاني: الوزن والميزان.

الثالث: الرؤية.

المبحث الأول

ويشتمل على:

١- تمهيد في تعريف الملائكة.

٢- رأي القاسمي في الملائكة.

٣- آراء أشهر الفرق فيها.

٤- تعقيب.

تمهيد

الملائكة:

لغة يقول ابن منظور:

المَلَك: واحد الملائكة وإنما هو تخفيف الملأك واجتمعوا على حذف همزة وهو مفعل من الأولة، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك... ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك. والملك يطلق على المفرد وعلى الجمع.

فهي تدور على معنى الرسالة[١]. لأن الملك يبلغ عن الله تعالى:

وعرفها علماء الكلام بأنها أجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكيل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة شأنها الطاعة دائمًا لا يصفون بذكورة ولا أنوثة[٢].

وقالت النصارى: «إنها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها الصافية الخيرة، والخبيثة عندهم شياطين».

وقال عبدة الأوثان: «إنها هذه الكواكب، السعيد منها ملائكة الرحمة، والخبيثة ملائكة العذاب».

والفلاسفة يقولون: «إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة،

---

(١) لسان العرب المجلد السادس ص٤٢٦٩، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي تحقيق عبد العليم الطحاوي ط١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ٤ ص٥٢٤، القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ عبد الفتاح إبراهيم جـ٢ ص٢٣٥.

(٢) ينظر في ذلك شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٦، وتحفة المريد ص١٥٥، وفتح الباري جـ٦ ص٣٥٣.

وصرح بعضهم بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التي تحرك الأفلاك»[١].

وقد أبطل ابن حجر -رحمه الله- هذه الأقوال الأخير لعدم ورود شيء من الأدلة السمعية بشأنها ومال إلى ما ذهب إليه المتكلمون. وبمثل ما قاله ابن حجر[٢] قال صاحب كتاب القول السديد[٣].

٢- رأي القاسمي في الملائكة

١- يرى القاسمي أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الإسلامية لا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بها وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]... ولكن البر من آمن بالله. أي: إيمان من آمن بالله – الذي دعت إليه آية الوحدانية. فأثبت له صفات الكمال، ونزهه عن سمات النقصان. «واليوم الآخر» الذي كذب به المشركون فاختل نظامهم ببغي بعضهم على بعض «والملائكة» أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين رسله بإلقاء الوحي وإنزال الكتب ففيه – أي الإيمان بهم وبما قبلهم – قهر النفس للإذعان لمن هو من

---

(١) ينظر في ذلك روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي جـ١ ص٢١٨، ٢١٩ نشر دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨، سنة ١٩٩٨م. * وقد ذكر هذه الأقوال صاحب القول السديد جـ٣، ص١٤٤.

(٢) فتح الباري جـ٦ ص٣٥٣.

(٣) القول السديد جـ٣ ص١٤٥.

جنسها - والإيمان بغيب من ليس من جنسها، ليكون في ذلك ما ينـزع[(١)] النفس عن هواها[(٢)] وقرر أيضًا وجوب الإيمان بهم في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥][(٣)].

٢- ويرى القاسمي أن الكفر بالملائكة خروج عن الهدى وبُعدٌ عن الطريق المستقيم، ودعوة إلى الإيمان بالشياطين، وكل ذلك ضلال مبين وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] ومن يكفر بالله وملائكته.. أي خرج عن الهدى وبعد عن القصد كل البعد، أما الكفر بالله فظاهر، وأما بالملائكة فلأنهم المقربون إليه، وأما بالكتب فلأنها الهادية إليه. وأما بالرسل فلأنهم الداعون إليه وأما باليوم الآخر فلأن فيه نفع إقامته وضرر تركه. فإذا أنكر لزم إنكار النفع الحقيقي والضرر الحقيقي. فهو الضلال البعيد، ثم الكفر بالملائكة كفر بمظاهر باطنة وبالكتب كفر بمظاهر صفة كلامه. وبالرسل كفر بأتم مظاهره وباليوم الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله. ثم الكفر بالملائكة يدعوا إلى الإيمان بالشياطين وكل ذلك ضلال بعيد[(٤)].

---

(١) في الأصل (يزع) ولعلها ينـزع.

(٢) محاسن التأويل جـ٣ ص٣٨٧-٣٨٨.

(٣) محاسن التأويل جـ٣ ص٧٢٨، ٧٢٩.

(٤) محاسن التأويل جـ٥ ص١٦٠٧

٣- أما عن صفات الملائكة فيرى القاسمي بأن مادة خلقهم من النور[١]. واستدل على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[٢] هذا ولم يتعرض القاسمي لبيان حقيقة النور لأنه غيب عنا بخلاف د/ البهي، إذ يرى بأن الملائكة مخلوقون من نار صافية مشعة وهم من الجن[٣]، وقوله هذا مناقض للحديث السابق القائل بالتفريق.

٤- ويرى القاسمي أنهم لا يوصفون بالذكورة، والأنوثة، وأن من يصفهم بالأنوثة فهو كافر واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ** ﴾ [النجم: ٢٧][٤] ويرى كذلك بأن مسكنهم في السماء[٥].

٥- ويرى القاسمي أنهم لا يأكلون ولا يشربون واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ** ﴾ [هود: ٧٠] فتفسيره «أوجس» أي أحس «منهم خيفة» لظنه أنهم بشر أرادوا به مكروهًا. والضيف إذا همَّ بفتك لا يأكل من الطعام، في عاداتهم «قالوا» أي لما علموا منه الخوف بإخباره لهم، كما في قوله تعالى ﴿ **قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ** ﴾ [الحجر: ٥٢-٥٣] كما قيل هنا «لا تخف» أي إنا لا نأكل لأنا ملائكة[٦].

---

(١) محاسن التأويل جـ٢ ص١٠٣، ١٠٤، جـ٧ ص٢٦٢٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة جـ١٨ ص١٢٣.

(٣) ينظر في ذلك تفسير سورة الجن د/ محمد البهي ص٨-١١ نشر دار الفكر ط٢ سنة ١٣٩٤، ١٩٧٤.

(٤) محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٧٨، جـ١٤ ص٥٢٦٢.

(٥) محاسن التأويل جـ٤ ص٩٦٣، جـ١٠ ص٤٠٠٠، جـ١٤ ص٥١٩٣.

(٦) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٤٦٥.

٦- ويرى القاسمي بأنهم ينزهون الله تعالى دائمًا ولا يملّون من عبادته وهم مقربون إلى الله لأن هذه العبادة هي قرة أعينهم واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨] فعند تفسيره لهذه الآية يقول ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ أي عن عبادته كبرًا وعتوًا ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون أي لا يملون عن عبادته لأنها قرة أعينهم وحياة أنفسهم(١).

٧- ويرى القاسمي بأن الملائكة متفاوتون في الخلق والمقدار واستدل على تفاوتهم في الخلق بقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١] فعند تفسيره يقول «... أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد، حسب تفاوت ما لهم من المراتب، ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة أسرى به، وله ستمائة جناح»(٢)، ولهذا قال سبحانه ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء مما تقتضيه حكمته(٣). واستدل على تفاوتهم في المقدار بحديث رواه البخاري عن معاذ بن رفاعة، عن رافع الزرقي، عن أبيه، وكان ممن شهد بدرًا قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمون - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة(٤).

---

(١) محاسن التأويل جـ٤ ص٥٢١٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب؛ بدء الخلق باب «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء» جـ٦ ص٣٦١.

(٣) محاسن التأويل جـ١٤ ص٤٩٧٢.

(٤) فتح الباري كتاب المغازي باب ١١ شهود الملائكة بدر جـ٧ ص٣٦٢، ص٣٦٣.

فاستدل القاسمي بهذا الحديث بأن أفضل الملائكة من شهد معركة بدر(١).

٨- ويرى القاسمي أن الملائكة مأمورة بالطاعة دائمًا وعدم عصيان الله في أمر أبدًا وهم خائفون منه تعالى في أثناء تسبيحهم واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨](٢).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦](٣).

وقوله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣](٤) وهو بذلك موافق لقول الجمهور القائل بعصمة الملائكة(٥).

٩- ويرى القاسمي بأن للملائكة قدرات خارقة عجيبة واستدل على ذلك بما حدث لقوم لوط عليه السلام من قلب الملائكة لمدينتهم بكل ما فيها وإمطار الحجارة عليهم(٦). واستدل أيضًا بأن منهم من يحمل العرش - على

---

(١) محاسن التأويل جـ٨ ص٢٩٥٧.

(٢) ينظر تفسير هذه الآيات في محاسن التأويل جـ١١ ص٤٢٦٤، ٤٢٦٥ «إذ يقول في أثناء تفسيره بعد ذكر الآية السابقة فلا يقولون شيئًا حتى يقول الله تعالى، أو يأمرهم به كما هو شأن العبيد المؤدبين، ولا يعصونه في أمر إشارة إلى مراعاتهم في أدب العبودية في الأفعال أيضًا، كالأقوال».

(٣) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل جـ١٦ ص٥٨٦٧.

(٤) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل جـ٩ ص٣٦٦٠.

(٥) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٦، ١٤٧.

(٦) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٤٧٤.

عظمته - وفي ذلك دليل على قدرتهم الخارقة[(١)].

١٠- ويرى القاسمي بأن الملائكة مخلوقون قبل البشر والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠][(٢)].

١١- ويرى القاسمي بأن الملائكة يجوز في حقهم أن يتشبهوا بالآدمي ولا يخرجهم هذا التشبيه عن كونهم ملائكة واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩][(٣)] وقوله تعالى في قصة نزول جبريل عليه السلام على مريم ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧][(٤)].

١٢- ويرى القاسمي بأن الله تعالى خلق الملائكة على هيئة حسنة جميلة قوية واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ [النجم: ٥-٦][(٥)].

١٣- ويرى القاسمي بأن الملائكة أصناف فمنهم من ينزل بالوحي من عند الله إلى رسله الكرام وهو جبريل عليه السلام واستدل على ذلك بقول تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

---

(١) محاسن التأويل جـ١٦ ص٥٩١٤، ٥٩١٥.

(٢) ينظر محاسن التأويل جـ٢ ص٩٤، ٩٥.

(٣) ينظر محاسن التأويل جـ٨ ص٢٩٥٧.

(٤) ينظر محاسن التأويل جـ١١ ص٤١٣١.

(٥) ينظر محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٥٥، ٥٥٥٦.

ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥][١].

ومنهم ملك الموت الموكل بقبض أرواح العباد وللملك أعوانًا من الملائكة واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١][٢]. وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣][٣] ومنهم من ينفخ في الصور بأمر الله تعالى وهو سيدنا إسرافيل عليه السلام والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨][٤].

ومنهم من يحمل عرش الرحمن وحولهم ملائكة يستغفرون للمؤمنين. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧][٥].

ومنهم الحافين بعرش الرحمن واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ

---

(١) ينظر تفسير هذه الآيات محاسن التأويل جـ١٣ ص٤٦٤٥.

(٢) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج١٣ ص٤٨١٢، ٤٨١٣.

(٣) ينظر تفسيرها في محاسن التأويل ج٦ ص٢٤١٦، ٢٤١٧.

(٤) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥١٥٠

(٥) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥١٥٧

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] (١).

ومنهم ملائكة الجنة الذين يدخلون على أهلها ويلقون عليهم السلام واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] (٢).

ومنهم ملائكة النار المكلفون بتعذيب أهلها واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٧-٣١] (٣).

ومنهم من يسجلون على بني آدم أعمالهم واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] (٤).

ومنهم من يسوق بني آدم للحساب والعرض على رب الأرباب واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] (٥).

ومنهم من يثبت المؤمنين في الحرب وينصرونهم على أعدائهم واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ

---

(١) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥١٥٣.

(٢) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٦٧٤.

(٣) ينظر محاسن التأويل جـ١٦ ص٥٩٧٩، ٥٩٨٠.

(٤) ينظر محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٠٠.

(٥) ينظر محاسن التأويل جـ١٥ ص٥٥٠١.

سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢][1].

ومنهم من يشهد صلاة الفجر مع المؤمنين واستدل على ذلك بقوله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨][2].

ومنهم من يختص ببشارة المؤمنين الموحدين، ومنهم من يختص بتأنيب العاصين المذنبين واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠][3] وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠][4] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة بصفاتهم والمتحدثة عن أعمالهم[5].

٣- رأي القاسمي في المفاضلة بين الملائكة والبشر:

يرى القاسمي -رحمه الله- أن صالحي البشر أفضل من الملائكة واستدل على ذلك بآيات من الكتاب العزيز منها.

أ- قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) ينظر محاسن التأويل جـ٨ ص٢٩٦١.

(٢) ينظر محاسن التأويل جـ١٠ ص٣٩٥٩.

(٣) ينظر محاسن التأويل جـ١٤ ص٥٢٠٢.

(٤) محاسن التأويل جـ٨ ص٣٠١٥.

(٥) لزيادة معرفة صفاتهم كما تحدث عنها القرآن ينظر في ذلك عالم الجن والملائكة ت عبد الرازق نوفل ص١٢٦-١٤٦ ط مؤسسة دار الشعب.

ووجه الدلالة في الآية كما يرى القاسمي «أن الغرض من إخبار الملائكة بجعل آدم خليفة في الأرض هو تعظيم شأن المجعول، وإظهار فضله، بأن بشر بوجود سكان ملكوته، ونوه بذكره في الملأ الأعلى قبل إيجاده، ولقبه بالخليفة»(١) والخليفة يفضل على من ليس بخليفة ولولا أن الخلافة درجة عالية وأعلى من درجة الملائكة لما طلبوها لأنفسهم وغبطوا صاحبها(٢).

ب- قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] ووجه الدلالة في الآية كما يرى القاسمي أن الله -سبحانه وتعالى- بيَّن لهم في هذه الآية شرف آدم وفضله على الملائكة بما حباه الله من علم لم يعلموه وأمره أن يعلمهم إياه والعالم أفضل من المتعلم(٣).

ج- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] وجه الدلالة في الآية كما يراه القاسمي: أن الله -سبحانه وتعالى- أمر الملائكة بالسجود لآدم وما ذلك إلا لفضله وشرفه عليهم، ولم يثبت أن آدم عليه السلام سجد للملائكة بل إنه لم يؤمر بالسجود إلا لرب العالمين(٤).

د- قوله تعالى ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] وجه الدلالة في الآية كما يراه القاسمي من وجوه إن الله خلق آدم بيده، هذا باعتبار الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿ مَا

(١) محاسن التأويل للقاسمي جـ٢ ص٩٥.

(٢) عالم الملائكة الأبرار في ضوء القرآن والسنة ت د/ عمر سليمان الأشقر ص٧٦ نشر دار الكتب الإسلامي ط الطوبجي التجارية بتصرف.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي جـ٢ ص٩٩ بتصرف.

(٤) محاسن التأويل جـ٢ ص١٠١، ١٠٢ بتصرف.

مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] وباعتبار الغاية وهو ملاك الأمر، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له لما بيَّن لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض، وأن له خواص ليست لغيره، وبالجملة فالشيء كما يشرف بمادته، يشرف بفاعله وغايته وصورته، والثلاثة في آدم عليه السلام..[1].

هـ- قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] قال القاسمي عند تفسيره لهذه الآية يستدل بها على تفضيل الأنبياء على الملائكة لدخولهم في العالمين[2].

٤- آراء أشهر الفرق في المفاضلة بين الملائكة والبشر:

بعد أن عرضت لرؤية القاسمي للملائكة ورأيه في تفضيل صالحي البشر على الملائكة واستدلاله بالآيات القرآنية. نتعرض لآراء أشهر الفرق في هذه المسألة لنرى إلى أي مذهب من المذاهب ينتمي القاسمي.

١- ذهب المحدثون والأشاعرة والشيعة:

إلى القول بتفضيل الأنبياء على الملائكة، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، نكتفي منها بدليل واحد، لأن باقي الأدلة هي نفس ما استدل به القاسمي على مذهبه. وهذا الدليل هو: أن طاعة البشر أشق من طاعة الملك لأنها لا تتحقق له إلا بعد المجاهدة والتغلب على الشيطان، وعلى جميع الصوارف الدنيوية، بخلاف طاعة الملك، فهو مجبول عليها، ولاشك في أن العبادة مع المجاهدة أفضل فيكون صاحبها أكثر ثوابًا[3].

---

(١) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٦٢١، ٢٦٢٢ بتصرف.

(٢) محاسن التأويل جـ٤ ص٨٣٠.

(٣) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٤٨ بتصرف، والقول السديد جـ٣ صـ١٤٩، ولوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ٣٩٨ بتصرف.

٢- ذهب الحكماء والمعتزلة والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو عبد الله الحليمي من أهل السنة

إلى القول بتفضيل الملائكة العلوية على الأنبياء إلا محمد ﷺ أما الملائكة السفلية الذين يسكنون الأرض فالأنبياء أفضل منهم(١) واستدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة نقلية، وأدلة عقلية، منها:

١- كثرة الآيات القرآنية الدالة على وصفهم بالقرب والشرف والتواضع والخضوع لله تعالى وفي كل ذلك إشارة إلى أن غيرهم ليس كذلك(٢).

٢- قوله تعالى ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢] وجه الدلالة من الآية إن مثل هذا السياق يقتضي تفضيل الملائكة المقربين على عيسى، لأن البلاغة تقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

٣- اطّراد تقديم الملائكة على الأنبياء في الذكر إذا اجتمعا، فإنه يدل على أن المتقدم أفضل من المتأخر.

٤- أن أرواح الملائكة مبرأة عن الرذائل، ومطلعة على أسرار الغيب، وقادرة على الأفعال العجيبة، ومن كان هذا حاله فهو أفضل ممن لم يكن معه هذه الأوصاف، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي استدل بها أصحاب هذا المذهب وكلها مردود عليها(٣).

---

(١) المرجعان السابقان نفس الصفحة، والمختار من شرح البيجوري على الجوهرة صـ١٥٥.

(٢) بتصرف من شرح المقاصد جـ٢ صـ١٤٨.

(٣) ينظر في ذلك القول السديد جـ٣ صـ١٥٠، ١٥١، وشرح المقاصد جـ٢ صـ١٤٩، ومحاسن التأويل جـ٢ صـ١٧٦٩، ١٧٧٤، ولوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ٤٠٦، ٤٠٩.

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض هذا المبحث ما يلي:

١- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل الحديث والشيعة في مسألة المفاضلة، واستدلاله جميع أدلتهم.

٢- القول بالتفضيل ليس على وجه التنقيص أو الحمية والعصبية للجنس كما يرى صاحب شرح الطحاوية(١).

٣- القول بأن المفاضلة بين الأنبياء والملائكة من بدع علم الكلام ولم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة - كما ذكره تاج الدين الفزاري(٢)- قول مردود عليه لأن بعض صحابة رسول الله ﷺ تكلموا في شيء من ذلك والدليل على ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه وصححه هو والذهبي «أن عبد الله بن سلام قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ فقيل له: ولا جبريل ولا ميكائيل؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ(٣)» هذا وقد أورد بن كثير نصًا عن عمر بن عبد العزيز ونصًا آخر عن عبد الله بن عمر وكلاهما يفيد تفضيل صالح بني آدم على الملائكة(٤).

٤- أرى بأن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه المسألة أولى بالصواب نظرًا لجمعه بين الأدلة وهو «أن صالحي البشر أفضل

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ صـ٤١٢.

(٢) هو الإمام العلامة العالم شيخ الشافعين في زمانه عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري تاج الدين المعروف بالفركاح، المصري الأصل، الدمشقي الإقامة والشهرة والوفاة توفي سنة ٦٩٠. ينظر شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ صـ٤١٣.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ت د/ عمر سليمان الأشقر صـ٧٤ نشر دار الكتاب الإسلامي.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير جـ١ صـ٦٤، ٦٥.

باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلا، وحيَّاهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم. والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر» قال ابن القيم بعد عرض قول ابن تيمية «وبهذا التفضيل تبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه»[(١)].

٥- معرفة الإنسان بوجود الملائكة وإحصائهم لكل ما يفعل من أعظم الأسباب التي تحفزه على عمل الطاعات وتبعده عن المعاصي.

---

(١) لوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ٣٩٩.

المبحث الثاني

الوزن والميزان

ويشتمل على:

١- تعريف الميزان

٢- رؤية القاسمي للميزان

٣- أراء أشهر الفرق في الميزان

٤- أعمال الكفار ووزنها

٥- الحكمة من الوزن

٦- تعقيب.

الميزان

الميزان من الأمور التي وردت إلينا عن طريق السماع من الرسول ﷺ وهو يمثل مرحلة أو موقفًا من مواقف الآخرة، وذلك بعد إعادة الأجسام، وأخذ كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله، وقبل الخوض في الحديث عنه نتعرض لتعريفه من ناحية اللغة.

الميزان في اللغة:

من وزن الشيء يَزِنُهُ وزْنًا وزِنَةً: قدَّره بما يعادله في الثقل، والميزان: الآلة التي توزن بها الأشياء، ويطلق مجازًا على العدل وعلى الشريعة، قال تعالى ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] فالميزان في الآية هو الميزان الحقيقي المعروف، وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧] أي العدل أو الشريعة(١) والموازين جمع ميزان وأصله موازن فقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها(٢).

رؤية القاسمي للميزان:

يرى القاسمي بأن الميزان يطلق ويراد به حقيقته المعروفة من كونه ميزانًا له لسان وكفتان، وقد وضَّح ذلك عقب تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] إذ يقول «أي نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال»(٣) والقاسمي بتفسيره

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ صـ١٠٧١، ١٠٧٢ ط مجمع اللغة العربية ط٣ سنة ١٤٠٥ سنة ١٩٨٥م، القاموس القويم للقرآن الكريم ت الأستاذ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح جـ٢ صـ٣٣٤، ٣٣٥ ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٤، لسان العرب لابن منظور، جـ٦ صـ٤٨٢٨، ٤٨٢٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر جـ١٣ صـ٥٤٧.

(٣) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤٢٧٧.

هنا يوافق رأي كثير من المفسرين في حقيقة الميزان من أنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان، وساقان، يقول صاحب المقاصد في ذلك: «وذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان عملاً بالحقيقة لإمكانها»[(١)] وهذا هو ما أجمع عليه أهل السنة[(٢)].

ويرى القاسمي بأن الإيمان والتصديق بالميزان واجب لثبوته بالكتاب والسنة[(٣)].

أدلة القاسمي على الميزان:

استدل القاسمي -رحمه الله- على ثبوت الوزن والميزان بما ورد في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ فقال: وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقد سبق قوله عند تفسيره لهذه الآية.

٢- قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها، يوم يسأل الله الأمم ورسلهم، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي حسناته في الميزان»[(٤)] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي أوردها في ذكر الميزان.

ب- من السنة استدل القاسمي -رحمه الله- بأحاديث كثيرة تفيد ثبوت الميزان فذكر منها ما يلي:

أ- ما رواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: «أنا فاعل» يعني إن شاء الله - قلت يا رسول الله فأين

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٦٤.
(٢) فتح الباري لابن حجر جـ١٣ صـ٥٤٨.
(٣) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٢ بتصرف.
(٤) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٢.

أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط» قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان» قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن»(١).

ب- ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه، وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدَّ البصر، فيقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقة فيها (اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»(٢).

جـ- ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زرّ بن حبيش عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك. وكان دقيق الساقين. فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه. فقال رسول الله ﷺ «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد»(٣) إلى غير ذلك

---

(١) صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين رقم الحديث ١٩٨١ نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ط٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده طبعة الحلبي جـ٢ صـ٢١٣ رقم ٦٩٩٤ عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الترمذي في ٣٨ - كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ط الحلبي، وأخرجه ابن ماجه في: ٣٧ - كتاب الزهد، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة حديث رقم ٤٣٠٠ ط الحلبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ١ صـ٤٢٠ رقم ٣٩٩١ ط الحلبي.

من الأحاديث التي ذكرها القاسمي عند تفسيره لآيات الميزان.

رأي القاسمي في الموزون:

عندما تعرض القاسمي -رحمه الله- لتفسير قوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩] نجده يذكر ثلاثة أراء في حقيقة الموزون.

الأول:

الموزون هو الأعمال وإن كانت أعراضًا فإن الله يقلبها يوم القيامة أجسامًا ونسب القاسمي هذا القول إلى ابن عباس ﷺ واستدل على ذلك بالآتي:

أ- ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين - البقرة وسورة آل عمران. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان**[(١)] **أو كأنهما فرقان من طير صَوَافَّ تحاجَّانِ عن أصحابهما. اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»[(٢)].

ب- ما رواه ابن ماجة عن بُرِيْدة قال: قال رسول الله ﷺ «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك**»[(٣)] إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها لهذا الرأي ثم عقب القاسمي بعد ذكر هذه الأدلة بكلام منقول عن أبي السعود من تفسيره ونسي أن ينسبه إليه[(٤)].

---

(١) قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما والفِرْقَان أي قطيعان وجماعتان.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ط المطبعة المصرية ومكتبتها جـ٦ صـ٨٩، ٩٠.

(٣) أخرجه ابن ماجة في ٣٣ كتاب الأدب، ٥٢ باب ثواب القرآن حديث رقم ٣٧٨١ الحلبي.

(٤) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٣، ١٦١٤ يقارن ما قاله في هذه الصفحة بما قاله أبو

الثاني:

قيل بأن الموزون هو صحائف الأعمال، واستدل على ذلك بحديث البطاقة السابق ذكره[١].

الثالث:

قيل بأن الموزون صاحب العمل، واستدل على ذلك بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**» وقال: اقرءوا: **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا**[٢]. واستدل كذلك بالحديث السابق الوارد في مناقب سيدنا عبد الله ابن مسعود ﷺ.

وبعد أن ذكر القاسمي -رحمه الله- هذه الآراء الثلاثة بأدلتها نجده يميل إلى الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا. فتارة توزن الأعمال، وتارة يوزن محلها، وتارة يوزن فاعلها[٣].

=

السعود جـ٣ صـ٢١٢، ٢١٣.

(١) هذا القول نسبه البيجوري في شرحه على الجوهرة إلى جمهور المفسرين صـ٢١٥.

(٢) فتح الباري كتاب التفسير باب أولئك الذين كفروا بربهم ولقائه جـ٨ صـ٢٧٩.

(٣) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٦ بتصرف.

آراء أشهر الفرق في الميزان

١- ذهب جمهور العلماء:

إلى أن الميزان حق وصدق ما دام قد ورد ذكره في الكتاب الكريم وأخبر به الصادق المصدوق، ويجب الإيمان به وحجتهم في ذلك أنه لا يترتب على فرض وقوعه محال. وفي ذلك يقول صاحب المقاصد في أول المبحث السابع في السميعات «سائر ما ورد في الكتاب والسنة من المحاسبة وأهوالها والصراط والميزان والحوض وتفاصيل أهوال الجنة والنار أمور ممكنة أخبر بها الصادق فوجب التصديق»(١) واستدل على الميزان بقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢- المعتزلة:

عندما تعرض صاحب المقاصد لبيان رأي المعتزلة في الميزان قال: «وأنكره بعض المعتزلة ذهابًا إلى أن الأعمال أعراض ولا يمكن وزنها فكيف إذا زالت وتلاشت، بل المراد العدل الثابت في كل شيء»(٢) وبالغ صاحب المواقف فقال «وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن أخرهم»(٣) وبالرجوع إلى كتب المعتزلة نجد أن القاضي عبد الجبار قد أثبت الوزن والميزان على معناه الحقيقي المعروف لدينا، واستدل على ذلك بوروده في الكتاب والسنة، بل إنه أنكر على من يقول بأن معناه العدل وفي ذلك يقول: «... أما وضع الموازين، فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]... إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه،

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٦٣.

(٢) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٦٤، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي صـ٢٣٥.

(٣) شرح المواقف للجرجاني، ط دار الطباعة العامرة بدون جـ٢ صـ٤٥٣.

المتعارف عليه فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز» ثم بيّن العلة في ذلك فقال: «لو كان المراد به العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا»(١) وبمثل هذا القول ذهب الزمخشري في كشافه إلى أن المراد بوضع الموازين هي الموازين الحقيقية التي توزن بها الأعمال(٢).

٣- الجهمية والضرارية والوزنية:

ذهبت هذه الفرق إلى إنكار الحوض والصراط والميزان وسؤال الملكين في القبر وزعموا ألا حساب ولا ميزان(٣).

هذا وقد ضعَّف القاسمي -رحمه الله- قول من يقول بأن المراد من الميزان هو العدل وردّ عليه فقال: «إن المشهور من مذهب أهل السنة أنه حقيقة بمعناه المعروف، وجمهور الصدر الأول اتفقوا على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل... والأصل في الإطلاق الحقيقة، ولا يعدل عنها إلى المجاز إذا تعذرت ولا تعذر ههنا»(٤).

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم تحقيق د/ عبد الكريم عثمان صـ٧٣٥ نشر مكتبة وهبة القاهرة ط٣ سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) الكشاف -الزمخشري جـ٢ صـ٥٧٤. بتصرف.

(٣) أصول الدين للبغدادي صـ٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي جـ٧ صـ٢٦١٧.

آراء أشهر الفرق في حقيقة الموزون

١- ذهب جمهور المفسرين وأهل السنة:

إلى أن الموزون هو الصحيفة التي كتبت فيها أعمال العباد من خير وشر واستدلوا على ذلك بحديث البطاقة السابق ذكره[(١)].

٢- ذهب الكرامية إلى أن الأعمال:

توزن أجسامًا ويخلقها الله ﷻ بعدد الأعمال[(٢)] وبيَّن ذلك البيجوري في شرحه للجوهرة فقال: «وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمني المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف وهذا في المؤمن، وأما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه وتعالى»[(٣)] وقد نسب القاسمي هذا الرأي إلى ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)] وبه قال الغزالي إذ يقول: «وإذا قيل لك إن الأعمال توزن، علمت أن الأعمال عرض لا يوزن فلابد من تأويل»[(٥)].

---

(١) شرح الخريدة البهية تأليف أبي البركات الشيخ أحمد الدرديري العدوي مع حاشية على الشرح للعلامة أبي السعود الشيخ محمد بن صالح السباعي، تحقيق ومراجعة السيد علي ابن السيد عبد الرحمن آل هاشم صـ ٣٣٧ ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤١٤هـ، تحفة المريد صـ٢١٥.

(٢) أصول الدين للبغدادي صـ٢٤٦.

(٣) تحفة المريد للبيجوري صـ٢١٥

(٤) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٦١٣ وينظر في ذلك القول السديد جـ٣ صـ١٧٤.

(٥) قانون التأويل تصنيف أبي حامد الغزالي تحقيق محمد زاهد الكوثري صـ٤٩ هدية مجانية مع مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٦هـ.

٣- قيل بأن الموزون هو الشخص نفسه واستدل القائلون بذلك بحديث ابن مسعود السابق ذكره[١].

هل توزن أعمال الكفار؟

الظاهر هو حبوط أعمال الكفرة وضياعها عليهم لقوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣] ولقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً** ﴾ [النور: ٣٩] والله -سبحانه وتعالى- لا يظلم الناس شيئًا - المؤمن منهم والكافر - يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا** ﴾ [النساء: ٤٠] وحسنات الكفار يطعمون بها في الدنيا لقول الرسول ﷺ «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**»[٢].

والميزان كما هو معلوم مداره الأعمال الصالحة، والكافر إذا كان له عمل طيب فقد كوفئ عليه في الدنيا كما ثبت في الحديث الصحيح السابق فليس له حينئذ في الآخرة شيء وفي ذلك يقول القاسمي عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا** ﴾ [الكهف: ١٠٥] أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارًا واعتبارًا، لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة[٣] وقد قال العلماء في معنى هذه الآية: «أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار»[٤].

---

(١) تحفة المريد للبيجوري صـ٢١٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا جـ١٧ صـ١٤٩، ١٥٠.

(٣) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤١٢٠.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق

الحكمة من الوزن:

بعد أن ذكر القاسمي -رحمه الله- تعريف الميزان والآراء في الموزون ختم كلامه ببيان الحكمة من الوزن فذكر أن للوزن حكمًا كثيرة منها:

١- إظهار عدل الله -سبحانه وتعالى- وأنه لا يظلم عباده مثال ذرة.

٢- امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى.

٣- تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر وحسنة وسيئة.

٤- إظهار علامة السعادة والشقاوة.

٥- إظهار فضل المتقي تحسينًا لحاله وإشارة لخلوه من كل شيء وتزيينًا لأمره على رؤوس الأشهاد(١).

تعقيب:

ظهر لي من خلال هذا المبحث ما يلي:

١- ثبوت الميزان بالكتاب والسنة وقد أثبته القاسمي بهما، وأنه على حقيقته المعروفة.

٢- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل السنة في تعريف الميزان، ورده على من قال بأن معناه العدل.

٣- أميل إلى ما مال إليه القاسمي من أن الموزون هو العامل وعمله وصحيفة عمله لأنه هو الظاهر من النصوص والأحاديث قد وردت بكل هذا ولا منافاة بينها ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو في حديث صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم

=

د/ أحمد حجازي السقا، جـ٢، صـ٤ ط مطبعة الحلبي عمرو الحلبي. نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(١) ينظر محاسن التأويل جـ٧، صـ٢٦١٨، التذكرة للقرطبي جـ٢ صـ١٢.

القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن ﷻ يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان». قال صاحب معارج القبول: «فهذا الحديث يدل على أن العبد هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن»[1] والله أعلم.

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول في علم الأصول، جـ٢، صـ١٧٦.

المبحث الثالث

رؤية الله تعالى في الآخرة

ويشتمل على:

١ - رأي القاسمي في رؤية الله -تعالى- في الآخرة.

٢- آراء أشهر الفرق والمذاهب فيها.

٣- تعقيب.

رأي القاسمي في رؤية الله - تعالى - في الآخرة

رؤية الله -تعالى- من المسائل التي دار حولها النزاع قديمًا بين الأشاعرة والمعتزلة. وقبل الوقوف على ما استند إليه كل منهما يحسن بنا أن نقف على رأي القاسمي فيها.

فالقاسمي -رحمه الله- يرى ثبوت رؤية الله -تعالى- في الآخرة وأنها حقة، والمسلمون جميعًا ينظرون إلى ربهم -جل وعلا- ويرون جمال ذاته، ونور وجهه، وذلك من أعظم ما يَمْتَنُّ به الله -تعالى- عليهم في ذلك اليوم - واستدل القاسمي على ما ذهب إليه بأدلة من الكتاب الكريم والسنة النبوية.

أدلة القاسمي من الكتاب:

أ- قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «أي حسنة جميلة من النعيم» إلى ربها ناظرة أي مشاهدة إياه، ترى جمال ذاته العلية، ونور وجهه الكريم، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله ﷺ[(١)].

ب- قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] فالقاسمي -رحمه الله- يبين أثناء تفسيره لهذه الآية بأن هؤلاء الكفار لا يرون الله -تعالى- ولا يرون شيئًا من كرامته، فهؤلاء محجوبون عن رؤيته وتخصيص هؤلاء الكفار بالحجب يقتضي أن غيرهم من المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة[(٢)]، ثم نقل القاسمي كلامًا لابن القيم وختمه بقوله: «... وكما جمع الله سبحانه لأعدائه بين هذين العذابين وهما ألم الحجاب وألم العذاب، جمع لمحبيه بين نوعي النعيم نعيم

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي جـ١٦، صـ٥٩٩٦.

(٢) محاسن التأويل جـ١٧، صـ٦٠٩٦ بتصرف.

القرب والنظر، ونعيم الأكل والشرب والنكاح والتمتع بها في الجنة»[١].

ج- قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «للذين أحسنوا النظر، فعرفوا مكر الدنيا والشهوات، فأعرضوا عنها، وتوجهوا إلى الله تعالى، فعبدوه كأنهم يرونه، المثوبة الحسنى، وهي الجنة، وزيادة على المثوبة، وهي التفضل كما قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ١٧٣]، وأعظمَ أنواعه النظر إلى وجهه تعالى الكريم. ولذا تواتر تفسيرها بالرؤية عن غير واحد من الصحابة والتابعين»[٢].

د- قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] فعند تفسيره لهذه الآية يقول: «فمن يخاف المصير إليه، ويأمل لقاءه ورؤيته»[٣] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ذكرها

(١) محاسن التأويل جـ١٧، صـ٦٠٩٩ هذا وقد قال أبو بكر السمعاني: استدل مالك بن أنس، وابن عيينة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وجماعة من أئمتنا بهذه الآية على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، قال مالك بن أنس -رحمه الله-: «لو لم ير المؤمنون ربهم لم يعير الله الكفار بالحجاب» وعنه أيضًا «لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه» وقال الشافعي -رحمه الله-: «لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا». قال الربيع: قلت للشافعي: وتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى ربه في الآخرة ما عبده في الدنيا. وقال الإمام أحمد: «من لم يقل برؤية الله في الآخرة فهو جهمي»، وقال: وقد بلغه عن رجل أن الله لا يُرى في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا وقال: «من قال ذلك فهو كافر -أو فقد كفر- عليه لعنة الله وغضبه كائنًا من كان من الناس». ينظر في ذلك ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة تحقيق د/ أحمد عبد الرحمن الشريف، صـ٦٨-٦٩ مطبعة دار التأليف نشر دار الصحوة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، لوامع الأنور جـ٢، صـ٢٤٦.

(٢) محاسن التأويل جـ٩، صـ٣٣٤١.

(٣) محاسن التأويل جـ١١، صـ٤١٢٣.

في تفسيره وقد اكتفينا بما سبق خشية الإطالة[١].

أدلة القاسمي من السنة على ثبوت الرؤية:

ذكر القاسمي -رحمه الله- عدة أحاديث أثناء تفسيره للآيات السابق ذكرها نكتفي منها بحديثين.

الأول: ما ذكره عند تفسيره لآية الأنعام ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: وأما من السنة «فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا** - يعني العصر والفجر» ثم قرأ جرير ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾[ق: ٣٩] »[٢].

الثاني: ما ذكره عند تفسيره لآية يونس ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ما روي عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار. قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**

---

(١) لمزيد من الأدلة للقاسمي ينظر محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٧، وجـ٧ صـ٢٨٥٠-٢٨٥٣.

(٢) محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٧، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ جـ١٣ صـ٤٢٩، ومسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، جـ٥ صـ١٣٤. وفيه يقول النووي: «أي ترونه رؤية محققة لاشك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة» جـ٥ صـ١٣٤.

ولا أقر لأعينهم[١]» إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي استدل بها القاسمي على ثبوت الرؤية ووقوعها في الآخرة ثم ذكر القاسمي -رحمه الله- أن أحاديث الرؤية وثبوتها قد تواترت بها الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ وأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، وأن أدلة السمع طافحة بوقوع الرؤية في الآخرة لأهل الإيمان، وأن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كانت تثبت الرؤية في الدار الآخرة[٢]. ولم يكتف القاسمي -رحمه الله- بذلك بل تعرض لمن قالوا بعدم وقوع الرؤية وردَّ عليهم ردًّا شافيًا[٣]. هذا بالنسبة لرؤية الله في الآخرة.

أما بالنسبة لرؤيته في الدنيا فيرى القاسمي -رحمه الله- بأن طلب رؤيته -تعالى- في الدنيا مستنكر وغير جائز، ولذلك لم يذكر -سبحانه وتعالى- سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات منها قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥] ثم قال القاسمي: «دلت هذه التهويلات الفظيعة الواردة لطالبها في الدنيا على امتناعها فيها. وكما أخبر -سبحانه وتعالى- بأنه لا يرى في الدنيا فقد وعد الوعد الصادق ﷻ برؤيته في الدار الآخرة في آيات عديدة، وتواترت الأحاديث الصحيحة بذلك وهي قطعية الدلالة»[٤] هذا بالنسبة لخلق الله تعالى -عدا نبينا ﷺ- فقد ذكر

(١) محاسن التأويل جـ٩ صـ٣٣٤١ والحديث في صحيح الإمام مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم جـ٣ صـ١٧.

(٢) محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٨ بتصرف.

(٣) ينظر محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٦ إلى صـ٢٤٥٥، جـ٧ صـ٢٨٥٠ إلى صـ٢٨٥٣.

(٤) محاسن التأويل جـ٢ صـ١٣٠.

القاسمي اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا -يقظة- فقال:

(١) ذهبت عائشة رضي الله عنها وابن مسعود وأبو هريرة إلى القول بعدم ثبوت الرؤية وإنكارها في الدنيا لنبينا ﷺ ثم ذكر القاسمي الأحاديث الدالة على ذلك.

(٢) ذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده. ثم رجح القاسمي -رحمه الله- وقوع الرؤية لنبينا ﷺ في الدنيا يقظة وذكر الأحاديث الدالة على ذلك، أما وقوعها منامًا فلا نزاع في وقوعها له ﷺ ولغيره من عباد الله الصالحين[١].

---

(١) محاسن التأويل جـ٦ صـ٢٤٤٨-٢٤٤٩، جـ١٥ صـ٥٥٦٦-٥٥٦٨، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد صـ١٣٨، صـ١٣٩.

آراء أشهر الفرق في رؤية الله تعالى

المعتزلة:

ذهبت المعتزلة إلى أن رؤية الله -تعالى- ممنوعة وهي من الأشياء المحالة والتي يجب نفيها عنه -تعالى- واستدلوا على مذهبهم بأدلة سمعية، وعقلية، فمن الأدلة السمعية:

(أ) قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وجه الدلالة في الآية كما يدَّعون أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، والمولى ﷻ قد نفى عن نفسه إدراك البصر، وهذا النفي فيه تمدح راجع إلى ذاته - تعالى- وما كان من نفيه تمدحًا راجعًا إلى ذاته -تعالى- كان إثباته نقصًا، والنقائص في حقه -تعالى- مستحيلة وغير جائزة(١).

(ب) قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وجه الدلالة في الآية: أن كلمة «لن» في قوله «لن تراني» موضوعة للتأبيد، والله تعالى قد نفى أن يكون مرئيًّا ألبتة، فدل ذلك على استحالة الرؤية(٢). إلى غير ذلك من الأدلة القرآنية الكثيرة التي استدل بها القاضي عبد الجبار ووجهها على مذهبه في نفي الرؤية. وقد اكتفينا بما قدمنا خشية الإطالة ونحيل إلى غيره(٣).

الأدلة العقلية للمعتزلة على مذهبهم في نفي الرؤية:

(أ) دليل المقابلة:

وتحريره «أن الواحد راء منّا بحاسة، والرائ بالحاسة لا يرى الشيء، إلا إذا

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ٢٣٣ بتصرف.

(٢) شرح الأصول الخمسة صـ٢٦٤ بتصرف، والكشاف للزمخشري جـ٢ صـ١١٣.

(٣) لمعرفة المزيد من أدلة المعتزلة يراجع شرح الأصول الخمسة من صـ٢٣٢ إلى صـ٢٧٧.

كان مقابلاً، أو حالاً في المقابل، أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله -تعالى- لا يجوز أن يكون مقابلاً، ولا حالاً في المقابل، ولا في حكم المقابل»[١] إذن يمتنع رؤيته -تعالى-.

(ب) إن الله -تعالى- لو جاز أن يرى في حال من الأحوال، لوجب أن نراه الآن، ومعلوم أنا لا نراه الآن إذن لا تصح رؤيته[٢] إلى غير ذلك من الشبه السابقة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الإمام يحيى بن حمزة[٣] - من كبار علماء الزيدية - قد نحا هذا النحو، واستدل بما استدل به المعتزلة على مدعاهم[٤].

هذا وقد فنَّد الإمام الرازي -رحمه الله- جميع شبه المعتزلة وغيرها الكثير التي استندوا إليها.

وبيَّن الإمام الرازي ما في هذه الشبه من عدم فهمهم للنصوص واللغة العربية ونكتفي للتدليل على ذلك برده على شبهتين الأولى ردَّ على قولهم بأن: «الإدراك بمعنى الرؤية» بوجوه نكتفي منها بوجه واحد وهو: عدم التسليم بهذا المعنى بل المراد بالإدراك هو الوصول. يقال: أدركت الثمرة إذا وصلت إلى حد

---

(١) شرح الأصول الخمسة صـ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق صـ٢٥٣.

(٣) يحيى بن حمزة هو أحد رجال الزيدية واسمه يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد ابن إدريس بن علي بن جعفر الحسيني العلوي الطالبي، من أئمة الزيدية وعلمائهم، ولد بمدينة صنعاء سنة ٦٦٩هـ، وأظهر الدعوة بعد وفاة المهدي محمد بن المطهر، وتلقب بالمؤيد بالله أو المؤيد برب العزة، واستمر إلى أن توفي في حصن هران عام ٧٤٩هـ. أما عن مؤلفاته فقيل إن عدد كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره.

(٤) المعالم الدينية في العقائد الإلهية للإمام يحيى بن حمزة تحقيق سيد مختار صـ٩-٨٢-٨٧، طبع دار الفكر بيروت لبنان ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

النضج. ثم قال فالحاصل أن الإدراك رؤية مكيفة، ولا يلزم من نفي الرؤية المكيفة، نفي أصل الرؤية، فكما أنا نعرف الله -تعالى ولا نحيط به، فكذلك نراه ولا ندركه(١).

الثانية: ردّ على الشبهة الثانية وهي أن كلمة «لن» في قوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ للتأبيد بأنه غير مسلمٌ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٥] مع أنهم يتمنونه في الآخرة(٢). وبمثل هذه الردود ردَّ على باقي شبههم(٣).

---

(١) الأربعين في أصول الدين للرازي جـ١ صـ٢٩٨ بتصرف.

(٢) الأربعين في أصول الدين جـ١، صـ٣٠٠ بتصرف هذا وقد ردَّ الشيخ محمد محي الدين على ما ادَّعاه الزمخشري من أن «لن» لتأبيد النفي فقال: «لا صحة على ما ادعاه، ولا دليل له فيما استدل به، فأما عدم صحة دعواه فيدل له ثلاث أمور؛ أولها أن «لن» لو كانت دالة على تأبيد النفي في كل مثال ترد فيه لكان ذكر ظرف على وقت معين معها تناقضًا، وقد ذكر في القرآن لفظ اليوم معها في قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] إذ كيف ينتفي تكليمها إنسيًا نفيًا مستمرًا لا إلى غاية ثم يقيد ذلك بقوله «اليوم» في أفصح كلام وأبعده عن التناقض والاختلاف».

الوجه الثاني: أن لن لو كانت تدل كلما ذكرت على تأبيد النفي لكان ذكر لفظ «أبدًا» معها تكرارًا لأن المفروض أنه مستفاد منها، وقد ورد ذكر «أبدًا» معها في القرآن واستدل بالآية في أعلى الصفحة، والقرآن مصون عن التكرار.

الوجه الثالث: أنها لو كانت دالة على تأبيد النفي لم يصح أن يذكر معها ما يدل على انتهائه نحو قوله تعالى ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١] فبطلت دعواه ولم يسلم له استدلاله. ينظر كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك على هامش كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف محمد محيي الدين جـ٤ صـ١٤٩ نشر المكتبة العصرية صيدا - بيروت.

(٣) لتفنيد جميع شبه المعتزلة ينظر الأربعين في أصول الدين للرازي جـ١ صـ٢٩٨ إلى صـ٣٤٠، محصل أفكار المتقدمين للرازي صـ١٩٢، ١٩٣، وضوء الساري إلى معرفة =

الأشاعرة:

عندما تعرض القاسمي لرأي الأشاعرة قال ذهب الأشاعرة إلى أن الله -تعالى- يرى بالأبصار في الآخرة واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وأخرى عقلية. فمن الأدلة النقلية التي استدلوا بها:

أ- قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ووجه الدلالة فيها من وجوه:-

الأول:

أن سؤال موسى عليه السلام لرؤية الله -تعالى- يدل على إمكانها لأن العاقل فضلاً عن النبي ﷺ لا يطلب المحال. ولا مجال للقول بجهل موسى عليه السلام بالاستحالة، لأن الجاهل بها لا يجوز على الله -تعالى- لا يصلح أن يكون نبيًا لأن الغرض من النبوة هداية الخلق إلى العقائد الحقة، ولا ريب في نبوة موسى وأنه من أولي العزم. وقد اصطفاه الله لرسالته، واجتباه لنبوته، وخصصه، بتكريمه، وشرفه بتكليمه، وجعله أفضل أهل زمانه، وأيده ببرهانه.

الثاني:

أن المولى -سبحانه وتعالى- علق الرؤية على أمر ممكن في نفسه وهو - استقرار الجبل- والمعلق على الممكن ممكن؛ لأن معنى التعليق الإخبار بوقوع المعلق -الرؤية- عند وقوع المعلق به -استقرار الجبل- والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة[1].

=

رؤية الباري من صـ١٠٣ إلى ١٥٤ وسيجد القارئ في هذا الكتاب إجابات شافية لجميع الشبه بأدلة من الكتاب والسنة، ردَّ الإمام الدارمي على المريسي العنيد ضمن مجموعة عقائد السلف صـ٤١٣، ٤١٧، أصول الدين للبغدادي من صـ٩٨-١٠٢.

(١) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٥١ بتصرف، وشرح الموقف الخامس صـ١٨٨، ١٨٩ والله =

الثالث:

أن الله -تعالى- تجلى للجبل بالفعل وهو جماد، فلا مانع إذن أن يتجلى لأهل محبته وأصفيائه[(١)]. وهناك وجوه أخرى كثيرة لإثبات الرؤية تتعلق بهذه الآية ذكرها صاحب شرح العقيدة الطحاوية[(٢)].

ب- قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ووجه الدلالة في الآية: أن الفعل «نظر» له عدة استعمالات بحسب تعديه بنفسه أو بحرف الجر.

أ- إن عُدِّي بنفسه كان بمعنى التوقف والانتظار ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣][(٣)] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا

=

والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي تأليف د/ محمد جلال شرف صـ٣٦٧، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م. هذا وقد اعترض المعتزلة على هذا الدليل وغيره من أدلة الأشاعرة وقالوا: بأن الرؤية في الآية بمعنى العلم، أو أن موسى سأل الرؤية بسبب قومه لا لنفسه لأنه كان عالمًا بامتناعها أو أنه سألها لنفسه وإن علم استحالتها بالعقل ليتأكد دليل العقل بدليل السمع، أو أن موسى قد لا يعلم امتناع الرؤية، ولا يغير ذلك في نبوته. وقد رد عليهم العضد والجرجاني في كل ما سبق.

* ينظر ذلك في شرح المواقف الموقف الخامس صـ١٨٩-١٩٧.

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تأليف محمد خليل هراس مراجعة عبد الرزاق عفيفي صـ٧٢ ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط٤ نشر دار الاعتصام.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية جـ١، صـ٢١٢-٢١٤.

(٣) النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير في القرآن الكريم ولكنه لم يقرن ألبتة بحرف إلى. فالنظر المقرون بحرف إلى المعدى إلى الوجوه ليس إلا بمعنى الرؤية.

* ينظر كتاب استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات تأليف الإمام المحدث محمد الخضر الشنقيطي صـ٣٤٦. طبع دار البشير للنشر والتوزيع عمان ط١ سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [ص: ١٥] ففي الآية الأولى بمعنى انتظرونا وتوقفوا لنا. وفي الثانية أيضًا بمعنى ينتظروا.

ب- أن عدى بـ(في) كان بمعنى التفكر والاعتبار ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فالمعنى في الآية أولم يتفكروا ويعتبروا بخلق السماوات والأرض.

ج- إن عدى بـ(اللام) كان بمعنى الرأفة والعطف والرحمة مثل قولهم «نظر الأمير لفلان» أي عطف عليه.

د- إن عدى بـ(إلى) كان بمعنى الرؤية والمعاينة بالإبصار. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فمن هنا قال الأشاعرة بوجوب حمل النظر في الآية على الرؤية ووقوعها يوم القيامة[١] إلى غير ذلك من الأدلة السمعية التي استدل بها الأشاعرة على مذهبهم[٢].

وفي أثناء استدلال البيهقي -رحمه الله- بهذه الآية على ثبوت الرؤية ذكر هذه الاستعمالات للفظ «نظر» ثم قال: والثلاثة الأول غير مراده -تعالى-.

أما الأول: فإن الآخرة ليست بدار استدلال.

وأما الثاني: فلأن في الانتظار تنغيصًا وتكديرًا. والآية خرجت مخرج الامتنان والبشارة. وأهل الجنة لا ينتظرون شيئًا لأنه مهما خطر لهم أتوا به.

---

(١) شرح المواقف -الموقف الخامس- صـ٢١١، ٢١٢.

(٢) الأربعين في أصول الدين صـ٢٩٢-٢٩٥ وقد اعترض المعتزلة على هذا الدليل وغيره ووجهوه الآيات بما يتفق مع مذهبهم. ينظر المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ٤، صـ١٩٧-٢١٧، المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار تحقيق عمر السيد عزمي صـ٢١٢، ٢١٣، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، وشرح الأصول الخمسة صـ٢٤٢-٢٤٨. وقد رد الأشاعرة على أدلة المعتزلة وفندوها ينظر في ذلك الأربعين في أصول الدين جـ١، صـ٢٨٣-٢٩٢، وشرح المواقف الموقف الخامس صـ٢١٢-٢١٧.

وأما الثالث: فلا يجوز لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه. فلم يبق إلا نظر الرؤية. وانضم إلى ذلك أن النظر إذا كان مع الوجه، انصرف إلى نظر العينين اللتين في الوجه، ولأنه هو الذي يتعدى بإلى(١).

ومن الأدلة العقلية التي استدل بها الأشاعرة:

أنه تعالى لو لم يكن مرئيًا لما جاز أن يكون معلومًا، لكن التالي باطل، فما أدى إليه من عدم جواز رؤيته باطل، فثبت نقيضه وهو أنه تجوز رؤيته. دليل الملازمة. أنه تعالى موجود وذات، ويخالف سائر الموجودات في استحالة كونه حادثًا، أو موصوفًا بما يدل على الحدوث، أو موصوفًا بصفة تناقض صفات الألوهية(٢) وكل موجود يصح أن يرى، فالله ﷻ تصح رؤيته.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره الغزالي(٣).

والعضد(٤) -رحمهما الله- وقد اكتفينا بذلك خشية الإطالة(٥).

---

(١) استحالة المعية بالذات صـ٣٤٦ بتصرف يسير.

(٢) نظرات في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد تأليف د/ إبراهيم عبد الشافي صـ٢١٢، ٢١٣، ط سنة ١٩٩٢، وتحفة المريد صـ١٣٣.

(٣) الغزالي: سبق ترجمته صـ٩٣.

(٤) العضد: هو الإمام القدوة قاضي القضاة عضد الدين عبد الرحمن أحمد الإيجي. ولد سنة ٧٠٨هـ قاضي قضاة المشرق وشيخ العلماء والشافعية بتلك البلاد. قال الإسنوي: كان إمامًا في علوم متعددة محققًا مدققًا ذا تصانيف مشهورة منها: شرح مختصر الحاجب، المواقف، والجواهر... وغيرها كثير. توفي سنة ٧٥٦ مسجونًا * ينظر شذرات الذهب جـ٦ صـ١٧٤، الأنساب جـ١ صـ٣٩٧.

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي صـ٦١-٦٥، شرح المواقف الموقف الخامس صـ١٩٧-٢٠٠.

تعقيب:

ظهر لي من خلال عرض موضوع الرؤية ما يلي:

أ- ثبوت الرؤية للمؤمنين في الآخرة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث وهذا هو قول الأشاعرة وبه أخذ القاسمي رحمه الله وقال: بأنه ليس في القرآن إشارة إلى امتناع رؤية الله تعالى[(١)].

ب- أن الرؤية الممنوعة في قوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ وفي حديث عائشة[(٢)] هي الرؤية الدنيوية، والله -سبحانه وتعالى- قال لموسى ذلك لأن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر[(٣)].

ج- الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في ثبوت الرؤية وعدمها لا يوجب الحكم على أي فريق منهم بالسب أو الشتم أو الكفر. ذلك أنني عند قراءتي لتفسير الزمخشري وجدته قد هجا الأشاعرة ومن سلك مسلكهم في إثبات الرؤية بألفاظ جانبه الصواب فيها وهي قوله:

لجماعة سموا هواهُمْ سنةً ... وجماعةٌ حمر لعمري موكـــفة[(٤)]

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفة[(٥)]

---

(١) محاسن التأويل جـ٧ ص١ ٢٨٥ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في فتح الباري كتاب التفسير ٥٣ سورة النجم صـ٤٧٢. وقد قال ابن كثير في أثناء حديثه عن هذا الحديث لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني جـ صـ٤٠٦ نشر دار الصابوني.

(٣) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٥١ بتصرف يسير.

(٤) موكفة من الإكاف: وهو البرذعة. والبكلفة قولك بلا كيف.

(٥) ينظر في ذلك تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات شرح شواهد الكشاف تأليف الأستاذ محب الدين أفندي في آخر كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للزمخشري ومعه كتاب الأنصاف جـ٤ صـ٤٥٦ ط دار المعارف بيروت.

وفي موطن آخر يصرح بخروجهم عن الإسلام بسبب قولهم بجواز رؤية الله -تعالى-[١] وفي المقابل لذلك وجدت أيضًا صاحب الإنصاف ذكر أبيات ظاهرها أن المعتزلة في النار وهي:

وجماعة كفروا برؤية ربهم حقًا ووعد الله ما لن يخلفه

وتليقبوا عدلية. قلنا: أجل عدلوا بربهم فحسبهموا سفه

وتلقبوا الناجين. كلا إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه[٢]

أقول: مثل هذه الأشياء كنت أود أن لا تحدث بين أهل العلم، لأن الحكم بدخول النار وغيره مقطوع لله -سبحانه وتعالى- وفي ذلك يقول القاضي عياض: نقلاً عن القاضي أبي بكلا الباقلاني: «وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية. فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح، إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى، ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئًا منها»[٣] ورحم الله الشوكاني إذ يقول في وصف أصحاب رسول الله ﷺ:

ومـا قالوا بتكفير لقوم هم بدع على الإسلام سود[٤]

---

(١) المرجع السابق جـ١ صـ٤١٨.

(٢) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير جـ٢ صـ١١٦ إلى غير ذلك من الأبيات التي فيها هجاء للمعتزلة فقد ذكرها القاسمي في تفسيره جـ٧ صـ٢٨٥٣.

(٣) الشفا للقاضي عياض جـ٢ صـ١٠٨٦، ١٠٨٧.

(٤) مقدمة قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني أو ولاية الله والطريق إليها تحقيق وتقديم د/ إبراهيم إبراهيم هلال، صـ٣٩ مطبعة حسان القاهرة نشر دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٩م.

الخاتمة

وبعد هذه المعايشة العلمية مع شخصية الإمام القاسمي علامة الشام نخلص إلى جملة من النتائج نجملها في الآتي:

أ- بالنسبة لعصر القاسمي:

١- الحالة السياسية في الدولة العثمانية -خلال عصر القاسمي- كانت سيئة لدرجة كبيرة، إذ تكالبت عليها المكائد من كل اتجاه سواء من العالم الغربي أو من ولاتهم أنفسهم مما دفع القاسمي لأخذ موقف من هؤلاء الولاة.

٢- الحالة الاجتماعية كانت شبيهة بالحالة السياسية بل زادت عليها بسبب كثرة المصائب السماوية، وحدوث الطواعين المتكررة وانتشارها بالعدوى، وكل ذلك أثر في دمشق وأدى إلى فناء خلق كثير.

٣- الحالة الاقتصادية ساءت أيضًا إلى أبعد الحدود بسبب نظام الالتزام الذي جعل الناس طبقتين، طبقة تعيش في بذخ وإسراف، وطبقة تكاد لا تجد إلا الكفاف.

٤- الحالة العلمية كانت مفقودة بسبب عدم وجود المدارس والمعاهد والجامعات مما أدى إلى انتشار الأمية، وجعل اللغة التركية هي لغة الدولة الرسمية.

ب- أما سيرته الذاتية فقد تبين فيها الآتي:

١- ينتمي القاسمي إلى بيت عرف بالورع والتقوى والعلم فقد كان جده ووالده من علماء عصرهم.

٢- اتصاف القاسمي بالصفات الحسنة الحميدة مما جعل علماء عصره يثنون عليه وعلى علمه وأمانته.

٣- ظهر لي أن القاسمي كان شافعي المذهب ملتزمًا بآراء مذهبه ومنتصرًا له.

٤- كان القاسمي حسن الأدب، فلم يتناول أحدًا من خصومه بالتجريح،

بل كان همه معهم الإلزام بالحجة، وكان يلتمس لصاحب المذهب المخالف العذر.

أما الباب الأول الخاص بالحديث عن الإلهيات عند القاسمي فقد تبين فيه الآتي:

١- طريقة المتكلمين في الاستدلال على وجود الله بها كثير من الغموض، بخلاف طريقة القاسمي التي استقاها من كلام المتقدمين عليه وساقها في صورة معاصرة ملائمة لأهل عصره.

٢- كثرة نقل القاسمي عن غيره لا يعد عيبًا فيه، إذ كان يجمع نوادره من مواضيع شتى، ويصيغها بأسلوب ميسر مع عزو كل قول لصاحبه.

٣- اعتمد القاسمي في عرضه للأدلة على وجود الله تعالى على أدلة وبراهين كثيرة، سار فيها مخاطبًا جميع الناس على اختلاف أحوالهم، فذكر أدلة عقلية، وأدلة حسية، وهو في ذلك متبع لأسلوب القرآن الكريم.

٤- عرضت لآراء الفرق في مسألة الصفات، ورددت عليها - بكلام العلماء.

٥- كان القاسمي في مسألة الصفات -عمومًا- منتصرًا لمذهب السلف، وكان يرى أنه أعدل المذاهب، وساق أدلة كثيرة على ذلك.

٦- كان القاسمي يعتمد في سوقه لأدلته على ما صح من حديث رسول الله ﷺ تاركًا الضعيف منها.

٧- كان القاسمي يلتمس لصاحب المذاهب المخالفة العذر فيما ذهبوا إليه.

أما بالنسبة لما يتعلق بفصل النبوات فقد تبين لي ما يلي:

١- مخالفة القاسمي للفلاسفة والمعتزلة الذين رأوا أن إرسال الرسل ملزم على الله، وقال: بأن إرسال الرسل فضل ومنة من الله على عباده.

٢- شدة حرص القاسمي على إثبات العصمة للأنبياء، ونفي كل الشبهات

التي عنت لبعض المخالفين، ولذلك رأينا ردوده عليهم اتسمت بالشدة في الحق، وفند مزاعمهم وأباطيلهم.

٣- القاسمي -رحمه الله- لم يأخذ كلام غيره من العلماء مأخذ المسلمات، بل كان يضع كل رأي يقع تحت عينه أمام عقله، ويقف منه موقف المؤيد إذا وافق الكتاب والسنة، أو موقف المعارض له أشد المعارضة إذا لم يوافق الكتاب والسنة.

٤- كثرة اطلاعات القاسمي على كتب الأناجيل مما جعل أدلته التي استخدمها في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ قوية ومقبولة.

٥- ركز القاسمي في إثبات النبوة على نبوة سيدنا محمد ﷺ إذ رأى أن في إثباتها إثبات ملزم لنبوة جميع الأنبياء.

أما بالنسبة لما يتعلق بفصل السمعيات فقد تبين لي ما يلي:

١- موافقة القاسمي لجمهور الأشاعرة وأهل الحديث في أدلتهم على إثبات السمعيات.

٢- معرفة الإنسان بوجود الملائكة وإحصائهم لكل ما يفعله، من أعظم الأسباب التي تحفزه على عمل الطاعات وتبعده عن المعاصي.

٣- كان القاسمي يرى أن: الموزون هو العامل وعمله وصحيفة عمله، ويرى بأنه هو الظاهر من النصوص، والأحاديث قد وردت بكل هذا ولا منافاة بينهما.

٤- أثبت القاسمي رؤية الله تعالى في الآخرة مستندًا في ذلك إلى الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وهو بذلك موافق لرأي السادة الأشاعرة.

٥- كان القاسمي شديد التحري في نقل آراء كلا من المعتزلة والأشاعرة، ولم يتعرض لمخالفيهم بالسب والتجريح.



الفهارس

وتشتمل على:

فهرس الآيات القرآنية

٤٣	وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...	الأنفال	٥٠	٢٦٢
٤٤	... حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ...	التوبة	٦	٢٠٠
٤٥	عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ...	التوبة	٤٣	٢٣٩
٤٦	لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ...	التوبة	١١٧	٢٣٩
٤٧	لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ...	يونس	٢٦	٢٢٢
٤٨	بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ...	يونس	٣٩	٢٢٢
٤٩	قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...	يونس	١٠١	١٤٠
٥٠	وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ...	هود	٣٧	١٧٢
٥١	تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ...	هود	٤٩	٢٢٣
٥٢	فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ...	هود	٧٠	٢٥٦
٥٣	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ ...	يوسف	٢٤	٢٣٤
٥٤	... قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى ...	يوسف	٢٦	٢٣٦
٥٥	... إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ	يوسف	٢٩	٢٣٦
٥٦	...وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ...	يوسف	٣٢	٢٣٦
٥٧	... ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ...	يوسف	٤٢	٢٣٦
٥٨	... أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ	يوسف	٧٠	٢٣٦

٧٧	فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ	الكهف	١١٠	٢٨٦
٧٨	فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا	مريم	١٧	٢٥٩
٧٩	فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا	مريم	٢٦	٢٩٢
٨٠	ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ	طه	٥	١٦٩
٨١	وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ	طه	٣٩	١٧٢
٨٢	قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ	طه	٩١	٢٩٢
٨٣	مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا	الأنبياء	٢	١٩٠
٨٤	وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا	الأنبياء	٢٦	٢٥٨
٨٥	لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ	الأنبياء	٢٧	٢٥٨
٨٦	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ	الأنبياء	٢٨	٢٥٨
٨٧	وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ	الأنبياء	٤٧	٢٧١
٨٨	وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ	الأنبياء	١٠٧	٢١٥
٨٩	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ	الحج	٥٢	٢١١
٩٠	لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً	الحج	٥٣	٢٤٠
٩١	وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ	الحج	٥٤	٢٤٥
٩٢	وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ	النور	٣٩	٢٧٩
٩٣	وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ	الفرقان	٢٣	٢٧٩
٩٤	تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا	الفرقان	٦١	١٢٢

٩٥	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ	الشعراء	١٩٢	٢٦٠
٩٦	نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ	الشعراء	١٩٣	٢٦٠
٩٧	عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ	الشعراء	١٩٤	٢٦٠
٩٨	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ	الشعراء	١٩٥	٢٦٠
٩٩	وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ الآيات	النمل	٢٤،٢٥،٢٦	١٣٦
١٠٠	أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا	النمل	٦١	١٣٣
١٠١	أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ	النمل	٦٢	١٣٣
١٠٢	أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ	النمل	٦٤	١٣٣
١٠٣	وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ	القصص	٧	١٩١
١٠٤	فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ	القصص	٣٠	١٥٣
١٠٥	قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ	القصص	٤٩	١٤٢
١٠٦	وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	العنكبوت	٦٩	١٢٤
١٠٧	الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ	الروم	١،٢،٣،٤	٢٢٢
١٠٨	وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ	الروم	٢٥	١٩٣
١٠٩	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ	الروم	٣٠	١٣١
١١٠	ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ	الروم	٤٠	١١٢
١١١	قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ	السجدة	١١	٢٦٠

١٢٧	وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ	الزمر	٧٥	٢٦١
١٢٨	ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ	غافر	٧	٢٦٠
١٢٩	وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ	غافر	٣٤	٢١٢
١٣٠	فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ	غافر	٨٤	١٤٣
١٣١	إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟	فصلت	٣٠	٢٦٢
١٣٢	ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ	فصلت	٣٤	٤٧
١٣٣	فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ	فصلت	٣٨	٢٥٧
١٣٤	قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ	فصلت	٥٢	١٤٣
١٣٥	سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ	فصلت	٥٣	١٣٩
١٣٦	لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ	الشورى	١١	١٥١
١٣٧	ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ	الشورى	١٧	٢٧١
١٣٨	أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ	الشورى	٥١	٢٠٠
١٣٩	وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا	الشورى	٥٢	٢٢٠
١٤٠	إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا	الزخرف	٣	١٩٠

١٥٥	ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ	الحديد	١٣	٢٩٤
١٥٦	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا	الحديد	٢٥	٢١٥
١٥٧	نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ	الحشر	١٩	١١١
١٥٨	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا	التحريم	٦	٢٥٨
١٥٩	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم	٤	٢٢٠
١٦٠	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ	الحاقة	٤٤	٢٤٢
١٦١	إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ	الجن	١، ٢	١٣٥
١٦٢	وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ	الجن	١٣،١٤،١٥	١٤١
١٦٣	وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ	المدثر	٢٧، ٢٨	٢٦١
١٦٤	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	القيامة	٢٢، ٢٣	٢٨٥
١٦٥	عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ	النبأ	١، ٢	٢٠٩
١٦٦	كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ	المطففين	١٥	٢٨٥
١٦٧	فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ	الطارق	٥، ٦، ٧	١٢٢

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية

٣ ـ فهرس الآثار

٤ ـ فهرس مصادر البحث

(١) القرآن الكريم.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، تأليف أبي الحسن الأشعري. عنى بنشره وطبعه والتعليق عليه المطبعة المنيرية. القاهرة.

(٣) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي تأليف د/ عوض الله حجازي طبع دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط٣، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٤) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، تأليف د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. طبع إدارة البحوث العلمية، والإفتاء بالسعودية، ط١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم الجوزية، تحقيق أبي حفص سيد إبراهيم، طبع دار الحديث، القاهرة، سنة ١٩٥٢م.

(٦) الأجوبة المرضية عما أورده كمال الدين بن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية. تأليف محمد جمال الدين القاسمي، مطبعة روضة الشام بدمشق، ط١، سنة ١٣٢٦هـ.

(٧) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، طبع دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان.

(٨) إحياء علوم الدين للغزالي مع مقدمة في التصوف للدكتور بدوي طبانة، طبع دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر.

(٩) أخبار القضاء لمحمد بن خلق بن حيان المعروف بوكيع، طبع عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

(١٠) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للإمام عبد الله بن مسلم

ابن قتيبة، ضمن مجموعة عقائد السلف، جمع د/ علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي. نشر منشأة دار المعارف الإسكندرية، سنة ١٩٧٠م.
(١١) الأربعين في أصول الدين للإمام محمد بن عمر الرازي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.
(١٢) أساس التقديس للإمام محمد بن عمر الرازي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(١٣) استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات، تأليف الإمام المحدث محمد الخضر الشنقيطي، طبع دار البشير، عمان، ط١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(١٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي. طبع ونشر دار نهضة مصر. الفجالة. القاهرة.
(١٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة. للشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير. طبع دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
(١٦) الإسلام يتحدى. تأليف وحيد الدين خان. ترجمة ظفر الإسلام خان. مراجعة وتقديم أ.د/ عبد الصبور شاهين. طبع ونشر دار المختار الإسلامي. القاهرة. سنة ١٩٩١م.
(١٧) أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة. تأليف د/ عمر سليمان الأشقر. طبع ونشر دار النفائس. عمان. الأردن. ط٢. سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(١٨) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبع دار صادر. ط١. سنة ١٣٢٨هـ.

(١٩) إصلاح المساجد من البدع والعوائد. تأليف محمد جمال الدين القاسمي. خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. نشر المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط٥. سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢٠) أصول أهل السنة والجماعة المسماة «برسالة أهل الثغر» تأليف أبي الحسن الأشعري. تحقيق د/ محمد السيد الجليند. نشر مطبعة التقدم. سنة ١٩٨٧م.

(٢١) أصول الدين. تأليف الإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي. نشر دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. ط٢. سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخر الدين الرازي. مراجعة د/ علي سامي النشار. نشر مكتبة النهضة المصرية ط١. سنة ١٩٣٨م.

(٢٣) إظهار الحق تأليف الشيخ رحمه الله الهندي نشر مكتبة الثقافة. ط١. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢٤) الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية. تأليف زكي محمد مجاهد. طبع مطبعة حجازي. مصر. سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

(٢٥) الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية. تأليف زكي محمد مجاهد. طبع دار الغرب الإسلامي. ط٢. سنة ١٩٩٤م.

(٢٦) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. تأليف: أحمد تيمور باشا. نشر لجنة المؤلفات التيمورية. ط١. سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(٢٧) الأعلام لخير الدين الزركلي. ط دار العلم بيروت. ط٥. سنة ١٩٨٠.

(٢٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين. تأليف ابن قيم الجوزية. طبع دار الحديث. مصر. سنة ١٩٨٧م.

(٢٩) أعلام النبوة للإمام أبي الحسن علي بن حمد الماوردي. تحقيق د/ خالد

العك. طبع دار النفائس. ط١ سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(٣٠) أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر. تأليف الشيخ محمد جميل الشطي. طبع المكتب الإسلامي. بيروت. ط٢. سنة ١٩٧٢م.
(٣١) الاقتصاد في الاعتقاد. تأليف أبي حامد الغزالي. تحقيق: الشيخ محمد مصطفى أبو العلا. طبع مكتبة الجندي. سنة ١٩٧٢م.
(٣٢) أقانيم النصارى. «كتاب يتحدث عن أصل الديانة النصرانية وتطورها ونقدها بأدلة أسفاد التوراة والإنجيل وكتب التاريخ» تأليف الدكتور الشيخ/ أحمد حجازي السقا. طبع مطبعة المجد. نشر دار الأنصار. مصر. ط١. سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
(٣٣) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع. طبع الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
(٣٤) إلجام العوام عن علم الكلام تأليف حجة الإسلام: أبي حامد الغزالي. نشر محمد علي عطية الكتبي. سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.
(٣٥) الألوهية في الفكر الإسلامي تأليف د/ عبد الله يوسف الشاذلي. ط. سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
(٣٦) الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل. تأليف د/ محمد السيد الجليند. طبع مجمع البحوث الإسلامية. سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
(٣٧) إنجيل ربنا يسوع للقديس يوحنا. نشر دار السلام. سنة ١٩٦١م.
(٣٨) الأنساب للإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي السمعاني. تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني. نشر محمد أمين دمج - بيروت. لبنان. ط٢. سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(٣٩) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال. تأليف: ابن المنير

الإسكندري. على هامش كتاب الكشاف للزمخشري. طبع دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت. لبنان.

(٤٠) الإنصاف فيما يجيب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. تأليف: أبي بكر بن الطيب الباقلاني. تحقيق محمد زاهد الكوثري. نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ط٣. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٤١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تأليف ابن هاشم الأنصاري. ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك. تأليف: الشيخ محمد محيي الدين. نشر المكتبة العصرية صيدا. بيروت.

(٤٢) ايساغوجي لفرفريوس. تأليف د/ أحمد فؤاد الأهواني. نشر دار إحياء الكتب العربية. الحلبي. مصر. سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

(٤٣) الإيمان. أركانه وحقيقته ونواقضه. تأليف د/ محمد نعيم ياسين. نشر مكتبة الزهراء.

(٤٤) الإيمان والحياة تأليف: د/ يوسف القرضاوي. نشر مكتبة وهبة القاهرة. ط٩ سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٤٥) بحوث التوجيه التشريعي في الإسلام، طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٤٦) البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير الدمشقي. تحقيق أحمد أبو مسلم. د/ علي بخيت عطوى، أ/ فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، على عبد السائر، ط دار الكتاب العلمية. بيروت. لبنان ط١، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤٧) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي. نشر دار الغد العربي. القاهرة. ط١. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٤٨) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد بن علي الشوكاني طبع دار المعرفة للطباعة والنشر. لبنان. ط١. سنة ١٣٤٨هـ.

(٤٩) البرهان في عقائد أهل الأديان، تأليف: عباس بن منصور السككي الحنبلي. تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج. طبع دار التراث القاهرة. ط١. سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٥٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي. تحقيق عبد العليم الطحاوي، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ط١.

(٥١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ شمس الدين الذهبي. تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، طبع دار الكتاب العربي. ط١. سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٥٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة. تأليف: محمد جمال الدين القاسمي طبع مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٣. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٥٣) تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم. طبع دار المعارف. ط٤.

(٥٤) تاريخ الفتح الإسلامي في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين. تأليف: محمد فخر الدين. مطبعة الطلبة. مصر. سنة ١٩٣٢م.

(٥٥) تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي. طبع دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.

(٥٦) تاريخ جرجان للسهمي. تعليق د/ محمد عبد المعبد خان. طبع عالم الكتب. ط٤. سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٥٧) تاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم علبي بن الحسن المعروف بابن عساكر، نسخة خطية من المكتبة الظاهرية بدمشق. فهرس لها الشيخ رزق الطرهوني. نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة. سنة ١٤٠٧هـ.

(٥٨) تاريخ دول الإسلام تأليف رزق الله منقريوس. طبع مطبعة الهلال بالفجالة. سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

(٥٩) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. تأليف: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة. تقديم د/ شكري فيصل. نشر وطبع دار الفكر دمشق ط١. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٦٠) تأويل مختلف الحديث. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تصحيح محمد الزهري النجار، طبع دار الجيل. بيروت. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٨١م.

(٦١) تتمة البيان في تاريخ الأفغان. تأليف جمال الدين الأفغاني. طبع دار الأنصار. سنة ١٣١٨هـ.

(٦٢) تحفة الإخوان في صفات الرحمن. تأليف د/ أبو الهمام محمد بن محمد بن عبد العليم. نشر مكتبة الصحوة.

(٦٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري. طبع الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية. سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٦٤) التحف في مذاهب السلف للإمام محمد بن علي الشوكاني تقديم وتعلق سليم عبد الهادي. علي حسن عبد المجيد. طبع مكتبة الوعي الإسلامي. ط١. سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

(٦٥) تدريب الراوي في شريح تقريب النواوي لخاتمة الحفاظ جل الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق د/ عبد الوهاب عبد اللطيف. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. ط٢. سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٦٦) تذكرة الحفاظ. للإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. طبع دار إحياء التراث العربي. ط١. سنة ١٣٧٤هـ.

(٦٧) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق د/ أحمد حجازي السقا. طبع عمرو الحلبي، القاهرة. نشر الكليات الأزهرية. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٦٨) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، تأليف الأستاذ أنور الجندي. طبع مكتبة الأنجلو المصرية. ط١. سنة ١٩٧٠م.

(٦٩) تفسير القاسمي المسمى «محاسن التأويل» تأليف محمد جمال الدين القاسمي: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء الكتب العربية الحلبي. مصر.

(٧٠) تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ عبد الأعلى عبد الحميد حامد. نشر الدار السلفية بومباي. الهند. توزيع دار الريان للتراث. ط٢. سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٧١) تفسير سورة الجن تأليف د/ محمد البهي، نشر دار الفكر. ط٢. سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٧٢) التفسير والمفسرون تأليف د/ محمد حسين الذهبي طبع دار إحياء التراث العربي. ط٢. سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(٧٣) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. تأليف: الإمام أبي القاسم الحسين ابن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تقديم د/ أسعد السحراني. نشر دار النفائس. ط١. سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٧٤) التعريفات. تأليف السيد الشريف علي بن محمد الجراجاني، يليها رسالة في بيان اصطلاحات الصوفية لمحيي الدين ابن العربي، طبع مصطفى البابي الحلبي. سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

(٧٥) تعريف عام بدين الإسلام. تأليف: الشيخ علي الطنطاوي. طبع دار الوفاء المنصورة. ط١٣. سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٧٦) التفكير الفلسفي في الإسلام. للإمام عبد الحليم محمد نشر دار المعارف. سنة ١٩٨٤م.

(٧٧) التمهيد لما في الموطأ م المعاني والأسانيد لابن عبد البر، تحقيق عبد الله بن

الصديق. طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب.
(٧٨) التنبيهات الثنية على العقيدة الواسطية. تأليف عبد العزيز بن ناصر الرشيد. طبع دار الأصفهاني بجدة. نشر دار الرشيد.
(٧٩) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. تأليف محمد بن أحمد الملطي الشافعي. تحقيق محمد زاهر الكوثري. نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
(٨٠) تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات. تأليف العالم المدقق محب الدين أفندي. بذيل كتاب الكشاف للزمخشري. طبع دار المعرفة للطابعة والنشر. بيروت. لبنان.
(٨١) التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني.
(٨٢) تهذيب التهذيب للحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علبي بن حجر العسقلاني. طبع مجلس دائرة المعارف القطامية الكائنة في الهند. ط١. سنة ١٣٢٥هـ.
(٨٣) تهذيب الكامل في أسماء الرجال. للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي. تحقيق د/ بشار عواد معروف. طبع مؤسسة الرسالة. ط١. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.
(٨٤) التوحيد الخالص تأليف د/ عبد الحليم محمود. طبع مطبعة حسان. نشر دار الكتب الحديثة.
(٨٥) توحيد الصفات بين اعتقاد السلف وتأويلات الخلف. تأليف د/ محمد عبده عبد الرزاق. نشر مطبعة التقدم. ط١. سنة ١٩٩١م.
(٨٦) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. تأليف محمد بن إسحاق بن هزيمة، مراجعة د/ محمد خليل هراس. نشر دار الجيل. الكليات الأزهرية. ط سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٨٧) الجرح والتعديل، للإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. ط إحياء التراث العربي. بيروت. ط١. سنة ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م. بعناية الشيخ عبد الرحمن المعلمي.

(٨٨) الجرح والتعديل تأليف الأستاذ البحاثة الشيخ جمال الدين القاسمي. طبع مؤسسة الرسالة بيروت. ط٥. سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٨٩) جمال الدين الأفغاني تأليف د/ عثمان أمين. نشر دار الثقافة. القاهرة.

(٩٠) جمال الدين الأفغاني. تأليف محمود أبو رية. نشر دار المعارف. مصر. سنة ١٩٦١م.

(٩١) الجملة القرآنية تأليف مصطفى صادق الرافعي. ذيل عليها بما يكشف أمرها أمير البيان العربي شكيب أرسلان. تصحيح عبد البديع القادر. طبع دار بيروت. دمشق. ط١. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٩٢) جهم بن صفوات ومكانته في الفكر الإسلامي. تأليف د/ خالد العلي. نشر المكتبة الأهلية. بغداد. سنة ١٩٦٥م.

(٩٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. تأليف الإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق علي صبح المدني. نشر مطبعة المدني. دار المدني بجدة. ط٣. سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٩٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. طبع دار الكتاب العربي. ط٤. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٩٥) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تأليف الأستاذ/ عبد الرزاق البيطار. تحقيق محمد بهجة البيطار. طبع المجمع العلمي بدمشق. سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

(٩٦) الحموية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموع فتاويه. جمع وترتيب. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي. طبع دار الرحمة للنشر والتوزيع.

(٩٧) حياة البخاري تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق محمود الأرناؤوط. نشر دار النفائس، ط١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
(٩٨) الحيدة وانتصار المنهج السلفي. تأليف عبد العزيز بن يحيى الكناني. نشر مكتبة التوعية الإسلامية. مصر.
(٩٩) خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي.
(١٠٠) خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة. تأليف الإمام محمد بن عمر الرازي. تحقيق د/ أحمد حجازي السقا. نشر المكتب الثقافي. القاهرة. ط١. سنة ١٩١٩م.
(١٠١) دائرة المعارف الإسلامية أصدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية يصدرها بالعربية أحمد الشناوي، وإبراهيم زكي، وعبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام.
(١٠٢) دراسات علمية في المسائل العقدية، تأليف د/ آمنة محمد نصير. طبع مطبعة الصديق. ط٢. سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
(١٠٣) دراسات في العقيدة الإسلامية تأليف د/ إبراهيم عبد الله الحصري. سنة ١٩٩٣/ ١٩٩٤م.
(١٠٤) دراسات في العقيدة الإسلامية. تأليف أ.د/ عوض الله حجازي. نشر دار الطباعة المحمدية. ط١. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
(١٠٥) دراسات في العقيدة الإسلامية. تأليف د/ محمد عبد الله الشرقاوي. نشر مكتبة الزهراء. سنة ١٩٨٩م.
(١٠٦) دراسات في الفلسفة الإسلامية. تأليف د/ عبد الحميد مدكور. نشر مكتبة الزهراء. سنة ١٩٨٩م.
(١٠٧) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. تأليف الإمام عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي. تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري. مراجعة د/ أحمد حجازي

السقا. طبع الكليات الأزهرية. سنة ١٩٩١م.
(١٠٨) الدكتور صلاح الدين القاسمي -آثاره- صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين. جمع هذه الآثار د/ مُسَلَّم القاسمي. قدم له وحققه. محب الدين الخطيب. طبع المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة. سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
(١٠٩) الدرر الكامنة.
(١١٠) دلائل التوحيد. تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. سنة ١٩٨٤م.
(١١١) الدين تأليف د/ محمد عبد الله دراز. نشر: دار القلم. الكويت. سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
(١١٢) ديوان أبي العتاهية. نشر دار صادر بيروت. ط١. سنة ١٩٨٠م.
(١١٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة. تأليف الإمام أبي القاسم الحين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق د/ أبو اليزيد العجمي. نشر دار الصحوة، ودار الوفاء. ط١. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(١١٤) الذيل على طبقات الحنابلة للحافظ زين الدين بن أبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي المعروف بابن رجب. نشر دار المعرفة بيروت. لبنان.
(١١٥) رد الإمام الدارمي، عثمان بن سعيد على المريسي العنيد، ضمن مجموعة عقائد السلف. جمع د/ علي سامي النشار، عمار جمعي الطالبي. نشر منشأة المعارف الأسكندرية.
(١١٦) الرد على الزنادقة والجهمية. تأليف الإمام أحمد بن حنبل ضمن مجموعة عقائد السلف جمع د/ علي سامي النشار. عمار جمعي الطالبي. نشر منشأة دار المعارف. الإسكندرية.
(١١٧) رسالة التوحيد، تأليف الشيخ الإمام محمد عبده. طبع محمد علي صبيح.

القاهرة. سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
(١١٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي. نشر دار الفكر بيروت. سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
(١١٩) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية. تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة. مكتبة المنار الإسلامية. توزيع دار الريان للتراث. ط١٥. سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(١٢٠) الزمخشري تأليف د/ أحمد الحوفي. طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٢. سنة ١٩٨٠م.
(١٢١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. تأليف د/ مصطفى السباعي. نشر المكتب الإسلامي. ط٤. سنة١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(١٢٢) سير أعلام النبلاء. للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق شعيب الأرناؤوط ومأمون الصاغرجي. طبع مؤسسة الرسالة. ط٣. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(١٢٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. للمؤرخ عبد الحي العماد الحنبلي. نشر دار الآفاق. بيروت.
(١٢٤) شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد. تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هشام. حققه وقدم له د/ عبد الكريم عثمان. نشر مكتبة وهبة. ط٣. سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
(١٢٥) شرح الخريدة البهية. لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير. طبع دار هجر. ط١. سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
(١٢٦) شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني. تحقيق د/ أحمد حجازي السقا. طبع الكليات الأزهرية. ط١. سنة ١٤٠٧هـ.
(١٢٧) شرح العقيدة الطحاوية. لعلي بن علبي بن محمد بن العز الحنفي

الدمشقي تحقيق د/ عبد المحسن التركي. شعيب الأرناؤوط. طبع ونشر مؤسسة الرسالة. ط١. سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(١٢٨) شرح العقيدة الواسطية. تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد خليل هراس مراجعة. د/ عبد الرزاق عفيفي. طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودار الاعتصام بالقاهرة. ط٤.

(١٢٩) شرح القصيدة النونية. لابن قيم الجوزية (شرح وتعليق د/ محمد خليل هراس) نشر وتوزيع دار الفاروق. سنة ١٩٨٤م.

(١٣٠) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني.

(١٣١) شرح المواقف في علم الكلام. للسيد الشريف علبي بن محمد الجرجاني «الموقف الخامس في الإلهيات» تقديم وتحقيق د/ أحمد المهدي. نشر مكتبة الأزهر.

(١٣٢) شرح قطر الندى وبل الصدى. تأليف جمال الدين بن هشام الأنصاري. ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق قطر الندى. للشيخ محمد محيي الدين. طبع مطبعة السعادة مصر. ط١١. سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(١٣٣) الشفا بتعريف حقوق حقوق المصطفى للقاضي عياض. تحقيق علي محمد البحاوي. طبع البابي الحلبي. سنة ١٩٧٧م.

(١٣٤) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي طبع المطبعة المصرية ومكتبتها.

(١٣٥) صحيح سنن الترمذي. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. نشر مكتبة التربية العربية لدول الخليج.

(١٣٦) صحيح سنن المصطفى. جمع أبي داود السجستاني. طبع دار الكتاب العربي. بيروت.

(١٣٧) الصفات. تأليف الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني. تحقيق د/ علي بن محمد بن ناصر. طبع ونشر دار إحياء السنة النبوية.

(١٣٨) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه. تأليف د/ محمد أمان بن علي الجامي. ط دار الإيمان. الإسكندرية.

(١٣٩) الضعفاء الصغير. للإمام الحافظ بم بن إسماعيل البخاري. تحقيق محمد إبراهيم زايد. نشر دار المعرفة. بيروت - لبنان. ط١. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٤٠) الضعفاء والمتروكين. للإمام أحمد بن علبي بن شعيب النسائي. تحقيق محمود إبارهيم زايد. نشر دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط١. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٤١) الضعفاء والمتروكين. للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي. تحقيق عبد الله القاضي. ط دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط١. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٤٢) ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري عز وجل. تأليف عبد الرحمن بن إسمايل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة. تحقيق د/ أحمد عبد الرحمن الشريف. مطبعة دار التأليف. نشر دار الصحوة. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(١٤٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.

(١٤٤) الطبقات. للإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط. تحقيق د/ أكرم ضياء العمري. طبع دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض. ط٣. سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١٤٥) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى. نشر دار المعرفة. بيروت. لبنان.

(١٤٦) طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علبي ابن عبد الكافي السبكي. تحقيق محمود محمد الطناجي. عبد الفتاح محمد الحلو. طبع دار إحياء الكتبا العربية. فيصل الحلبي.

(١٤٧) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري. طبع دار صادر. بيروت.

(١٤٨) طبقات المعتزلة تأليف أحمد بن يحيى بن المرتضى. تحقيق سوسذة ديقلد قلزر. طبع دار المنتظر. بيروت. لبنان. ط٢. سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

(١٤٩) طبقات المفسرين.

(١٥٠) الطريق إلى دمشق. تأليف: أحمد عادل كمال. طبع دار النفائس. ط٢. سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١٥١) طريق الهجرتين وباب السعادتين. لابن قيم الجوزية. تعليق محمود غانم غيث. نشر دار الطباعة المحمدية. ط٢. سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(١٥٢) طلائع المسند للإمام أحمد بن حنبل. تحقيق أحمد شاكر. نشر مكتبة التراث الإسلامي.

(١٥٣) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي. تأليف د/ سفر عبد الرحمن الحوالي. إشراف د/ محمد قطب. نشر مكتبة الطيب. القاهرة. سنة ١٤١٧هـ.

(١٥٤) عالم الجن والملائكة تأليف عبد الرازق نوفل. ط مؤسسة الشعب.

(١٥٥) عالم الملائكة الأبرار في ضوء الكتاب والسنة. تأليف د/ عمر سليمان الأشقر. مطابع الطوبجي التجارية. نشر دار الكتاب العربي.

(١٥٦) العبر في الأخبار من ...

(١٥٧) العقائد الإسلامي. تأليف الشيخ سيد سابق. نشر دار الفتح للإعلام العربي. سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(١٥٨) العقيدة الإسلامية وأسسها. تأليف عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني. طبع دار القلم. بيروت. دمشق. ط٧. سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(١٥٩) العقيدة الإسلامية والأخلاق. تأليف د/ محيي الدين الصافي. د/ علي معبد فرغلي. د/ صلاح عبد العليم. د/ محمد عبد الفضيل. نشر جامعة الأزهر. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(١٦٠) عقيدة السلف وأصحاب الحديث. لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني. دراسة وتحقيق د/ ناصر بن عبد الرحمن الجديع. طبع ونشر دار العاصمة. السعودية. ط١. سنة ١٤١٥هـ.

(١٦١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. تأليف إمام الحرمين الجويني. تحقيق د/ أحمد حجازي السقا. نشر الكليات الأزهرية. سنة ١٩٧٨م.

(١٦٢) علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة. للإمام ابن حزم الأندلسي. تحقيق د/ أحمد حجازي السقا. نشر المكتب الثقافي سنة ١٩٨٩م.

(١٦٣) العلم المنشور في إثبات الشهور. تأليف الإمام علي بن عبد الكافي السبكي. تعليق جمال الدين القاسمي. نشر مكتبة الإمام الشافعي. الرياض. ط٢. سنة ١٤١٠هـ.

(١٦٤) العقيدة وأثرها في بناء الجيل المسلم. تأليف د/ عبد الله عزام. نشر دار الإسراء. ط١. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(١٦٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تأليف ابن أبي أصيبعة. شرح وتحقيق د/ نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

(١٦٦) الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم. لإمام الحرمين أبي المعالي عِبد الملك بن عبد الله الجويني. تحقيق ودراسة د/ عبد العظيم الديب. طبع نهضة مصر. ط٢. سنة ١٤٠١هـ.

(١٦٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للإمام أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني. تحقيق محب الدين الخطيب. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. طبع المكتبة السلفية. نشر دار الريان للتراث. سنة ١٤٠٧هـ.

(١٦٨) فتح رب البرية بتلخيص الحموية. لابن تيمية ضمن رسائل في العقيدة. تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين. طبع ونشر دار الصفوة. ط١.

(١٦٩) فتح العلام في الانتصار للعلامة كمال الدين بن الهمام. من الأستاذ جمال الدين القاسمي. تأليف محمد أبي الخير الطباع. طبع مطبعة الإصلاح بدمشق. سنة ١٣٢٧هـ.

(١٧٠) الفتح المبين في طبقات الأصوليين. تأليف الأستاذ عبد الله مصطفى المراغي. طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي. مصر.

(١٧١) الفتوى في الإسلام. تأليف جمال الدين القاسمي. تحقيق عبد الحكيم القاضي. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٧٢) الفرق بين الفرق. للإمام عبد القاهر البغدادي. تحقيق محمد محيي الدين. طبع المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. سنة ١٤١٣هـ.

(١٧٣) نصوص الحكم. للفارابي ضمن مجموعة رسائل. طبع عبد الرحيم المكاوي سنة ١٩٠٧م.

(١٧٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل. لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري. تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر. د/ عبد الرحمن عميرة. نشر دار الجيل. بيروت. لبنان.

(١٧٥) الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في علوم الحديث. تأليف محمد جمال الدين القاسمي. تحقيق عاصم بهجة البيطار. طبع ونشر دار النفائس. ط٢. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٧٦) فلصفة وفرق المعتزلة. ضمن كتاب فرق وطبقات المعتزلة. تحقيق

وتعليق د/ علي سامي النشار والأستاذ عصام الدين محمد علي. طبع دار المطبوعات الجامعية سنة ١٩٧٢م.
(١٧٧) فهرس الفهارس. والإثبات. ومعجم المعاجم. والمشيخات. والمسلسلات. تأليف عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. نشر دار الغرب الإسلامي. ط٢. سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
(١٧٨) فهرس دار الكتب المصرية طبعة دار الكتب. ط١. سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.
(١٧٩) الفهرست. لابن النديم. تحقيق فلوجل ليبك. سنة ١٨٧١م.
(١٨٠) فوات الوفيات والذيل عليها. تأليف محمد شاكر الكتبي. تحقيق د/ إحسان عباس. طبع دار صادر. بيروت.
(١٨١) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. تأليف أبي حامد الغزالي. تحقيق د/ سليمان دنيا. طبع عيسى البابي الحلبي. ط١. سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
(١٨٢) في ظلال القرآن تأليف الشيخ سيد قطب. طبع دار الشروق. ط١٢. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(١٨٣) في العقيدة. تأليف د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي. طبع دار أسامة. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(١٨٤) في الفكر الإسلامي الحديث والتحديات المعاصرة. تأليف د/ عبد المقصود عبد الغني. طبع المطبعة الإسلامية الحديثة. القاهرة. نشر مكتبة الزهراء. سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
(١٨٥) الفيلسوف المفترى عليه «ابن رشد» تأليف د/ محمود قاسم. نشر مكتبة الأنجلو المصرية.
(١٨٦) القاسمي ومنهجه في التفسير. تأليف أد/ محمد بكر إسماعيل. طبع ونشر دار المنار. مصر. ط١. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(١٨٧) قاموس الصناعات الشامية. تأليف محمد سعيد القاسمي. وجمال الدين القاسمي. وخليل العظم. طبع ونشر موتون وشركاه. باريس. لاهاي. سنة ١٩٦٠م.
(١٨٨) القاموس القويم للقرآن الكريم. تأليف الأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح. طبع مجمع البحوث الإسلامية. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
(١٨٩) قانون التأويل. تأليف أبي حامد الغزالي. تحقيق محمد زاهد الكوثري. هدية مجانية مع مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر. سنة ١٤٠٦هـ.
(١٩٠) القرآن والفلسفة. تأليف د/ محمد يوسف موسى. نشر دار المعارف. ط٤. سنة ١٩٨٢م.
(١٩١) قضايا النبوات. تأليف د/ محمود عبد المعطي بركات. نشر دار الهدى للطباعة. ط١. سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(١٩٢) قطر الولي على الحديث الولي. أو «ولاية الله والطريق إليها» للإمام الشوكاني. تحقيق د/ إبراهيم هلال. طبع مطبعة حسان. نشر دار الكتب الحديثة. القاهرة. سنة ١٩٧٩م.
(١٩٣) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. تأليف جمال الدين القاسمي. تحقيق محمد بهجة البيطار. نشر دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبي. مصر. ط٢. سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
(١٩٤) قواعد العقائد. لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي. إعداد د/ رؤوف شلبي. موسى محمد علي. طبع مجمع البحوث الإسلامية. السنة الثانية. الكتاب الثامن عشر. سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
(١٩٥) القول السديد في علم التوحيد. تأليف د/ محمود أبو دقيقة. تحقيق د/ عوض الله حجازي. طبع مجمع البحوث الإسلامية. ط١. سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(١٩٦) الكامل في التاريخ. للإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير. تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(١٩٧) الكامل في التاريخ لابن الأثير. طبع دار الكتاب العربي. بيروت. ط٦. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(١٩٨) كتاب السنة. للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني. ومعه كتاب ظلال الجنة في تخريج السنة. تأليف محمد ناصر الدين الألباني. طبع المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق. ط٣. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
(١٩٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للزمخشري وبهامشه كتاب الإنصاف لابن المنير. وبآخره تنزيل الآيات على الشواهد. طبع دار المعرفة للطباعة والنشر.
(٢٠٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. للعالم الأديب المؤرخ مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة. نشر وطبع دار الفكر.
(٢٠١) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة. تأليف محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي. ضمن مجموعة فلسفة ابن رشد. تصحيح ومراجعة مصطفى عبد الجواد عمران. نشر المكتبة المحمودية التجارية. القاهرة. ط٣. سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
(٢٠٢) اللزوميات لأبي العلاء المعري. تحقيق جماعة من الأخصائيين. طبع ونشر دار الكتب العلمية. ط١. سنة ١٩٨٨م.
(٢٠٣) لسان العرب. لابن منظور. طبع دار المعارف. ط٤. سنة ١٩٧٩م.
(٢٠٤) لسان الميزان. للإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبع دار الفكر للتوزيع والنشر.

(٢٠٥) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم. تأليف الأمير شكيب أرسلان. تقديم محمد رشيد رضا. طبع دار البشير. القاهر. سنة ١٩٨٥م.

(٢٠٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية. تأليف الشيخ محمد السفاريني. طبع المكتب الإسلامي. بيروت. ط٣. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢٠٧) الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الأمريكان أشرف على تحريره جون كلوفر. ترجمة د/ الدمرداش سرحان. مراجعة د/ محمد جمال الغندي. نشر مؤسسة الحلبي. ط٣. سنة ١٩٦٨م.

(٢٠٨) الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي. تأليف د/ محمد جلال شرف. طبع دار المعارف. مصر. سنة ١٩٧١م.

(٢٠٩) مجلة المنار. لمنشئها السيد محمد رشيد رضا. المجلد السابع عشر. الجزء الثامن.

(٢١٠) مجلة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ العربي بجامعة دمشق. الأعداد ٤، ١٥، ١٦. سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢١١) مجلة منبر الإسلام تصدرها وزارة الأوقاف بمصر. طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. العدد الخامس. لسنة ٥٥. سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٢١٢) مجلة نور الإسلام. مجلة دينية علمية تاريخية. تصدرها مشيخة الأزهر. المجلد الرابع. الجزء الثامن. عدد شعبان سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٢٢م.

(٢١٣) مجموعة عقائد السلف. جمع د/ علي سامي النشار. عمار جمعى الطالبي. نشر منشأة المعارف. الإسكندرية. سنة ١٨٧١م.

(٢١٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. للإمام فخر الدين الرازي وبذيله كتاب تلخيص المحصل. للعلامة نصر الدين الطوسي. نشر وطبع مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢١٥) محمد رسول الله ﷺ تأليف د/ محمد الصادق عرجون. طبع دار القلم.

بيروت. ط٢. سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
(٢١٦) محمد عبده. تأليف الأستاذ عباس محمد العقاد. طبع دار القلم. مصر. سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
(٢١٧) المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار. تحقيق عمر السيد عزمي. طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف.
(٢١٨) مختصر تفسير ابن كثير. اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني. نشر دار الصابوني.
(٢١٩) مختصر الشمائل المحمدية. للترمذي وبهامشه العطر الشذي في شرح مختصر شمائل الترمذي. للشيخ عبد المجيد الشرنوبي. طبع مطبعة الآداب. القاهرة.
(٢٢٠) مختصر الصواعق المرسلة للرد على الجهمية والمعطلة. لابن قيم الجوزية. تحقيق سيد إبراهيم. طبع دار الحديث مصر. ط١. سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
(٢٢١) مختصر العلو للعلي الغفار. تأليف الحافظ الذهبي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. طبع المكتب الإسلامي. ط١. سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
(٢٢٢) مدخل إلى الاستدلال القرآني. تأليف د/ عبد الله يوسف الشاذلي. ط١. سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٢٢٣) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي. تحقيق علي محمد البجاوي. نشر دار المعرفة. بيروت. ط١. سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
(٢٢٤) المسالك والممالك. تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري المعروف بالكرخي. تحقيق محمد جابر. طبع ونشر دار القلم. بيروت. سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

(٢٢٥) المستدرك على معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربي تأليف عمر رضا كحالة. طبع مؤسسة الرسالة. ط١ . سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(٢٢٦) المسح على الجوربين. تأليف جمال الدين القاسمي. ويليه تمام النصح في أحكام المسح لمحمد ناصر الدين الألباني. تقديم د/ أحمد شاكر. تحقيق الألباني. نشر المكتب الإسلامي. بيروت. ط٥. سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م.
(٢٢٧) المسند. للإمام أحمد بن حنبل. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. نشر مكتبة الحلبي. الطبعة الثانية.
(٢٢٨) المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي. تأليف العلم أحمد بن محمد بن علي الفيومي. طبع المطبعة الأميرية. القاهرة. ط٦. سنة ١٩٢٥م.
(٢٢٩) معالم الثقافة الإسلامية. تأليف د/ عبد الكريم عثمان. طبع دار النصر الإسلامية القاهرة. ط٥. سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
(٢٣٠) المعالم الدينية في العقائد الإلهية. للإمام يحيى بن حمزة. تحقيق سيد مختار. نشر وطبع دار الفكر. بيروت. لبنان. ط١ . سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٢٣١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. تأليف حافظ بن أحمد حكمي. نشر دار حميدو.
(٢٣٢) المعتزلة. تأليف د/ زهدي جار الله. نشر النادي العربي. القاهرة.
(٢٣٣) معجم البلدان. للإمام شهاب الدين ياقوت الحموي البغدادي. نشر دار صادر. بيروت.
(٢٣٤) معجم المطبوعات العربية والمعربة. جمعه ورتبه يوسف أيان سركيس. طبع مطبعة سركيس. مصر. سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
(٢٣٥) معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة. تأليف د/ صلاح الدين المنجد. طبع دار الكتاب العربي الجديد. بيروت. لبنان.
(٢٣٦) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد. مع مقدمة في نقد مدارس علم

الكلام. تقديم وتحقيق د/ محمود قاسم. نشر مكتبة الأنجلو المصرية. سنة ١٩٥٥م.

(٢٣٧) منتخبات التواريخ لدمشق. تأليف محمد أديب آل تقي الحصيني. نشر دار الآفاق. بيروت. ط١. سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢٣٨) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تأليف أبي الفرج ابن الجوزي. طبع دار المعارف العثمانية. ط١. سنة ١٣٥٧هـ.

(٢٣٩) المنقذ من الضلال. لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي. تحقيق د/ عبد الحليم محمود. نشر دار الكتب الحديثة. ط٨. سنة ١٩٧٤م.

(٢٤٠) منهاج السنة النبوية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. وبهامشه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

(٢٤١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم. تأليف د/ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد. طبع مجمع البحوث الإسلامية. سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٢٤٢) منهج الأشاعرة في العقيدة. تأليف د/ سفر الحوالي. نشر مكتبة العلم.

(٢٤٣) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين. تأليف د/ مصطفى حلمي. طبع ونشر دار الدعوة. ط٢. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٤٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات. تأليف الشيخ محمد الشنقيطي. طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢٤٥) معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية. لعمر كحالة. طبع دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.

(٢٤٦) المعجم الوسيط. طبع مجمع اللغة العربية. ط٣. سنة ١٩٨٥م.

(٢٤٧) المغني في أبواب التوحيد والعدل. للقاضي عبد الجبار. تحقيق نخبة من العلماء. طبع المؤسسة المصرية للتأليف والنشر. سنة ١٩٩٥م.

(٢٤٨) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات. تأليف محمد عبد

الرحمن المفراوي. طبع دار طيبة. ط١. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(٢٤٩) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. تأليف أد/ عوض الله حجازي. طبع دار الطباعة المحمدية. ط٣. سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(٢٥٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري. تحقيق محمد محيي الدين طبع المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
(٢٥١) المقالات العشر في منهج علم الكلام. تأليف د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي. نشر مكتبة الزهراء. سنة ١٩٩٣م.
(٢٥٢) مقدمة تاريخ ابن خلدون. تأليف عبد الرحمن بن خلدون. طبع دار الجيل. بيروت.
(٢٥٣) مقدمة ابن خلدون. تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي. طبع لجنة البيان العربي. مصر. ط١. سنة ١٣٧٩هـ.
(٢٥٤) الملل والنحل للشهرستاني. تحقيق الأستاذ أحمد فهمي محمد. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. ط٣. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
(٢٥٥) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. لابن تيمية بهامش كتاب منهاج السنة النبوية. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
(٢٥٦) موسوعة التاريخ الإسلامي. تأليف أد/ أحمد شلبي. طبع مكتبة النهضة المصرية. ط٨. سنة ١٩٩٠م.
(٢٥٧) الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية. تأليف د/ فاطمة محجوب. نشر دار الغد العربي.
(٢٥٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق محمد علي البجاوي. طبعة دار المعرفة. بيروت. لبنان.

(٢٥٩) النبوات. تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية. نشر دار الفتح.

(٢٦٠) النجاة. تأليف الشيخ الرئيس/ أبو علي الحسين بن سينا. طبع الكردي. سنة ١٩٣٦م.

(٢٦١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي. طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

(٢٦٢) نحو علم كلام إسلامي معاصر «العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث». تأليف د/ سعد الدين صالح. طبع ونشر دار الصفا. ط٢. سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢٦٣) نسب قريش.

(٢٦٤) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق. محمد ناصر الدين الألباني. طبع المكتب الإسلامي. بيروت. ط٣. سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢٦٥) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية. تأليف نصر بن يحيى المتطبب. تقديم وتحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي. نشر وتوزيع دار الصحوة. سنة ١٩٨٥م.

(٢٦٦) نظرات في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد. للغزالي. تأليف د/ إبراهيم عبد الشافي. سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٦٧) نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية، تأليف محمد منير الدمشقي. مصر. سنة ١٣٤٩هـ.

(٢٦٨) نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني. تحرير وتصحيح الفردجيوم. طبع مكتبة المثنى بغداد.

(٢٦٩) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين. تأليف د/ محمد رجب البيومي. طبع مجمع البحوث الإسلامية. السنة ١٥. الكتاب الثالث. سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(٢٧٠) واصل بن عطاء وآراءه الكلامية. تأليف د/ سليمان الشوايتي. طبع الدار العربية للكتاب بليبيا. سنة ١٩٩٣م.

(٢٧١) الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. اعتناء هلموت ريتر. توزيع مؤسسة الكتب الثقافية. سنة ١٩٦٢م.

(٢٧٢) الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق. تأليف د/ بركات عبد الفتاح دويدار. طبع النهضة المصرية. سنة ١٩٧٧م.

(٢٧٣) الوحي المحمدي. تأليف الشيخ محمد رشيد رضا. نشر مكتبة القاهرة. ط٦. سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

(٢٧٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. د/ إحسان عباس. طبع دار الثقافة. بيروت.

فهرس الموضوعات

طبع بمطبعة الصيرفي

القاهرة ت ٤٤٤٤٢٨٢





٧٦ أ ش جسر السويس - ميدان الألف مسكن القاهرة
تليفون و فاكس : ٠٢/٢٤٩٣١٠٧٤ (٠٠٢)
رئيس مجلس الإدارة : ٠١٢/٧٧٥٥٩٥١ (٠٠٢)
الإدارة و المبيعات : ٠١٢/٥٠٢٧٧٢١٢ (٠٠٢)
البريد الإلكتروني :MUHADDETHIN@YAHOO.COM